ليالى الشوكولاتة

obeikandl.com

المدير العام خالد عبد الصمد خفاجي

مدير النشر عـــادل متـــولي

الإشراف العام والرؤية الفنية أشرف أبو زيد

الجمع والصف الإلكتروني

القسم الفني

إشراف وتنفيذ إيمان خفاجي

لوحة الغلاف: الفنان مجدى الكفراوى

تصميم الغلاف: هند سمير

طباعة مطبعة العمرانية للأوفست

تسويق ونشر

مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافى

بالتعاون مع

تـو مار للدعاية والنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة والتسويق: ٠١٢٣٧٠٥٠٢٤ - ٠١٨٠٦١٨١٦٨

٠١٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠١٠١٠٦٦٦٢٨

تليفاكس: ٠٢٣٧٠٩٥١٢٤

Email: agyal.gro@hotmail.com

obeikandl.com

انجى عزمى

ليالى الشوكولاتة

رواية

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

تسويق ونشر

مجموعة أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافى

obeikandl.com

الكتاب: ليالى الشوكولاتة

المؤلف: انجى عزمى

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٤١٧٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-6215-43-2

عزمى، انجى.
ليالى الشوكولاتة: رواية/ انجى عزمـــى. ط١. – القاهرة: أجيال لخدمات التسويق والنشر، ٢٠٠٨.
١٩٦ ص؛ ٢٠سم.
تدمك: ٢-٤٣-٦٢١٥-٩٧٧
١- القصص العربى.
أ- العنوان ٨١٣

obeikandl.com

اهداء

إلى أول من علمني متعة القراءة إلى أول حب في حياتي

إلى أمي الحبيبة

شكر

إلى أبـي الغـالي اشكرك علـي حماسـك وتشـجيعك لي لولاك لما استطعت أن اخرج أول رواية لـي إلى النور واشكر الكاتب الأستاذ إبراهيم عبد المجيد على نقده البناء لإسلوبي والسيد الفاضل مصطفى رزق وزوجـي الحبيـب وكـل مـن قـدم لـي النصيحة أو النقد البناء اشكركم جميعًا وأعدكم بعمل أفضل في المرة القادمة.

أنجي عزمي

obeikandl.com

ليالي الشوكولاتة

استيقظت "صفا" في التاسعة صباحًا وفتحت عيناها ببطء على صوت والدتها وهي تتشاجر في التليفون مع السائق لأنه تأخر عليها ثم سمعت وقع أقدامها المسرعة وهي تتجه نحو غرفتها. فتحت الأم الباب في عصبية ودخلت لتوقظ صفا فوجدتها مستيقظة فسلمت عليها في سرعة وبدأت تملي عليها تعليماتها وأمرتها بأن تذهب للكوافير وترتدي الفستان المتفق عليه وألا تتأخر عن حفل الليلة. وبعد أن انتهت الأم خرجت مسرعة من المنزل.

جلست صفا في السرير تحدق بلا هدف في سقف الغرفة. أخذت تسرح بعقلها في حياتها الجديدة المقدمة عليها. فاليوم هو زفاف والدتها "راوية محمود" على رجل الأعمال البليونير "رشدي ناصر" واليوم هو آخر يوم لـ"راوية" في البيت مع صفا، لأنها ستنتقل للعيش مع زوجها الجديد. أما صفا فيجب عليها التأقلم على حياتها الجديدة فيجب عليها أن تتعود أن تمضي بضعة أيام في الأسبوع مع والدتها في بيت زوجها الجديد وتقيم باقي الأسبوع بمفردها في منزلها والتعايش مع سكونه الرتيب بعد أن كانت قد اعتادت على الصوت العالي والتوتر الدائم في هذا البيت.

كانت صفا معتادة على أن تصحو دائما على الضجيج الذي تسببه والدتها في صباح كل يوم وهي ترتدي ملابسها للذهاب

إلى العمل. فوالدة صفا لا تستطيع أن تفعل شيئًا في هدوء، خاصة ارتداء الملابس للخروج للعمل. فهي تصحو ساعتين قبل موعد الشركة لتحظى بوقت كافٍ لوضع الماكياج المبالغ فيه وارتداء الملابس التي تناسب السهرة أكثر من أن تكون ملابس للعمل.

صفا فتاة في الثالثة والثلاثين من عمرها، بنت وحيدة لأسرة طيبة ومعروفة من ناحية الحسب والنسب في مصر. عاشت حياة غير مستقرة ومتوترة في طفولتها ومراهقتها لأن والديها كانوا من اليوم الأول لزواجهم غير متفاهمين ودائمي الخلاف. وكان سوء التفاهم الدائم سببه الأول والأوحد الدخل المادي للزوج ومستوي المعيشة. وكانت هذه الخلافات تحتد لدرجة تدخل الجيران في بعض الأحيان، لأن كلا الزوجان لا يستطيعا كبح جماح نفسيهما والسيطرة على أعصابهما. فكان من المعتاد أن يبدءوا الخناقة في الصراخ والتراشق بالكلمات الجارحة والشتائم والانتهاء ببكاء صفا الهستيري وتدخل جارتهم "تانت نادية"، السيدة العجوز التي تسكن معهم في العمارة لفض الخلاف وتهدئة البنت الصغيرة التي تكون غالبًا في حالة من الانهيار من حدة الخلاف والصراخ. لم يستمر هذا الزواج المتوتر إلا بضعة سنوات ثم انتهي بالطلاق وسفر والد صفا "سعيد مازن" لأمريكا. سافر منذ عدة سنوات ولم يسمع عنه أحد مرة أخري.

نهضت صفا من السرير في خطوات ثقيلة، ودخلت إلى الحمام لتغتسل، فنظرت إلى نفسها في المرآة وأجهشت في بكاء شديد. وظلت تبكي لمدة طويلة لأنها ابتدءًا من هذا اليوم ستصبح وحيدة تمامًا في هذا العالم ويتحتم عليها أن تتأقلم

بأن تعيش بمفردها فمنذ اللحظة الأولي التي خطبت فيها والدتها لـ"رشدي ناصر"، أحست صفا أنها فقدت والدتها للأبد. فقدت أمها في عالم الصالونات والحفلات والنميمة. " فراوية محمود" أصبحت مشغولة طوال الوقت بمجتمعها الراقي الجديد وليس لديها أي وقت أو جهد لتعطيه لصفا.

نزلت صفا إلى المغطس المملوء بالمياه الدافئة وجلست في هدوء تسرح بعقلها في طفولتها وذكرياتها. ولدت صفا في بيت يفتقر إلى الحب والترابط الأسري، فعلي الرغم من أن والدي صفا تزوجا عن حب إلا أن هذا الحب انتهي ومات بسرعة في غضون سنوات قليلة لأن " راوية محمود" أحست أنها تزوجت رجل فاشل وغير مسئول بمعني الكلمة، فهو لم يكن يستطيع أبدًا أن يستمر في عمل ما أكثر من شهور قليلة. فكان يبدل وظيفته بصفة دائمة، وكل مرة له حجة مختلفة عن الأولي، مرة "المدير مستقصدني وما بيحبنيش"، مرة "الشغلانة دي مش بتاعتي دي عايزة عيل صغير يعملها بدالي،أنا كفائتي أكبر من كده"، ومرة "الناس اللي معايا ما بيفهموش حاجة ومش عارفين يمشوا الشركة". كل مرة عنده حجة مختلفة للاستقالة والبقاء في المنزل بلا عمل لمدد طويلة كربات البيوت وخلال هذه المدة يعتمد على دخل بسيط من أرض ورثها من والديه. وعلي الرغم من حداثة سن صفا إلا أنها أدركت في سن مبكرة أنانية ولامبالاة والدها بأي شيء في الحياة إلا نفسه. فكان إذا احتكم على أي مبلغ من المال يذهب ويشتري أغراضا شخصية بدلا من أن يشتري طلبات البيت. ومن ذكريات صفا عن أبيها أنه كان مرة من المرات مفلس تماما واضطر إلى بيع بعض المصوغات الذهبية التي

ورثها عن أمه لشراء طلبات البيت الأساسية، وبالفعل حصل على عشرة آلاف جنيه، اشتري بجزء من المبلغ جاكيت جلد أنيق لنفسه وصرف بلا حساب في السهر مع أصدقائه في البارات والفنادق الغالية فتبقي مبلغ صغير جدا لم يكفي سداد مصاريف مدرسة صفا واضطرت أمها إلى أن تقترض النقود اللازمة من صديقة لها على أمل أن تردهم خلال أشهر قليلة.وتتذكر صفا أنها لم تكن تمتلك الكثير من اللعب نظرًا لظروف والدها الضيقة وقلة حيلته ولذلك كانت تخاف جدا على عرائسها القليلة وتهتم بهم إلى أبعد حد لأنها تعلم أنها إذا أهملتهم فلن تستطيع أن تشتري غيرهم. وتذكرت كيف كانت تحسد صديقاتها على آبائهن وأمهاتهن وتتخيل نفسها مكانهن، كانت دائما تحلم ببيت هادىء ومستقر.

ومع مرور السنوات اضطر "سعيد مازن" والد صفا أن يبيع الأرض التي ورثها عن والده ونضب هذا البئر الصغير الذي كان يعتمد عليه في نفقاته وأصبح مفلسًا تماما لدرجة أنه كان يخاف أن يخرج من المنزل حتى لا يضطر إلي أن يدفع حق كوب شاي في النادي أو أن يقابل واحد من الأشخاص الذين يدين لهم بالمال. ولذلك كثرت الخناقات والمشاحنات بين الزوجين واضطرت "راوية" أن تخرج للعمل على الرغم من قلة خبرتها وحداثة سن ابنتها. فبعد تسعة أشهر فقط من ولادة صفا، اضطرت "راوية" أن تخرج للعمل تاركة ابنتها إلى الشغالة التي كانت تلتهم نصف المهية الصغيرة التي تقبضها "راوية" والتي تحولت بدورها إلى رجل البيت، المسئول الأوحد عن كل شيء حتى مصروف "سعيد" الشخصي. ونتيجة لهذه الظروف السيئة، أصبحت "راوية" تحتقر "سعيد" وتعامله أسوأ

معاملة، خصوصًا أنه فقد الإحساس تمامًا بكرامته واعتاد أن يأخذ مصروفه من زوجته بدون أي حياء ويذهب لينفقه كله في النادي مع أصدقائه. واستسهل "سعيد" الموضوع وأحس أنه طالما "راوية" تعمل وتأتيه بالمصروف فلا داع له أن يعمل هو الآخر. وبالفعل اعتزل مهمة البحث عن عمل. وعلي الرغم من ذلك لم يكن "سعيد" يجلس أبدًا في المنزل أو يهتم بابنته كل ما يهتم به هي أشياء خاصة به وحده. يهتم فقط بأن يدخن "مارلبورو أحمر" ويشرب أجود أنواع "النبيذ الأحمر" على العشاء والخروج مع الأصدقاء إلى النوادي والفنادق الغالية. ولذلك تربت صفا وكبرت وحيدة، فالأم مشغولة في كسب العيش المرهق والأب أناني يعيش في عالمه الخاص يمضي معظم أوقاته في النادي. ولذلك كانت صفا تمضي أيامها وحدها مع الشغالة فأصبحت صفا تربية شغالات.

كبرت صفا وهي وحيدة فعلي الرغم من أنها تعيش مع والديها في البيت إلا أنها كانت تحس دائما أنها وحدها في هذه الدنيا لأنها تفتقر إلى الإحساس بالحب والحنان. فصفا لم تكن محظوظة في والديها ولم تتمتع بنعمة حنان الأبوين خصوصا مع والدتها، لأن "راوية" كانت تنظر إلى صفا وتحسسها دائما بأنها عبء كبير يثقل كاهلها ويعطلها عن الاستمتاع بحياتها خصوصا وأن "راوية" كانت عاشقة للخروج والسفر والملابس الفاخرة. كما كانت تشعرها بأنها نتيجة الغلطة الجسيمة التي ارتكبتها في حياتها. غلطة الزواج من "سعيد" هذا الرجل عديم الطموح والمسؤولية. فكانت صفا تسمع والدتها تبكي دائما من استهتار أبيها وتلعن اليوم الذي تزوجته فيه، كما كانت تنظر إلى ابنتها كثيرًا وتندب حظها

لأنها الصلة الوحيدة التي تربط بينها وبين زوجها الذي تحتقره من كل قلبها، فبدونها كانت تستطيع أن تخرج من حياته بسهولة، بدونها كانت ستحظي بدخل أكبر لأن مصاريف صفا ومصاريف الخادمة تبتلع النقود القليلة التي تكسبها، بدونها كانت حياتها ستكون أفضل من الوضع الحالي بكثير.

تذكرت صفا اليوم الذي قررت فيه "راوية" الانفصال عن زوجها وعن كم الخلافات والمشاكل التي حدثت بين الطرفان.ففي يوم من الأيام أحست "راوية" أنها تستطيع أخيرًا أن تستقل عن زوجها وأنها لن تتحمل مسئوليته بعد اليوم، فطلبت منه الطلاق ولكنها اكتشفت أنه ليس رجل فاشل فقط بل نذل أيضًا. أخذ يساومها على الطلاق ولم يكن يريد أبدًا أن ينفصل عنها وهذا ليس حبا فيها ولكن طمعا فيها فهو أصبح بلا أي دخل أو إرث يتكل عليه كما كان الحال من قبل وهي المصدر الوحيد للمال.فكانت للأسف ذليلة له ولقراره في الطلاق فقانون "الخلع" لم يكن موجود بعد. فأخذت تساومه وتتفق معه على أي طريقة للخلاص منه ومن مسؤوليته وبعد شهور عديدة اتفقت معه على أن تعطيه مبلغا من المال وتتكفل بتذكرة طيرانه إلى أمريكا شرط أن يطلقها بالثلاثة وان يترك لها الشقة لأن ليس لهم مكان آخر يعيشون فيه ف"راوية" لا تملك في الحياة إلا ملامحها الجميلة واصلها العريق. وبالفعل نفذ الاتفاق وانفصل الزوجان وأحست "راوية" بالحرية لأول مرة من زمن طويل.

وتذكرت صفا كيف اعتقدت أن حياتها ستتحسن وتستقر بعد طلاق أمها وسفر أبيها ولكن ما تم هو أنها أصبحت أكثر وحدة، فوالدتها كانت تنتظر لحظة الطلاق حتى تعيش

حياتها وتنطلق وأصبح هدفها الأوحد في الحياة هو اصطياد زوج جديد بشرط أن يكون غني ومسئول ليريحها من عناء الشغل والمسؤولية. فبدأت صفا في أن تحب المدرسة وتكره الأجازات، ففي الأجازات تجلس صفا عادة وحدها في البيت مع الشغالة لأن "راوية" مشغولة مع أصدقائها ولها خطط أخري لكن أيام المدرسة كلها لعب وتسلية فهي تقابل صديقاتها وتمضي معهم أوقاتًا طيبة.

وعلي الرغم من اعتياد صفا على الوحدة، إلا أنها لم تعتاد أن تعيش وحدها بالمعني اللفظي للكلمة. اليوم هو زفاف "راوية" علي" رشدي ناصر" وستنتقل "راوية" لتعيش معه في قصره المنيف في احدي الـ"كومباودز" الأنيقة في مدينة السادس من أكتوبر. حاولت "راوية" كثيرا أن تقنع ابنتها بان تعيش معها في البيت الجديد لكن صفا أصرت على الرفض لأنها تعلم أن "ريهام" البنت الصغري لـ"رشدي ناصر" من زوجته الأولي ستعيش معها في نفس المكان وهي فتاة صعبة الطباع ولم تكن أبدًا ظريفة معها، فتوصلت مع والدتها إلى حل وسط وهو أن تقسم أيام الأسبوع فتقيم بضعة أيام مع والدتها وباقي الأسبوع وحدها في شقتهم القديمة بالزمالك.

قامت صفا من البانيو واغتسلت وذهبت لارتداء ملابسها للذهاب إلى العمل، فوقفت عارية أمام المرآة تتأمل جسدها فلم تستطع أن تخفي ملامح الإزدراء التي ارتسمت على وجهها نتيجة للصورة المعكوسة أمامها في المرآة لأنها كانت صورة فتاة ممتلئة الجسد، لها تضاريس كبيرة مترامية الأطراف ومبالغ فيها. فجذبت بسرعة الملابس وبدأت في ارتداها في سرعة لتتخلص من صورة قالب الجيلي المعكوس أمامها في

المرآة. ثم التفتت إلى وجهها وبدأت في تغطيته بطبقة سميكة من البودرة وكريم الأساس لإخفاء البثور الكثيرة التي انتشرت فيه كالبراكين الثائرة. صفا كانت فتاة عادية جدًا من الناحية الجمالية ليس لأنها قبيحة ولكن لأنها مهملة جدًا في مظهرها، فملامحها الرقيقة مختفية تحت البثور الحمراء التي تنتشر في وجهها الهادىء، عيونها الزرقاء مدفونتان تحت نظارة سميكة تلبسها طوال الوقت، وجسدها المتناسق فقد تناغم أجزائه وانسجامها مع بعضها وأصبح كالمقطوعة الموسيقية الرديئة "نشاز" نتيجة نهمها الشديد للشوكولاتة. كانت صفا تحب الشوكولاتة بصورة شديدة وتجد في أكلها راحة نفسية كبيرة. فهي تحاول أن تعوض وحدتها الدائمة والفراغ العاطفي الذي تعيش فيه بالشوكولاتة. فهي تأكل الشوكولاتة في جميع أشكالها وأنواعها فهي تعشق سندوتشات كريمة الشوكولاتة، والحلويات والمخبوزات المصنوعة من الشوكولاتة وتتسلي أمام التليفزيون بصناديق كبيرة تشتريها من السوبر ماركت تكفي شخصا لمدة شهور لكنها تنتهي منها في غضون أسابيع قليلة.

"راوية محمود" (فيرجينيا جميلة الجميلات)

وصلت صفا إلى الفرح قبل المدعوين ووقفت تنظربانبهار إلى فيلا "رشدي ناصر"، فالفيلا فاخرة من جميع النواحي وبها حديقة تشبه حدائق ألف ليلة وليلة من جمالها وتنوع الورود بها. أخذت تتأمل الأنوار والزينة المنتشرة في كل مكان ثم تفقدت الأطعمة الفاخرة التي جاءت خصيصًا من "باريس" ليستمتع بها المدعوين وسعدت جدا بوجود أحسن أنواع الشوكولاتة التي وزعت ببزخ وعناية في اطباق فضية لامعة فأخذت تلتقطها وتأكلها في سعادة كبيرة ثم سمعت صوت تليفونها المحمول يرن فالتقطت الجهاز وردت في هدوء: آلو

فسمعت صفا صوت راوية العصبي يقول: أنت فين؟

ردت صفا في برود: أنا تحت في الجنينة

فازدادت نبرة العصبية في صوت راوية وهي تقول لابنتها: ماطلعتيش ليه؟ أنا مستنياكي من الصبح

قالت صفا وهي تهز أكتافها في لامبالاة: ما حبيتش أزعجك وأنتي بتلبسي أنا عارفة إنك بتحبي تكوني على راحتك وأنت بتتذوقي استناكي تحت أحسن.. علي العموم أنا طالعة دلوقتي حالا باي...

صعدت صفا إلى غرفة والدتها في الفيلا ودخلت فكانت أول كلمة تقولها الأم لابنتها: ايه اللى أنتي لابساه ده؟! أنا مش

اشتريت لك فستان من "باريس" ايه القرف اللى انتي لابساه ده تعالي هنا وبصي لنفسك في المراية...ما لقتيش غير اوحش وأقدم فستان عندك علشان تلبسيه؟! النهارده أشيك ناس في البلد هيبقوا هنا تقومي تلبسي حاجة بالمنظر ده... الناس هيقولوا ايه؟! مرات "رشدي ناصر" مش قادرة تشتري فستان حلو لبنتها؟! دول مش هيصدقوا انك بنتي...

ردت صفا في ضيق: انتي مهتمة بيا ولا بكلام الناس؟ ثم قالت في خجل: الفستان اللى اشترتيه ما دخلش فيا...قصدي يعني أنه ما قفلش الظاهر إن أنا زدت على الميزان شوية

قالت الأم في استياء ونفاذ الصبر: مش عارفة تمسكي نفسك عن الشوكولاتة شوية؟! للدرجة دي ضعيفة؟ طب والنظارة دي ما ينفعش تتقلع؟

صفا: مش هشوف حاجة...

فردت راوية وصوتها يعكس ضيقها وعصبيتها: ميت مرة قلت لك انبسي انعدسات... أنتي ليه ما بتسمعيش كلامي؟ بتعندي معايا؟ من يومك وكل حاجة بقولها لك ما بتعمليهاش... انقطعت المناقشة بدخول العريس"رشدي ناصر" إلى غرفة العروس فسلم على صفا ثم استدار إلى العروس وأطلق صفير إعجاب طويل وقال: ايه القمر ده؟! ثم وجه كلامه إلى صفا: ماما دي تجنن الناس كلها هتحسدني عليها النهاردة.. واستطرد: مش يلا بقه أغلب الناس وصلت متهيألي ننزل بقه

التفتت الأم إلى المرآة مرة أخري لتعديل رتوش بالمكياج ثم نظرت إلى صفا نظرة عتاب طويلة وخرجت مع عريسها في طريقها للحفل.

ظلت صفا في حجرة والدتها تتأمل نفسها في المرآة فوجدت صورة لفتاة بدينة تلبس فستان أسود طويل بسيط لدرجة انه لا يتناسب مع فخامة الفرح والمدعوين وتلف جسدها المكور بـ"شال" أسود من نفس نوع قماش الفستان لتخفي به اللحم المتراكم على أكتافها ومعدتها. وتحمي من العالم الخارجي وراء نظارة سميكة تخفي جمال عيناها. نظرت صفا إلى نفسها في المرآة وأخذت تفكر لماذا تهمل في نفسها لهذه الدرجة وفكرت طويلا ولكنها لم تجد إجابة مقنعة احتمال يكون السبب أنها تحاول أن تخلق لنفسها شخصية مميزة ومختلفة عن معظم البنات وهذا الستايل يتماشي مع ميولها الانطوائية وبعدها عن الحياة الاجتماعية الصاخبة والمظاهر الكذابة واحتمال أنها لا تريد أن تشبه والدتها في أي شيء حتى في ناحية الملبس والاهتمام بالشكل فهي تسعي أن تكون مختلفة قلبًا وقالبًا عن والدتها. عوامل كثيرة ممكن أن تكون وراء إهمالها في شكلها ولكنها لا تعرف بالضبط ما هو السبب الرئيسي وراء هذا السلوك فهي ترتدي فقط ما يريحها بغض النظر عن الألوان أو التصميمات ولم تفكر أبدًا في إتباع رجيم معين لفقدان الوزن فهي تجد سعادتها في الطعام وخاصة الشوكولاتة ولا تريد أن تخسر هذه السعادة. وهذا هو النقيض التام لوالدتها لأن "راوية" تهتم لدرجة الهوس بعالم الحميات الغذائية والجمال.

تألقت" راوية محمود" في فستان ذهبي من تصميم المصمم العالمي" إلى صعب" ولمعت عيناها ببريق نشوة الانتصار وهي تتلمس العقد المبهر الذي يزين رقبتها هدية زواجها. فالعقد مكون من الماس الأصفر والماس الأبيض وهو من تصميم أحد

المحلات العالمية. وقفت تنظر إلى المدعوين في فخر، فخر الفوز بقلب "رشدي ناصر"، فالزواج منه أشبه بالعثور على مغارة على بابا المليئة بالكنوز علي مرمي من البصر.

أخذت "راوية" تُحيّي المدعوين في حفل الزواج وهي تنظر إليهم في تعالي وكأنها أميرة ستتوج الآن ملكة لهذا القصر وكانت كلما لمحت أمرآة جميلة في الحفل كانت ترمقها بنظرات تحدي لكي تثبت لها أنها استطاعت بحكم جمالها وحكمتها بالفوز بهذا الكنز الثمين. فهي في معارك دائمة مع أي أمرآة جميلة لأن" رشدي ناصر" معروف بنزاوته الكثيرة خصوصا أنه لا يفعل أي مجهود في ملاحقة النساء، لأن السيدات هن اللاتي يلاحقنه في كل مكان.

وأخذت تسترجع في فخر وهي تنظر إلى الخاتم الماسي الكبير الذي يزين إصبعها كيف استطاعت أخيرا الإيقاع بهذا البليونير منذ أن كانت سكرتيرته في العمل وكاتمة أسراره. فهي على الرغم من جمالها المبهر إلا أنها كانت تعلم انه ليس بالجمال وحده تستطيع المرآة الإيقاع برجل ناجح والاحتفاظ به. وكانت مقتنعة أن الإغراء الحقيقي يبدأ من العقل أولا ثم الجسد. فاستعملت" راوية" كل أسلحة الإبهار التي تجيدها لتسحوذ على قلب هذا الرجل، غازلت عقله برجاحة آرائها وحكمتها في التعامل مع الناس وكتم أسراره مهما كانت، وألهبت خياله الجامح بأحلام يتمناها رجال كثيرين. كما كانت تبهره دائما بجمالها الأخاذ، فـ"راوية" كانت أمرآة جميلة جدًا، إذا دخلت مكان التفت عيون الرجال والنساء معا لتتمتع بجمالها الصارخ. كانت طويلة، شعرها اسود طويل ومتمرد في تموجات رائعة، وجهها بيضاوي له بشرة ناعمة

وردية، عيناها في سواد الليل وجسدها في روعة جسد "هيفا وهبي". جمالها كان هو الباسبور الذي لا يحتاج إلى أي فيزا للمرور إلى قلب أي رجل، ومن اجل جمالها وحده عينها "رشدي" في مكتبه لتعمل مساعدة لمديرة مكتبه الأولي. عينها "رشدي" وهو يعلم أنها لا تعلم أي شيء عن دنيا الـ"بيزينس" ورجال الأعمال وان خبرتها محدودة ولم يكن يتوقع منها أن تنجح في العمل ولكنه عينها في مكتبه لتكون ديكور كأي فازا أو لوحة فنية جميلة يبهربها أي شخص يدخل مكتبه. ولكن "راوية" في خلال سنوات قليلة أثبتت ذكاءً غير عادي وكفاءةً نادرةً في العمل، تعلمت بسرعة أصول المهنة من مديرة المكتب الأولي وتفوقت عليها، وإذا خانتها كفائتها في بعض الاحيان كان جمالها ودلالها أكبر شفيعا لها في قلب "رشدي ناصر". ومع الأيام استطاعت "راوية" أن تزيح مديرة مكتب "رشدي" الأولي من طريقها والاستحواذ على مكانها لكي تصبح مديرة مكتبه وكاتمة أسراره الأولي. أصبحت أهم شخصية في حياة "رشدي" فكان يعتمد عليها في كل شيء حتى الأشياء التي لا تخص العمل. فكانت مثلا هي التي تختار بيوت الأزياء العالمية لشراء ملابسه واحتياجاته الخاصة عندما تسافر معه إلى أوروبا، كما كانت مسئولة عن كل المجاملات الاجتماعية بما فيها أعياد ميلاد أبناءه وبناته فهي التي كانت مسئولة بأن تذكره بهذه المناسبات وهي التي ترسل إليهم الورود والهدايا باسمه.

ومن خلال العمل أصبحت " راوية" أكثر شخص يقضي مع "رشدي" أوقاته فهم يعملون لساعات طويلة، يسافرون كثيرًا ويخرجون كثيرًا في حفلات تخص العمل، وبالتالي اقتربت

"راوية" أكثر وأكثر من حياة "رشدي" وأصبحت تعرف كل كبيرة وصغيرة عن حياته العملية والخاصة. فعرفت انه ليس على وفاق مع زوجته وأم أولاده " سهام ابو الفتح". فهو لم يكن أبدًا سعيدا منذ اليوم الأول لزواجهما ولكن الحياة كانت مستمرة حفاظا على العشرة الطويلة والأولاد الأربعة.

" سهام ابو الفتح" امرأة من عائلة كبيرة في مصر، تزوجت "رشدي" عن حب وبدأت معه السلم من أوله " فرشدي" لم يرث العز من أهله أبدًا، بل على العكس كان من بيئة اقل من العادي. أحبته "سهام" وبدأت معه المشوار وهاجرت معه لأمريكا لسنوات طويلة حتى أصبح "رشدي" من اغني الأغنياء. وبدأ ككثير من الرجال عندما يصبحون من أصحاب الملايين في إقامة علاقات كثيرة مع أخريات والتصرف بطريقة لا تليق برجل متزوج. ولاحظت "سهام" هذه التغيرات التي طرأت على شخصيته وعلي حياته الخاصة، التي أصبحت عامة لكل الناس لأن مغامراته النسائية كانت على كل لسان المجتمع الراقي. وكانت "سهام" تحاول إلا تعرف عن هذه العلاقات أو تتدعي عدم المعرفة لكي تحافظ على كرامتها، ولكنها لم تستطع أن تصمد كثيرًا أمام الحرب الشعواء التي أعلنتها عليها "راوية" فعلمت "سهام" أن زوجها وقع في شباك سيدة في غاية الذكاء والجمال سيطرت عليه سيطرة كاملة حتى اقتنع انه لا يستطيع العيش بدونها. فتخلي" رشدي" عن زوجته وأم أولاده بحجة أن الأولاد قد كبروا وأنهم يستطيعوا الآن أن يتحملوا الانفصال فما الداعي للاستمرار في حياة زوجية رتيبة.

كما برر الطلاق بأنه أصبح يعيش مع زوجته في نكد دائم ومنفصلين عن بعضهما جسديا وروحيا لمدة تزيد عن

الخمس سنوات وان الإنسان يعيش مرة واحدة ويجب عليه أن يتمتع بحياته بالطريقة التي تعجبه. ونتيجة لذلك فالطلاق سيكون خيرا للطرفين. وبالفعل تم الطلاق وماتت "سهام" في شهور من جراء مرض عضال فاشتري" رشدي" فيلا جديدة أنيقة في ٦ أكتوبر وانتقلت معه "ريهام" البنت الصغري للعيش فيها معه، أما باقي أولاده فهم متزوجون ويعيشون مستقلين في بيوت منفصلة عن أبيهم.

لم تشعر "راوية" أبدًا بتأنيب الضمير لأنها خربت بيت وتسببت في إفساد حياة زوجية دامت عشرين سنة، لأنها كانت تعتبر نفسها دائما ضحية، ضحية زوجها السابق الذي تزوجته عن حب ولكن الأيام أثبتت لها أنه نذل وفاشل. فالأيام الحلوة لم تدم كثيرًا وسرعان ما انتهت وانتهي معها الحب بعد أن ظهر"سعيد" على حقيقته واكتشفت أنه أناني وغير مسئول واعتقدت أن ولادة طفل ستغير منه ولكن هيهات لم تتغير شعرة واحدة في "سعيد" حتى بعد أن علم أن زوجته حامل.

فترة الحمل كانت أسوأ فترة تعيشها "راوية" لأن "سعيد" كان مفلس تماما لدرجة أن المنزل كان يخلو من طلبات البيت الأساسية وكانت الثلاجة فارغة تماما إلا من بعض البيض واللبن.ومن هنا استحالت الحياة بينهما فقررت"راوية" أن تهجره وان تتخلي عن حملها فهي لا تريد أي شيء يربطها بهذا الإنسان الفاشل. ولكن والدتها ظلت تقنع فيها بالا تتخلي عن بيتها وان تصبر على زوجها. فمن المؤكد أن الطفل سيجعل منه إنسانًا جديدا مسئولا.ولكن ولادة "سعيد" ظل كما هو إنسان بارد، فاشل، بلا طموح ولا كرامة ولا يمل من قعدة النادي بلا عمل وإنفاق النقود القليلة التي يملكها على التفاهات. كرهت

"راوية" حياتها أكثر وأكثر لأنها كانت تحس بالمهانة والذل. فحياتهم تعتمد على المنح والسلف التي يستطيع "سعيد" أن يجمعها من الأهل والأصدقاء. فكانت دائما تندب حظها وتتسائل كيف اختارت رجل فاشل مثل زوجها وهي الفتاة الجميلة الذي يتمناها الكثير وكان بامكانها أن تتزوج أي رجل آخر تريده. ولكن الحب يعمي العيون أحيانا عن العيوب إلى تكون غالبا واضحة كالشمس ولكننا نكذب عيوننا وعقولنا لأننا نحب ونريد أن نستمتع بهذا الحب.

وبعد ولادة صفا اضطرت "راوية" أن تنزل إلى العمل لكي تسد احتياجات البيت واحتياجات طفلتها. ولكن نظرا لأنها لم يكن لديها أي خبرة سابقة فلم تستطع أن تحصل على عمل جيد بمرتب عال. بل اضطرت إلى قبول وظيفة متواضعة في شركة طيران صغيرة. وكانت ساعات العمل طويلة فكانت "راوية" تخرج في الصباح الباكر وتعود إلى المنزل في وقت متأخر وهي مستهلكة من العمل وليس لديها أي طاقة للاهتمام أو لرعاية طفلتها.

ومع مرور الوقت أصبحت "راوية" تعيش مع "سعيد" حياة شبه منفصلة حتى جاء اليوم الذي اشتغلت فيه في إحدي شركات "رشدي ناصر" وتعرفت عليه وعرفت من عيناه أنها حظت بإعجابه. ومن هنا بدأت "راوية" في التخلص من "سعيد" والتخطيط للزواج من هذا الرجل. فهي كانت تعرف أنها ممكن أن تكون صديقته الحميمة ولكنها لم تكن ترضي بهذا الوضع وأرادت أن تكون الملكة في إمبراطوريته وليس واحدة من محظياته. وبالفعل تخلصت "راوية" من زوجها ووضعت خطة محكمة للسيطرة على صيدها الثمين وامتلاك

قلبه وعقله خاصة أنها كانت دائما في منافسة شديدة مع الكثير من الجميلات اللاتي يحاصرنه في كل مكان. وبعد فترة طويلة من عملها معه في الشركة استسلم "رشدي" إلى خطط "راوية" للإيقاع به وعرض أخيرا الزواج عليها. كادت "راوية" أن تطير من الفرحة، أخيرا وجدت الرجل المناسب والحياة المرفهة التي تبحث عنها وبسرعة قررت الزواج منه في أسرع وقت ممكن قبل أن يغير رأيه أو يتعلق بامرأة أخري.

obeikandl.com

يا فرحة ما تمت...

انبهرت" راوية" بعالم" رشدي ناصر"، فهو عالم مليء بالرفاهية والجمال.فكانت تقضي معظم أيام السنة في رحلات ترفيهية لأوروبا فكانت في الشتاء تسافر إلي "باريس" وميلانو" اهم عواصم العالم للموضة لشراء أفخر الثياب والإكسسوارات كما كانت تسافر إلى سويسرا بالتحديد إلى منتجع" السورفيتا" بسان موريتز لممارسة رياضة التزلج على الجليد. أما بالنسبة للصيف فكانت تقضي نصف الصيف في مدينة" كان" بفرنسا والنصف الآخر في فيلا" رشدي ناصر" الفاخرة في" مربيلا" بأسبانيا. كما كانت تسافر بكل بساطة لقضاء الويك ايند في "بيروت" أو"لندن". السفر بالنسبة إليها كان جزءً كبيرًا من حياتها الجديدة التي كانت سعيدة وفخورة بها جدا، فهي فخورة لأنها تعبت وحاربت حتى تحصل على هذه الحياة وسعيدة لأنها أخيرا انتصرت وعوضها الله عن الأيام الكئيبة التي عاشتها مع "سعيد مازن".ولكن بسبب هذه الأسفار الكثيرة لم يعد عندها الوقت الكافي لرؤية ابنتها صفا. ولذلك ضعفت العلاقة بينهما وأصبحت هشة وعلي الرغم من ذلك لم تكن "راوية" تحس أبدًا بتأنيب الضمير، لأنها كثيرا ما كانت تعرض على ابنتها السفر معها ولكن صفا كانت دائمة الرفض لأنها لم تكن ترتاح أبدًا في الجو الصاخب الجديد الذي تعيش فيه أمها. وكانت "راوية" تكتفي

بالأيام القليلة التي تقضيها صفا في فيلا زوجها أو يتقابلوا في أي مكان عام كالنادي أو المطاعم لأنها لم تكن تحب أن تزور ابنتها كثيرا في شقة الزمالك التي طالما عاشت فيها أيام تعيسة ومهينة. كانت" راوية" تعرف جيدا في قرارة نفسها أن زيجتها من" رشدي ناصر" أبعدتها كثيرا عن ابنتها ولكنها لم تكن تهتم كثيرا لأنها تعرف أن علاقتها مع ابنتها كانت دائما في توتر وجفاء وان ابنتها ترفض التكيف مع المجتمع الجديد الذي أصبحت "راوية" جزءا منه.

كانت" راوية" تعيش أجمل أيام حياتها، وكانت تشعر بأنها أمسكت السماء بيديها لحظة ما تزوجت من "رشدي"، ولكن سرعان ما تغيرت أحاسيسها وخمدت فرحتها التي كانت واضحة كالشمس لأي شخص ينظر في عينيها لأن "رشدي" تغير أو بالأصح لم تستطع هي تغييره وإصلاحه كما اعتقدت عندما كانت تخطط لتتزوجه. "فرشدي" ظل كما هو زير نساء يثير الاشمئزاز، لم يكن يشبع أبدًا من نزواته المتكررة بل على العكس كان يزداد فخرا كلما أوقع فتاة أو أمرآة جميلة في شباكه وكان يستمتع بملاحقة النساء وإبهارهن بالهدايا الثمينة حتى يقعن فريسة له فيستمتع بهن ثم يبحث عن غيرهن. والسبب في تمسكه" براوية" والإبقاء عليها زوجة له، هو أنها أصبحت أهم شخص في حياته العملية قبل حياته الشخصية. "فراوية" أثبتت ذكاء وشطارة غير عادية في العمل مما جعله دائما حريص على ألا يغضبها حتى لا تتركه. فهي ساعده الأيمن في كل أعماله حتى ما يتعلق بالسلاح، فثراء "رشدي" الفاحش كان نابعا من الاتجار بالسلاح. كان "رشدي" متورط في صفقات مشبوهة لتهريب السلاح إلى

أماكن النزاع في العالم مثل لبنان، العراق وغرب أفريقيا. بدأ عمله في تجارة السلاح في بداية الثمانينات عندما كان يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية والتي أمضي فيها عشرين سنة مع زوجته الأولي، ومن خلال هذه السنوات كان يقوم بصفقات كبيرة خلال الحرب العراقية الإيرانية فكان يعمل على تسليح الطاغية صدام حسين وإمداده بالأسلحة المطلوبة للحرب. وكانت الحكومة الأمريكية سعيدة بذلك وتوافق عليه لأن "رشدي" يساعد الجيش الذي يحارب إيران عدو أمريكا اللدود، فكانت كل الصفقات تتم في نجاح وبمساعدة من المخابرات الأمريكية. وعندما نشبت حرب الخليج تلقي "رشدي" أوامر صارمة من المخابرات الأمريكية بوقف كل صفقات السلاح مع العراق لأن صدام حسين أصبح الآن عدو أمريكا من اللحظة الأولي التي هاجم فيها الكويت. فحول رشدي نشاطه إلى لبنان وتسليح الميليشيات. وهناك استطاع أن يكون شبكة قوية من العلاقات المشبوهة لشراء السلاح من روسيا وبعض دول أوروبا الشرقية. فتخلي "رشدي" في هدوء عن أصدقائه الأمريكيين ونقل مقر إقامته إلى مصر وأصبح صديق جديد لأوروبا الشرقية. ومن هنا بدأ في بيع السلاح لمعظم بؤر النزاع في العالم وحتى الأماكن المفروض عليها حظر بيع السلاح من قبل الأمم المتحدة. ولم يصبح يهتم أبدًا بإرضاء أمريكا كما كان يفعل في الثمانينيات ولا يهتم بنوعية العملاء الذين يتعامل معهم فكان يتعامل مع جميع المجرمين والعصابات العالمية التي تعمل في السلاح. كل ما يهمه هو إتمام صفقات ناجحة ومربحة لأي جهة في العالم مهما كانت. ومن خلال الثروة المهولة التي جمعها استطاع أن

يعمل في شتي المجالات المربحة ومنها الاستيراد والتصدير والمقاولات والسياحة. وعندما علمت" راوية" بموضوع الاتجار بالسلاح انزعجت في باديء الأمر ثم أغمضت عينيها وغيبت عقلها عن بشاعة هذه التجارة وعن الأموال الملوثة بالدماء التي تتمتع بها كل لحظة. فهي منذ أن ذاقت طعم العزو الأبهة نست كل شيء، أخلاقها وقيمها وكرامتها وحتى ابنتها.

وعلي الرغم من السلبيات والأشياء الكريهة التي اكتشفتها"راوية" في حياة "رشدي" إلا أنها لم تحاول أن تهجره بل على العكس تمسكت به أو على الأصح تمسكت بهذه الحياة المرفهة المغموسة بالدماء وفضلت أن تظل "مدام رشدي ناصر" الاسم الذي يفتح جميع الأبواب المغلقة ويزيل كل العقبات.

وبدلا من أن تزداد ثقة "راوية" بنفسها، انهارت هذه الثقة تماما أمام نزوات زوجها المتعددة التي حطمتها تماما، فعلي الرغم من جمالها الأخاذ لأمرآة في الخامسة والخمسين من عمرها، إلا أنها أصبحت تلجأ دائمًا بشكل مرضي إلى مشرط دكتور التجميل، فكانت تستغل سفرياتها المتعددة لإجراء تعديلات في شكلها، مرة حقن الوجه بالـ"بوتوكس"، مرة نفخ الشفايف، مرة تعديل الأنف الذي لم يكن أبدًا سيء، كانت تسعي دائما إلى الكمال. ولم يسلم جسدها أيضًا من مشرط دكتور التجميل فأجرت عمليات كثيرة لتجميل الصدر، مرة تكبر صدرها بصورة مبالغ فيها على طريقة الفنانة الأمريكية "باميلا اندرسن" ثم تندم على ذلك وتحس أن شكلها صناعي زيادة عن اللزوم، فتلجأ إلى تصغيره مرة أخري. عمليات التجميل والتغيير في تضاريس الوجه والجسم أصبحت بالنسبة إلى " راوية" في سهولة تغيير الجوارب

والجسم أصبحت بالنسبة إلى " راوية" في سهولة تغيير الجوارب وتحولت إلى دمية جميلة "لسه خارجة من الفابريكة" وأصبحت في جمال فنانات الفضائيات. كانت صفا تسخر من عمليات تجميل والدتها وتضحك عليها حتى أطلقت عليها اسم "فيرجينيا جميلة الجميلات" تشبهًا بالدور التي قامت به الفنانة "ليلي فوزي" في فيلم "الناصر صلاح الدين".

obeikandl.com

شوكولاتة..

جلست صفا تحتسي الكابوتشينو في الكوفي شوب الخاص بـ"الديوان المكتبة المعروفة بالزمالك والتي تعودت صفا أن تذهب إليها كثيرا خصوصا في ساعات الصباح الباكر قبل التوجه للعمل فهي تستمتع برائحة القهوة الدافئة التي تملاء المكتبة وتستمتع بالجو الهادئ المحيط بالمكان. كانت في هذا اليوم تجلس تتصفح أحد الكتب فضجرت منه بسرعة وقررت أن تقوم وتختار كتابًا آخر لتتصفحه. فقامت من مقعدها وهي تمسك في يدها كوب القهوة الساخن وبدأت في التجول بين الزبائن الجالسين حولها وفجاءة لم تنتبه إلى السلك الطويل الممدود على الأرض فتعثرت خطواتها واختل توازنها وسقطت القهوة من يديها. سقطت القهوة كلها بالضبط في حقيبة عمل خاصة بأحد الزبائن في المكتبة. ارتعش جسدها المكتنز في خجل وبدأت في التمتمة بكلمات غير مفهومة ولكن المقصود منها الاعتذار لصاحب الحقيبة. فوقف "عمر رضوان" لتفقد حقيبته وأوراقه التي تسبح في القهوة والتقت عيناهم لأول مرة.

فقال عمر في هدوء لا يتناسب أبدًا مع الموقف: حصل خير.. معلهش

فردت صفا في ارتباك شديد وجسدها كله يرتعش من فرط الإحراج: أنا متأسفة جدا ما كانش قصدي والله بس

السلك هو اللي...

قاطعها عمر وهو مشفق عليها من التوتر الشديد الظاهر على وجهها: ارجوكي خلاص مافيش مشكلة، دلق القهوة خير زي الناس ما بتقول، أهم حاجة إن ايديكي كويسة ماتلسعتش من القهوة

ردت صفا وهي تبتسم ابتسامة شاحبة: لا الحمد لله أنا ماحصليش حاجة القهوة كلها اتدلقت في شنطتك

قال عمر وهو يبتسم: آه فعلا ما الورق كله غرقان اهوه

ردت صفا والأسف والإحراج يظهران على كل قسمة من قسمات وجهها الرقيق: أنا مش عارفة أقول أيه والله... أنا خايفة أكون بوظتلك أوراق مهمة

قال عمر: هي فعلا مهمة جدا

فقاطعته صفا في سرعة وهي تكاد أن تبكي: يا خبر أبيض طب هتعمل أيه دلوقتي

فرد عمر في هدوء وابتسامة عريضة تتوسط وجهه البشوش: ما تخافيش لحسن الحظ أنا عندي الورق ده على الـ"لاب توب" وممكن اطبعه تاني

ارتاحت ملامح صفا أخيرا وأطلقت تنهيدة طويلة وهي تقول: الحمد لله... ثم استأذنت في هدوء ولملمت كل أغراضها في سرعة وخرجت من الديوان مسرعة في طريقها للعمل.

❖ ❖ ❖

انتهت صفا بسرعة من يومها في المجلة التي تعمل فيها لأنها لم يكن عندها الكثير من العمل كمعظم الأيام، فالمجلة

متخصصة في نقل أخبار الناس أو على الأخص نقل أخبار شريحة معينة من المجتمع التي تنتمي إليه والدتها. فالمجلة تختار وجوه من سيدات المجتمع اللامع وتخصص لهم صفحات طويلة عن ملابسهم، عطورهم، مقتنياتهم الشخصية ومنازلهم. وكانت صفا متخصصة في كتابة المقالات عن بيوت نجوم المجتمع الأثرياء في مصر وتذهب عادة للتصوير ومقابلة صاحب أو صاحبة المنزل مع المصور وطاقم العمل.

انتهت صفا من عملها وذهبت لشراء بعض الأغراض من السوبر ماركت. وعادت صفا إلى شقتها الصغيرة بالزمالك وهي محملة بأكياس بلاستيكية كثيرة. فتحت باب الشقة فعانقها ظلام دامس، أضاءت نور الردهة في سرعة ومرت على كل حجرات البيت حتى الحمامات لتنير كل الأنوار الممكنة ثم اتجهت إلى أجهزة التليفزيون والراديو وفتحتهم ورفعت صوتهم لكي يرن في إرجاء البيت كله فهي تكره إحساس أنها وحيدة في المنزل حتى أنها اعتادت أن تنام ونور الغرفة مضاء.

دخلت صفا إلى حجرتها وارتمت على السرير وأخذت تحملق في السقف وهي تتخيل حياتها مع أمها لو كانت قبلت أن تنتقل للعيش معها في قصر زوجها ٦ أكتوبر. كيف كانت ستكون الحياة؟ كانت ستعيش في "سويت" خاص بها وسيعمل الكثير من الشغالين على خدمتها ورعايتها ولكنها لن تستطيع أن تتعايش مع "ريهام" البنت الصغري لرشدي، فهي شخصية صعبة ولا تقبل "راوية" أو "صفا" لأنها تعرف أن "راوية" شخصية أنانية ووصولية وتعرف أنها خططت كثيرا لتهدم بيت الأسرة الذي دام أكثر من عشرين عامًا وسعت إلى الزواج من والدها بأي طريقة.وحتى لو احتملت صفا

سخافة "ريهام" ونظرات الاحتقار التي تحاصر بها صفا فكيف ستكون الحياة في غياب" راوية" فوالدتها تتواجد في القاهرة مدة لا تتروح الستة أشهر في العام كله. فماذا ستفعل هي في غياب أمها؟ وحتي لو سافرت معها ، فهي لا تقوي على ستايل حياة مدام" رشدي ناصر" الجديد فهي تعيش في جو حفلات دائم ويحيط بها مجموعة من الناس يّدعون أنهم أصدقاءها ولكنهم في الحقيقة مجموعة من المنافقين لا يهمهم إلا الظهور في مجلات المجتمع والتباهي بشراء البيوت في أشهر المنتجعات العالمية ، أو التفاخر باقتناء أغلي المجوهرات والملابس والحقائب.كما أن علاقة صفا بوالدتها لم تكن أبدًا علاقة سوية مثل علاقة أي أم وابنتها بل كانت علاقة متوترة تشوبها الخلافات والانتقاد اللاذع لشكل صفا وشخصيتها. فـ"راوية" لا تكف أبدًا عن السخرية من جسدها المكتنز، وملابسها البسيطة التي تفتقر إلى الأنوثة والشياكة وتعاتبها دائما على تصرفاتها المرتبكة الخالية من أي ثقة بالنفس. ومن أجل هذه الأسباب أحست صفا أن قرارها بتقسيم الحياة بين منزل والدتها وشقتهم القديمة بالزمالك هو عين العقل.

❖ ❖ ❖

أحضرت صفا الصينية التي تحمل وجبة الغذاء وجلست أمام التليفزيون تبحث في سرعة عن محطتها المفضلة "روتانا زمان". فهي تجد في الأفلام العربية القديمة متعة وإحساس غريب بالراحة والاطمئنان فعلي الرغم من مشاهدة غالبية الأفلام التي تعرض على القناة للمرة الألف، إلا أنها لا تمل أبدًا من هذه الأفلام وخاصة الأفلام الرومانسية كفيلم "نهر الحب" و"المرآة المجهولة" و"أغلي من حياتي" فهي تعيش بكل مشاعرها مع

أحداث الفيلم وأبطاله وتتخيل نفسها مرة في رقة "فاتن حمامة" ومرة في شقاوة "سعاد حسني" ومرة في برأة "مريم فخر الدين" كما تتخيل نفسها تعيش قصص الحب مع أكثر النجوم وسامة ك"عمر الشريف" و"احمد رمزي". تهرب صفا كل يوم من فراغها ومن وحدتها القاسية إلى عالم الأبيض والأسود حيث الرومانسية والمشاعر الرقيقة

كانت حياة صفا كلها تتلخص في الذهاب لمكتبة الديوان في الصباح ثم العمل والعودة إلى المنزل في المساء وأكل الشوكولاتة ومشاهدة "روتانا زمان" حتى اليوم التالي. كانت إنسانة منغلقة تمامًا على نفسها قليلة الخروج تفضل الزيارات المنزلية والسينما عن الخروج للأندية والأماكن العامة. فكانت تقضي الأمسيات دائما أمام الأفلام العربية الأبيض واسود تشاهد واحد تلو الآخر حتى الواحدة صباحا وهي تأتنس بطبق كبير من الشوكولاتة وببطرمان حجم عائلي لكريمة الشوكولاتة. تشاهد الأفلام وتأكل بنهم واستمتاع فالشوكولاتة تعطيها إحساس بالسكينة والمتعة التي تفتقدهما فهي لم تتعود أن تدخن أو أن تشرب تعودت فقط على أكل الشوكولاتة بطريقة مبالغ فيها.ملجأها الوحيد ومزاجها في الحياة هو قناة "روتانا زمان" والشوكولاتة. وبالطبع نتيجة لذلك لم يسلم وجهها أو جسدها من آثار الشوكولاتة المدمرة، فوجهها امتلاء بالبثور الحمراء وجسدها فقد جماله بعد أن تراكمت عليه الشحوم. وبعد الانتهاء من الأفلام والشوكولاته تدخل إلى السرير لتكلم صديقة عمرها وحبيبتها "شن شن".

❖ ❖ ❖

مرت صفا على مكتبة الديوان بعد مرور أسبوع من حادثة سكب القهوة في حقيبة أحد الزبائن وجلست تتصفح احد الكتب وهي تستمتع بقهوة الصباح فسمعت صوت رجالي ودود يقول لها: صباح الخير فنظرت خلفها فوجدت "عمر" الشاب الذي سكبت في حقيبته قهوتها الأسبوع الماضي.ردت صفا في ارتباك: أهلا ازيك

رد عمر في مرح: كله تمام أنت بتيجي هنا كثير باين عليكي

قالت صفا وهي تتفقد المكان كأنها تتأمله لأول مرة: آه فعلا أنا بحب هنا قوي خصوصا الصبح

قال عمر: أنتي ما بشتغليش؟

ردت صفا: لا طبعا بشتغل بس بروح الشغل متأخر علشان كده باجي الصبح أقرأ شوية واخد قهوة

قال عمر وهو يهم بالرحيل كأنه تذكر موعد مهم فجاءة: يبقي أكيد هاشوفك كثير أنا باشتغل في شركة إعلانات في نفس الشارع، وباجي غالبًا الصبح أخد كابوتشينو وسندوتش من هنا... أنا ما اتعرفتش عليكي؟

ردت صفا في سعادة غير مفهومة: اسمي صفا... "صفا مازن"

عمر: وأنا اسمي "عمر رضوان"....طب مش هطول عليكي بقي أنا لازم أجري على الشغل دلوقتي وأكيد هاشوفك تاني بما أنك بتيجي هنا كثير

وانتهي اللقاء السريع ولكن صفا أحست إحساس مختلف هذه المرة، أحست أن هذا الشخص فيه شيء مميز شيء يجذبها وفي لحظة خاطفة أخرجت الموبايل من حقيبتها دون أن

تفكر وطلبت " شن شن" صديقتها الأنتيم. فرد عليها صوت واهن، صوت يأتي من أعماق السرير:الو خير في ايه؟

قالت صفا في سعادة غامرة وصوتها كلها يرقص من الفرح: شفته تاني شفته...

ردت شن شن متسألة وهي تتثأب: هو مين ده؟

امتزج صوت صفا الرقيق بنبرة خجل وفرحة: الولد الظريف اللي دلقت في شنطته القهوة؟ شوفته تاني النهارده وسلم عليا

استغربت شن شن من كلام صديقتها ثم قالت ساخرة ومداعبة:سلم عليكي؟ أمال لو قال لك يالا نخرج هتعملي ايه؟ بقول لك ايه المرة الجاية اللى تصحيني فيها من النوم لازم يبقي في حاجة مهمة لأني مش مستعدة اصحي في يوم إجازتي اسمع الهبل ده

انتفضت صفا في غيظ: كده برضه!!

قالت شن شن متعجبة: طبعا كده وابو كده! أنت بتكلميني بدري في اليوم الوحيد اللى بنام فيه وبرتاح من قرف الشغل علشان تقولي كلام المراهقين ده؟! أنا رديت عليكي بس علشان أنتي لوحدك في البيت وخفت لا تكوني تعبانة ولا حاجة...بقول لك ايه أنا مش هضيع وقتي أكثر من كده وهحاول أنام تاني يا ريت تنسيني شوية ... هكلمك لما اصحى باي. وقفلت" شن شن" التليفون من دون أن تسمع رد من صفا

بدأ الإعجاب بـ"عمر رضوان" يسيطر على قلب صفا وبدأت تفكر فيه ليلا ونهارا وتتمني رؤيته في أي وقت حتى لو لدقائق معدودة ولذلك أصبحت تمضي في مكتبة "الديوان" فترات أطول مما كانت معتادة عليه لعل القدر يساعدها وتلقاه

مرة أخري فكانت تذهب إلى المكتبة لقراءة الكتب وشرب القهوة والانتظار ساعات طويلة لتري "عمر" ولكن تمر الأيام و"عمر" لا يظهر فتحس صفا بخيبة أمل كبيرة ولكنها لا تمل من الذهاب والانتظار.

وفي يوم من الأيام كانت صفا تشرب القهوة وتتخيل الأعذار التي ممكن أن تمنع "عمر" من الذهاب إلى "الديوان" فسمعت فجاءة صوت دافيء يقول لها: أنتي مستنية حد؟ رفعت صفا عينيها لتري "عمر" بمظهره الجميل ووسامته الواضحة. لم تصدق صفا عيناها وأحست أنها تحلم وأرادت أن تفرك عيناها بشدة لتتأكد من أن الذي يقف أمامها هو "عمر" وليس شخص أخر. ومن شدة فرحتها أحست أن العاملين "بالديوان" والزبائن كلهم لاحظوا سعادتها وعرفوا سبب ترددها المستمر على المكتبة. ردت صفا في صوت مرتبك: أنا؟! لا مش مستنية حد.... أزيك يا "عمر"

رد "عمر": كويس إنك لسه فاكره اسمي...ثم سألها في أدب: ممكن اقعد؟

قالت صفا في فرحة وهي تتحسس شعرها ومنظارها السميك في حركة لا إرادية: طبعا اتفضل...

قال عمر في ثقة :كنت متأكد أني هلاقيكي هنا...

ردت صفا في حياء: أنا باجي على طول بس أنت اللى ما بتجيش بقالك شوية

نظر بعمق عبر النظارة السميكة وكأنه يبحث عن عيون صفا الزرقاء التي لا تكاد أن تظهر: فعلا..وقال:كنت مشغول ومسافر، لسه واصل أول امبارح وجيتي على بالي قوي ففكرت

إني ادخل أجرب حظي في المكتبة على أمل أني أشوفك

ابتسمت صفا في خجل: واديك شفتني..

فرد عمر في سرعة: هتعملي ايه يوم الخميس الجاي؟

ابتسمت صفا: ولا حاجة..

عمر: ايه رأيك نتعشي بره؟ ولم ينتظر عمر الرد فقال: خلاص هاعدي عليكي هنا في الديوان الساعة ثمانية ونصف بالضبط وادي نمرة موبايلي خليها معاكي... اتفقنا؟

ردت صفا وهي تكاد تكون تطير من الفرحة: اتفقنا..

جلست صفا في مكتبة الديوان تشرب القهوة وتنتظر "عمر" بفارغ الصبر كانت سعيدة جدا أن "عمر" عرض عليها الخروج في موعد غرامي فهي لم تعتاد على ذلك ولا تتذكر متي كان أخر موعد خرجت فيه مع شاب. فهي على الرغم من انها في الثالثة والثلاثين من عمرها إلا أنها لم تواعد شباب إلا مرات قليلة جدا. جلست تراقب كل المارين في الشارع لعلها تجد "عمر" في وسطهم وأخيرا ظهر عمر الذي دخل إلى المكتبة في سرعة وسأل صفا: أتأخرت عليكي

قالت صفا في نبرة لا تخلو من الحياء: لا أبدًا أنا اللى جيت بدري

رد عمر مداعبا: أنت عارفة بقة مصر وشوارعها المشوار اللى ياخد عشر دقايق ممكن تقعدي فيه نصف ساعة وساعة بتدوري على حتة تركني فيها العربية ثم ابتسم في هدوء وقال: بس غريبة انك بتقولي انك جيتي بدري عن الميعاد...حلوة صراحتك دي قوي...غالبا البنات بيحبوا يتأخروا ولو وصلو بدري ما يحبوش يقولوا..

قالت صفا في براءة: ليه يعني؟

رد عمر: نوع من التقل... يعني أنا أي بنت خرجت معاها كانت لازم تلطعني شوية وبعدين تيجي...ثم قال في سرعة كأنه تذكر شيئا مهما: إيه اللى احنا بنقوله ده يلا بينا كفاية تضييع وقت...

ردت صفا وعيناها تلمعان من الفرحة: على فين؟

قال عمر في غموض:مفاجئة

ركبت صفا مع عمر السيارة الـ"هيونداي" الذي يملكها واخذ يطوف بها في أنحاء المدينة وهي تسرح بخيالها وتحاول أن تعرف ما هو المكان المفاجئة الذي سيأخذها فيه. وأخذت تفكر في أكثر الأماكن رومانسية وتتخيل نفسها مرة تتناول العشاء على أضواء الشموع على مركب في النيل، ومرة تتخيل نفسها في مطعم شاعري وبه فرقة موسيقية تعزف احلي الألحان ومرة تري نفسها على حصان ابيض مع "عمر" يطوف بها في صحراء ساحرة... عاشت في دنيا الأحلام تسرح بخيالها هنا وهناك حتى أدركت أن "عمر" يقود السيارة في أكثر الأماكن الشعبية وازدحاما في القاهرة. وفجأة توقفت السيارة في شارع مزدحم في منطقة الأزهر ونظر إليها وقال: وصلنا خلاص

نظرت إليه صفا في تعجب ثم سألته: انزل؟!

رد عمر: آه يالا علشان ما نتأخرش

نزلت صفا من السيارة وهي مصدومة من المنطقة وتغيرت ملامح وجهها كله فبعد أن كان وجهها يكاد ينطق بالسعادة والهيام تغير في لحظات قليلة إلى وجه جامد ومصدوم. جذب "عمر"يد صفا في سرعة وأخذ يطوف بها في وسط الزحام من

شارع إلى شارع حتى وصلوا أخيرا إلى المكان المنشود. لحظات من الصمت الثقيل مرت على صفا على الرغم من ضوضاء الشارع المحيطة بهم فقطع عمر هذا الصمت بسؤال: بتحبي الحمام؟

نظرت صفا إلى وجه عمر في استغراب: حمام؟

قال عمر وهو يترقب رد صفا في قلق: ما تقوليش إنك مش بتحبيه، هزعل قوي أنا أصلي باموت في الحمام دي أحلي أكله عندي واحلي حمام مشوي تاكليه هنا في "فرحات"

انتبهت صفا فجأة إلى المكان التي تقف فيه فوجدت نفسها في مطعم بسيط للغاية على الرصيف في الشارع عبارة عن عدة كراسي ومناضد قديمة بالية مغطاة بمفارش بلاستيكية لا تخلو من البقع والثقوب. وزبائن من جميع الفئات والأعمار يستمتعون بالطعام وسط جيش من القطط التي تنتظر "اللي فيه القسمة" وفجاءة تنبهت صفا إلى كلام عمر فسألته: ايه "فرحات" ده

عمر: ما تقوليش إنك ما تعرفيهوش..ده من أحسن المطاعم إلى في مصر خدمة هايلة أكل مافيش كده والمكان مختلف مش ممكن هتلاقي زيه في الدنيا دي كلها.... مكان كده كله أصالة وخفة دم.

نظرت صفا إلى عمر نظرات فارغة غير معبرة ولم ترد بكلمة على كلامه وأحست بخيبة أمل كبيرة.

فهي لم تتوقع ولو للحظة أن مفاجئة عمر ستكون بهذا الشكل. كانت تأمل أن يأخذها إلى مكان هادىء وشاعري أما "فرحات" بتاع الحمام فهو ابعد ما يكون عن الرومانسية والهدوء.

❖❖❖

عادت صفا إلى شقتها الصغيرة في الزمالك وهي تحس أنها فشلت في أول موعد لها مع "عمر" وجلست على الأريكة في حجرة المعيشة في تعب وطلبت "شن شن" للدردشة معها فجاءها صوت شن شن المرح على الخط يقول: عملتي إيه طمنيني اخدك فين؟

ردت صفا في سخرية: خمني

قالت شن شن: مطعم على النيل

صفا: يا ريت

شن شن: طيب المطعم المشهور اللى في الدور العشرين في الفندق الجديد؟

ردت صفا في احباط: برده يا ريت

ثم قالت شن شن وصوتها يعبر عن نفاذ صبرها: مش عارفة غلب حماري قولي أنت

ردت صفا في سخرية اشد من المرة الأولي: لا بجد عايزاكي تخمني أكثر من كده

ثم سألتها شن شن في ضيق: اافف.... هاعرف منين ما المطاعم الحلوة كثيرة ثم تنبهت فجاءة إلى أن صوت صفا مليء بالسخرية والحزن فسألت صفا: بس أنت صوتك مش حلو مالك؟

ردت صفا في خجل وتعجب: تخيلي أنه أخدني مطعم اسمه "فرحات" في الأزهر

أطلقت شن شن ضحكة مرحة طويلة من أعماق قلبها: لا بتهزري... ده دمه خفيف قوي وإنسان بسيط جدا

قالت صفا في ضيق: أنت شايفة كده؟! أنا بقه شايفه إنه إنسان مش رومانسي خالص ده غير... إني حسيت إنه علشان

شايفني تخينة راح واخدني يأكلني حمام... في واحدة في أول معاد غرامي ليها تروح تاكل حمام؟! ده أنا حتى كنت في نصف هدومي

سألت شن شن متعجبة: ليه؟

قالت صفا في حرج: مش عارفة أكل براحتي...الحمام أصله مش أكله شاعرية أبدًا كله لحوسه وزفارة... حتي الواحد ما عرفش يتمتع بالأكلة ولا يمصمص العظام

شن شن: ليه؟

قالت صفا وهي متعجبة من السؤال: ده برده كلام...طبعا ماكلتش بمزاج عايزاني امصمص العظم ادامه؟! ليه هو أنا عايزة اطفشه

ضحكت شن شن وقالت: أنا شايفة إنك كان لازم تكوني على طبيعتك وتعملي اللى أنتي عايزاه... "عمر" ده باين عليه دمه خفيف قوي وبسيط لازم تعرفيني عليه....وعايزه أقول لك ما تزعليش منه وطولي بالك معاه... أنت كنتي عايزاه يعمل ايه يعني في أول ميعاد يقولك بحبك من أول يوم ولا يغنيلك" بحلم بيك" و"حبك نار"... يا بنتي كبري دماغك وخليكي لطيفة وطبيعية خدي الموضوع ببساطة مش افش كده من أولها...ثم استطردت وسألت:طب اتكلمتوا في ايه؟

صفا: أنا ما اتكلمتش خالص كنت مش على راحتي

ثم سألت شن شن: طب وهو قال لك ايه؟

ردت صفا في لامبالاة: كلام عام جدا عن شغله وحياته...يعني ما فيش حاجة مهمة

واستمر الحديث حتى فجر اليوم الجديد والحديث كله لم يخرج عن "عمر" و"فرحات بتاع الحمام".

روتانا زمان

تطورت العلاقة سريعًا بين "عمر" وصفا واعتادت صفا على مكالماته اليومية التي كانت تنتظرها دائما في اشتياق وعرفت "عمر" بـ"شن شن" وانسجم الاثنان مع بعضهما لدرجة أن "شن شن" أصبحت تخرج معهم كثيرا وتضفي على خروجاتهم جو جميل من المرح. وفي إحدي المرات عرف "عمر" أن الأسبوع المقبل هو يوم عيد ميلاد صفا فأصران يعد لها مفاجئة مرة أخري. كانت صفا تضع يدها على قلبها كما يقولون فهي لا تقدر أن تتخيل أين سيأخذها "عمر" هذه المرة هل سيأخذها لمكان شعبي مرة أخري؟. ومرت الأيام وجاء يوم العيد ميلاد.

استقبل "عمر" صفا على سلم العمارة الصغيرة التي يسكنها في ٦ أكتوبر، وأعصب عينيها في رقة بشريط حريري ابيض وطلب منها ألا تزيح الشريط عن عينيها حتى يفعل هو. دخلت صفا إلى المنزل وهي ترتعش من الموقف لأنها أول مرة تدخل فيها بيت رجل غريب وبعد دقائق أزاح عمر الإيشارب عن عيون صفا، ودارت بعيناها في أرجاء المكان لتتأمله، فوجدت نفسها في "تراس" صغير جدرانه كلها مغطاه بشرائط لاصقة أبيض وأسود وعلي بعض منها صور كبيرة لأهم نجوم الغناء والتمثيل في العالم العربي والغربي طوال فترة الأربعينيات والخمسينيات مثل "عبد الحليم حافظ"، "فرانك سيناترا"،

"الفيس بريسلي" و"بوسترات" لأهم الأفلام الرومانسية الكلاسيكية "كنهر الحب"، "الوسادة الخالية" وغيرهما. وكل التراس تحول إلى لونين فقط، أبيض وأسود تزينه شموع بيضاء كثيرة تحيط بأرضية المكان التي كانت تشبه لعبة الشطرنج حيث كانت عبارة عن قطع ملساء من السيراميك الأبيض والأسود. كل المكان كان أشبه بمشهد من فيلم عربي قديم من أفلام "روتانا زمان"، الشيء الوحيد الملون في المكان هو منضدة صغيرة لشخصين عليها مفرش" كاروهات" أحمر كالذي يكون موجود في مطاعم البيتزا الإيطالية. وعليه أدوات الأكل وزهرية صغيرة بها وردة واحدة حمراء.

راحت صفا تدور بعينيها في كل أنحاء "التراس" في انبهار ثم لمحت المنظر الخلاب الذي تطل عليه الشقة، فكان التراس يطل على ملعب شاسع للجولف، لم تري منه الكثير نظرا لظلام الليل ولكن منظر الفراغ المتناغم مع أضواء الملعب الليلية والنجوم التي كانت تزين السماء هذه الليلة شكلوا معا منظرا رائعا. التفتت صفا لتسأل "عمر" عن هذه المفاجئة الجميلة فوجدت وجه "عمر الشريف" أمامها، فتراجعت إلى الوراء من الدهشة.فأزاح عمر الصورة المطبوعة" لعمر الشريف" التي قصها بعناية لتناسب وجهه ونظر في عيون صفا وقال لها مبتسما: إيه رأيك؟ لو عايزاني كمان أكون "عمر الشريف" أنا تحت أمرك.

ضحكت صفا في انبهار وهي تدور بعيناها مرة أخري تتفقد المكان: إيه التحفة ده؟ التراس بتاعك يجنن وإيه اللى أنت عامله ده؟ اخد منك وقت اد ايه علشان تعمل الكلام ده؟

قاطعها عمر في رقة: مش كثير... أنا قعدت أفكر أعمل

لك إيه في عيد ميلاد ، نحتفل ازاي؟.. ونفسي يكون عيد ميلادك مختلف عن أي عيد ميلاد قضيتيه مع أهلك أو أصحابك وطبعا لو حجزت في أي مكان نتعشي فيه هيكون مكان عادي ممكن تروحيه مع أصحابك، وأنا نفسي أعمل حاجة تفتكريها طول عمرك... حاجة "سبيشل" متفصلة عليكي أنت وبس... فافتكرت إنك بتموتي في الأفلام القديمة ففكرت إني أحول "التراس" الجميل ده لمكان أجمل أنت بتحلمي بيه.... غطت لك الحيطان، ولزقت الصور دي علشان أعيشك في الجو الرومانسي اللى بتحبيه.

امتلأت عيون صفا بدموع غزيرة حاولت صفا أن تكبتها ولكنها لم تفلح فأنسالت هذه الدموع على وجنتيها وبدأت تبكي في صمت.

قال عمر مداعبا: هي المفاجأة وحشة للدرجة دي؟! هي برده ما عجبتكيش زي "فرحات" بتاع الحمام؟ ده أنا فاكر أن أنا عملت لك حاجة حلوة...طيب بينا نهد الكلام ده كله وهم أن يزيح صورة لـ"أحمد رمزي" فمسكت صفا ذراعه في رفق وهي تبتسم ابتسامة باهتة وقالت في شجن: أنت عارف إن أنا مبسوطة قوي مبسوطة لدرجة إن أنا بحاول افتكر أمتي أخر مرة حد اهتم بيا الاهتمام الكبيرده. الوحيدة اللى دايما معايا هي "شن شن" أما أهلي بقه فذاكرتهم ضعيفة قوي وما افتكرش أي هدية جابوها لي ثم أضافت في لهجة ساخرة: حتي مرة بابا اشتري وأنا صغيرة أرنب بيغني حاولنا نشغله ما اشتغلش فقال لي هاخده المحل ابدله، اخده ورجعه بدل ما يبدله واخد الفلوس وصرفها...و"راوية" بقي من ساعة ما اتعرفت على جوزها وهي ما بتبقاش معايا خالص لأن عيد ميلاده قبلي

بيوم واحد فدايما بتكون مشغولة في تجهيز حفلة علشانه أو مسافرين يحتفلوا. وفي لحظة ترقرت دمعة سميكة على وجه صفا المستدير فتأثر عمر من كلام صفا وحزنها وقال: ارجوكي كفاية الدموع دي بقي... طب أنت ماسالتنيش جبت لك إيه في عيد ميلادك

ردت صفا واذناها لا تصدقان ما تسمعه: هو أنا لسه ليا هدية كمان؟!! أخرج "عمر" من جيبه علبه صغيرة فتحها فظهرت سلسة رفيعة من الذهب الأبيض ويتدلي منها ماسة صغيرة جدا وفص ازرق جميل في هيئة الكمثري. كانت عيون صفا ترقص من الفرحة ، فهي لم تكن تتوقع أبدًا كل هذا التدليل لأنها كانت مهملة ووحيدة طول عمرها.

خطفت صفا السلسة من العلبة وكادت أن تلتهمها بعينيها من كثرة الإعجاب وقالت لعمر: لبسها لي فاستدارت لتعطيه عنقها الطويل ليزينه بهذه السلسلة الجميلة. وسألته إيه الحجر ده؟ قصدي اشمعني اخترت لي اللون ده؟

رد عمر وهو يراقب عينان صفا الفرحة: عجبك الأول؟

قالت صفا في لهفة: ده لونه يجنن..ده "فاروز" ولا إيه؟

عمر: ده" توباز"

قالت صفا في تساؤل: ايه "التوباز" ده؟

عمر: ده من الأحجار الكريمة اللى ليها تأثير ايجابي على البني آدم... يعني بيدي طاقة كويسة للإنسان

قالت صفا وعيناها كلها علامات استفهام: تأثير ايه وطاقة ايه؟

عمر: تسمعي عن علم العلاج بطاقة الأحجار الكريمة؟

صفا: اه طبعا اسمع عنه بس ما اعرفش عنه كثير

عمر: هابقي اديكي كتاب حلو قوي عن الموضوع ده.. أنا أصلي قريت كثير عن الموضوع ده وبعتقد فيه... المفروض إن كل حجر كريم له مزايا وفوايد مختلفة يعني مثلا " التوباز" ده له طاقة بتساعد الإنسان إنه يتخلص من أي اكتئاب أو توتر ويديله كمان أمل في الحياة... ده غير إنه بيطلع كل الطاقات الفنية المكبوتة في الواحد اللى ما يعرفش إنها عنده... يعني كمان ملهم.

ردت صفا متسائلة: ازاي يعني؟

عمر: الواحد ممكن يعيش حياته كلها ويموت وهو مش عارف هو كويس في ايه أو موهوب في ايه، يعني مثلا ممكن واحدة تكون من جواها رسامة ولا" بيكاسو" في زمانها بس ما اتحطش في مناخ مناسب يخليها تطلع الفن بتاعها...

قالت صفا في تعجب: يا سلام!

عمر: انتي مستهترة "بالتوباز"؟ طب ده حتى قدماء المصريين كانوا بيهتموا بالحجر ده جدًا لأنهم كانوا بيعتقدوا إن الإله "رع" إله الشمس مديله طاقة كبيرة يعني طاقة إلهية... البيسيه دايما وأنا متأكد إنك هتقتنعي بيه وهتعيشي حياتك بطريقة تانية ثم قال عمر وهو يحاول أن يغير الموضوع: أنا مش هأقضي عيد ميلادك وأنا بديكي محاضرة عن فوايد الحجر الأزرق، عندنا حاجات أهم نعملها، ثم جذبها من ذراعها في رفق وتوجه بها إلى "السوند سيستم" وضغط على زر التشغيل، وبدأت موسيقي "فرانك سيناترا" تملاء المكان وتزيده جمالا وسحرا.

وارتمت صفا في ذراعي "عمر" وتركت جسدها كله له يراقصه في نعومة، وبدأت الموسيقي تتملك عقلها وروحها فبدأت تري نفسها وكأنها ترقص في السماء وتقفز من سحابة إلى سحابة. بدأت تعيش حالة من السعادة لم تعهدها من قبل. هذا هو الجو الرومانسي الذي طالما حلمت به ومن شدة سعادتها اعتقدت أنها رأت الدنيا "بمبي" لأول مرة على طريقة "سعاد حسني".... كانت هذه اللحظات القليلة من أجمل لحظات حياة صفا، وأفاقت صفا من هذا الحلم الممتع عندما انخفض صوت الموسيقي وسمعت عمر يقول: مش جعانة؟ أنا عامل حاجة مختلفة النهاردة يا رب تكوني بتحبيها خمني هي ايه؟

قالت صفا ضاحكة: حمام؟

قال عمر مداعبا: ما كنتش أعرف إن أكلة حمام هتعمل فيكي كل ده...تعالي بس اقعدي هنا لحظة واحدة هاجيبه من المطبخ. اختفي عمر لحظات ثم ظهر بصينية صغيرة عليها طبق متوسط الحجم.

عمر: بتحبي "الفوندي"؟

صفا: آه طبعا....

قال عمر وهو يقلب في بطء خليط الجبن الموجود أمامه: قعدت أفكر أعمل ايه أكل وبعدين لقيت إن "الفوندي" كله رومانسية لأننا بناكل من نفس الطبق، وأسهل وأطعم أكله ناكله في البرد ده... ثم أخذ "عمر" سيخ خشبي من على المنضدة ووضعه في قطعة خبز صغيرة ثم غمره بالجبن وقدمه لصفا التي اخذته منه وهي تنظر إليه بإعجاب وسألته: ماقولتليش بقي أنتي كنت فين الأيام اللى فاتت؟

رد عمر وهو يتناول سيخ من الفوندي: نيجيريا

سألت صفا في تعجب وعيناها تدمعان من شدة سخونة الطعام التي تأكله: وايه اللى وداك نيجيريا؟ كنت بتصور اعلان هناك؟

رد عليها عمر مبتسما وهو يناولها سيخ آخر من الجبن الساخن: لا أنا كنت واخد إجازة هناك؟

قالت صفا في استغراب: إجازة في " نيجيريا"؟ ليه يعني؟ خلاص سافرت كل بلاد الدنيا ما فضلش غير" نيجيريا"؟ إيه المميز اللى فيها؟

عمر: أنا كنت في بعثة مع ناس صحابي "لدارفور" والطيارة عملت ترانزيت في "نيجيريا" وأنا عارف إن أحسن أنواع "التوباز" ممكن تشتريها من هناك. كان عندي ست ساعات ترانزيت والمطار كان فيه محل صغير لبيع الأحجار الكريمة ففكرت إني اشتري لك هدية عيد ميلاد من هناك.

سألت صفا في انبهار: وايه اللى وداك "دارفور"؟

رد عمر في بساطة: أنا عضو في جمعية ليها فروع كثير في العالم بس ميزتها إن كل اعضائها متطوعين واللي بيديروها ناس عادية جدا زينا وأغلبهم طلاب جامعة. الجمعية دي مهمتها تقديم المساعدة للناس اللى محتاجاها وخصوصا الأطفال.

سألت صفا عمر وهي تحاول أن تفهم المنطق وراء الذهاب إلى هذه الأماكن المنكوبة: وأنت ليه تضيع إجازتك على حاجة زي كده؟ قصدي الواحد بياخد إجازة علشان يريح دماغه من التوتر اللى احنا عايشين فيه، مش بياخد إجازة علشان يكتئب اكتر؟!

عمر: ومين قال لك اني بكتئب... أنا فعلا بتضايق من المناظر اللى تقطع القلب اللى بشوفها لكن انتي مش متخيلة السعادة والارتياح اللى بشعر بيهم لما بحس اني قدرت أساعد إنسان وخصوصا لو كان طفل صغير تقدري تقولي إن دي هوايتي في الدنيا، الحاجة اللى بتخليني مبسوط....ثم أنا ما بضيعش إجازتي كلها هناك أنا باروح يومين ثلاثة أو أسبوع على الأكثر، ثم سكت فجأة ونظر إليها وسأل قولي لي بقي ايه اللى بتحبي تعمليه في حياتك؟ انتي ليه عمرك ما بتتكلمي عن نفسك؟ أنا نفسي اسمعك، عايز اعرفك أكثر... بتحبي تعملي إيه، بتروحي فين، نفسك تعيشي ازاي، نفسك تعجزي ازاي...

ابتسمت صفا ابتسامة باهتة وتوقفت عن الطعام ثم ردت في صوت منخفض كأنها خجلانة من شيء ما:ما بتكلمش عن نفسي لأني ماعنديش حاجة أقولها، أنا حياتي عادية جدا بالعكس يمكن كمان تكون مملة وفاضية... لأني على طول لوحدي، من زمان وأنا لوحدي. وصمت الاثنان لحظات.

قطع "عمر" الصمت فقال: انتي ما لكيش حد خالص؟

ردت صفا وهي تطلق تنهيدة طويلة: لا أهلي موجودين لكن مش معايا، أنا عايشة لوحدي

عمر: مالكيش جدود؟ خالات؟ عمات؟ أي حد؟

قالت صفا وهي تهز أكتافها بلا مبالاة: ماليش حد غير صديقة عمري واختي "شن شن"

عمر: أنا مش فاهم برده انتي ليه مش عايشة مع حد من أهلك؟

صفا:"راوية" أو ماما يعني، متجوزة "رشدي ناصر" تسمع عنه؟

رد عمر في ثقة: آه طبعا حد برده ما يعرفوش..

استرسلت صفا في الحديث وصوتها يعبر عن مشاعرها التعيسة تجاه حياتها ووالدتها: "راوية" بقه من ساعة ما اتجوزته وهي نسيت تماما إن ليها بنت، هي على طول مشغولة ومسافرة ما هي بقت من مشاهير المجتمع خلاص... باعتني واشترت العز والسلطة بتاعت "رشدي ناصر". ثم سكتت لحظة وقالت: بس أنا مش زعلانة، لأننا عمرنا ما اتفاهمنا وعمرنا ما كنا صحاب اصلا.. كل اللى جد على علاقتنا إني مابقتش اشوفها خالص تقريبا..وكده أحسن على الأقل ما بنتخانقش كتير زي الأول

وسأل عمر صفا: أنا ملاحظ إنك ما بتندهيش لمامتك باحب اسم ليها؟

صفا: مش فاهمة؟

عمر: قصدي ما بتقولهاش لها "ماما"؟!

ردت صفا والمرارة تقطر من صوتها المرتعش:كلمة " ماما" دي لازم تتحس قبل ما الواحد يقولها كده عمال على بطال زي البغبغان... أنت عارف أنا كمان بسميها ايه؟

عمر: ايه؟!

قالت صفا في مرح زائف: "فيرجينيا" جميلة الجميلات...

وضحك عمر بصوت عال ثم سألها: اشمعني؟!

صفا: بتفكرني بشخصية الفنانة "ليلي فوزي" في فيلم "الناصر صلاح الدين"... "راوية" من أجمل ستات مصر واشيكهم وفي نفس الوقت أكثر الستات والأمهات أنانية، وبقت جارية من جواري "رشدي ناصر" ما فيش حاجة شاغلة بالها ولا في حاجة بتفكر فيها غير إنها تسعد جوزها وبس.

عمـر: وفيهـا إيـه أنهـا تحـاول تسـعد جوزهـا؟ دي حاجـة كويسة..

ردت صفا مؤكدة: كويسة، لو بتحبه فعلا وبتخاف عليه، لكـن هـي عـايزة تسـعده علشـان يفضـل ليهـا مكـان فـي مملكتـه، علشـان تفضـل ملكـة القصـر، تصـرف مـن غـير حساب، تركب "مرسيدس" و"بورش" وتصيف كل سنة في الريفييرا...طب دي عملت اللى ما يعمل علشان تتجوزه وتفضل مراته، خربت بيت عيلته وخلته يطلق مراته وبتافقه وتنافق صحابه وتضحك على نكاتهم البايخة وبتتنازل عن كرامتها وهـي مبسـوطة طالمـا هـي لسـه مراتـه...وحتي شـكلها غيرتـه علشان تنول الرضا...."راوية" زي القمر وعلي الرغم من جمالها، بقت مدمنة عمليات تجميل، عملت عمليات في كل حتة في جسمها علشان تفضل القمر اللى اتجوزها وتملي عينه اللى ما بتشبعش أبدا.. تفتكر يعني إن "راوية" كانت عمرها تفكر تتجوز"رشدي" لو كان ما حلتوش حاجة؟

عمر: طيب وبابا؟

صـفا: بابـا بقـي مـن سـاعة مـا طلـق ماما سـافر أمريكـا وماحدش يعرف عنه حاجة... نسينا وأنا كمان نسيته..بيني وبينك هو مش فارق معايا لأن وجوده في حياتنا كان مسبب لنـا علـى طـول احـراج ومشـاكل مـع النـاس،بصـراحة الواحـد عايش كده باحترامه أكثر.

عمر: احراج من أي نوع؟

صـفا: يعـني كـان علـى طـول مسـتلف فلـوس ومـديون بيهـا لطوب الأرض.

عمر: ليه؟

صفا: خلقته كده...ماعرفش... بس من ساعة ما وعيت على الدنيا ودايما كان فيه حد بيصرف على بيتنا، الأول كان جدي أبو أبويا وبعدين بقم القرايب والأصحاب، طب ده من كثر ما كان بابا بيستلف فلوس وما يرجعهاش الناس بقت تخاف تكلمنا في التليفون أو تسأل علينا، أحسن بابا يطلب منهم فلوس.. استطردت صفا ثم قالت في لهجة شديدة السخرية وقالت: ده كان في أيام بتعدي علينا والبيت كله مافيهوش ميت جنيه وافتكر كويس إني كبرت واتربيت على البطاطس المحمر.

قال عمر وهو يحاول أن يبدو مرحا: طب دي حاجة لذيذة...

ثم قالت صفا في سخرية أكثر: مش دايما خصوصا لما تكون على طول مضطر تتغدي بطاطس محمر علشان دي أرخص أكلة بالنسبة لنا طعمها حلو وتشبعنا، ولما ماما كانت تغير في "المنيو" كانت تشتري كشري أو فول من عم أحمد بتاع "مطعم الزمالك".... احنا أكثر عيلة بينطبق عليها "من بره هالله هالله ومن جوه يعلم الله" ساكنين في الزمالك ومن عائلات معروفة وأنا في مدرسة لغات لكن البيت كله بيبقي في عرض جنيه... بصراحة بابا كان شخصية صعبة قوي، كسلان وأناني وعمره ما اتعلم إنه يشتغل ويشيل مسؤولية بيت وأولاد...والنتيجة بقي.. هو إن ما حدش عايزني لا بابا ولا "راوية". كل واحد مهتم بحياته وسايبني.

عمر: وجدودك؟

صفا: ما كانش عندي غير جدتي أم "راوية" هي اللى عايشة

بس ما لحقتش اتهني بيها هي اللى اخترت لي اسمي لما اتولدت وماتت وأنا شهور قليلة...

عمر: اسمك ده معناه جميل قوي بس للأسف مش ماشي معاكي

نظرت اليه صفا بعيون كلها تساؤل:يعني ايه؟

تأمل عمر صفا لثواني كأنه يراها لأول مرة ثم قال: قصدي إن اسمك صفا يعني المفروض إنك تكوني في حالة صفاء نفسي مع أهلك ونفسك والدنيا كلها لكن الحقيقة إنك فيكي كمية حزن وحقد يكفوا بلد بحالها والمهم إن المشاعر السودا دي كلها لأهلك مش لحد غريب. الناس اللى هما مفروض أحن قلوب في الدنيا عليكي

ردت صفا وكأنها وصلت إلى أهم نقطة في الحديث: أديك قلتها "المفروض يكونوا أحن قلوب في الدنيا عليكي" لكن الحقيقة غير كده... هو أنا المفروض أحب أهلي واحترمهم بعد ما سابوني في الدنيا دي لوحدي... لو كانوا أموات كنت هقول اهه قضا ربنا ونصيبي إني أكون يتيمة وكنت ساعتها هتخيل أهلي أحسن ناس في الدنيا لكن أنا أهلي عايشين وميتمنّي، ... في ظلم أكثر من كده؟

حاول عمر أن يغير الجو الكئيب الذي سيطر على السهرة الرومانسية ففكر أن يغير الحديث إلى حديث أكثر بهجة فسأل صفا: طيب عرفت الحتة الكئيبة السودا اللى في حياتك قولي بقي الجانب المشرق...

سكتت صفا ونظرت إليه طويلا مفكرة دون أن تجيب ومرت لحظات بدت طويلة حتى قطعها عمر وقال: إيه هو ما

فيش حاجة عدلة خالص في حياتك؟

صفا: " شن شن" هي أحلي حاجة في حياتي...هي حياتي كلها ، هي صحيح مش عايشة معايا في البيت بس هي عايشة حياتي لحظة بلحظة وتعرف أنا بافكر في ايه من قبل ما اقول...بحبها قوي واحلي لحظات حياتي معاها

عمر: طب وايه كمان... قصدي ايه اللى بيخليكي سعيدة؟

صفا: مش فاهمة؟

قال عمر في بساطة: سؤالي واضح جدا وما فيش اسهل منه... ازاي بتكوني سعيدة؟ بتعملي ايه علشان تمبسطي؟ ايه هي السعادة بالنسبة لك؟

ردت صفا وهي تسرح بعيناها في أنحاء المكان كأنها ستجد الإجابة في ركن من أركان التراس ثم قالت في لامبالاة: ماعرفش... مافيش حاجة معينة...

قال عمر وهو مصر أن يسمع إجابة من صفا: ازاي بقي، كل واحد في الدنيا دي بيلاقي سعادته في حاجه بيحبها حتى لو ما كانش عارف يحققها لكن عارف ايه هي الحاجة اللى تخليه سعيد في حياته وبيسعي علشان يحققها...

صفا: طب أنت بتلاقي سعادتك في ايه؟

عمر: حاجات كثيرة... شغلي اللى بقصد بيه مساعدة الأطفال والتخفيف عنهم... السفر...، الأصحاب الكودسين... اني أحب واتحب...

ابتسمت صفا ابتسامة كئيبة وردت: مش عارفة أنا سعادتي فين...

وسألها عمر في صوت دافيء: أنت عمرك ما حبيتي؟

ردت صفا بابتسامة أكثر كآبة: لا

قال عمر في خبث: ما اعرفش ليه مش مصدقك، حاسس أن في حاجات كثير جواكي مش عايزة تحكي لي عليها

ابتسمت صفا ابتسامة باهتة وتذكرت "وائل" حبها الأول في الجامعة. احبت صفا "وائل" في صمت لمدة تزيد عن الستة سنوات. "وائل" كان زميل صفا في الكلية ولكنه يسبقها بعامان وكان في غاية الوسامة والشعبية. وظلت تحبه في صمت وتتخيل فيه كل الصفات الجميلة الموجودة في الدنيا فكانت تتخيل فيه الرجولة والشهامة والكرم واللطف... صفات كثيرة كانت تتخيلها صفا في "وائل" وظلت تحبه وتراقبه وهو لا يحس بها اطلاقا حتى تخرجت واشتغلت لشهور قليلة في أحد البنوك المعروفة في مصر وهناك رأته للمرة الثانية، وتعرفت عليه لأنه كان أحد المديرين في البنك ولم تصدق نفسها عندما بدأ يظهر استلطافه بها حتى طلب منها في إحدي المرات أن يخرجا سويا بعد ساعات العمل. وبالفعل ركبت سيارته الفاخرة وهي مبهورة، فهي لم تكن تتخيل أبدًا أن تتعرف على "وائل" في يوم من الأيام وتخرج معه، فكانت ستطير من الفرحة ولكن سرعان ما انطفأت فرحتها عندما وجدت نفسها على طريق "المحور" الموصل إلى ٦ أكتوبر فسألته في تعجب عن السبب، فأجابها بأنه يريد أن يتحدث معها على انفراد قبل أن يذهبا إلى أي مكان عام، وأن الطرق في مصر دائما مزدحمة ولكن طريق "المحور" هو الأقل ازدحاما.فهدأت صفا واخذت تكلمه عن نفسها بطلاقة وسعادة ولكنها كلما نظرت إلى عيناه وجدته خال البال ولا يبدي أي اهتمام بما

تقوله هي، إنه لا يسمعها في حقيقة الأمر، وفجأة خرج "وائل" عن صمته وسرحانه وامسك بيدها فارتعشت صفا في سعادة ولكنها فوجئت به يحاول أن يتحسسها ويداعبها بطريقة غير لائقة بالمرة ففزعت صفا والتصقت بباب السيارة وقالت له ما الذي تفعله؟ فلم يرد عليها وأخذ يحاول أن يداعبها مرة أخري وهي تصده ويحاول وهي تصده حتى صرخت في وجهه بعصبية وطلبت منه أن ينزلها في منتصف الطريق. فاوقف السيارة في حركة مباغتة وفتح لها الباب لكي تنزل ولكنه اسمعها كلام جارح حطم فيها أشياء كثيرة وافهمها أنها لا تساوي شيء في سوق البنات فجمالها متواضع جدا ولا تعرف كيف تهندم نفسها أو تهتم بشكلها فكيف يمكن أن تتخيل أن "وائل" الذي تجري ورائه كل البنات سيتنازل ويعجب بها. أثر هذا الموضوع في نفسية صفا بطريقة سيئة وزادها قلة ثقة بنفسها وفي اختياراتها لأنها اكتشفت بعد سنوات كثيرة من الحب والهيام والتحليق في دنيا الأحلام أن "وائل" لم يكن إلا شخصية حقيرة لا يستحق التفكير فيه ثانية واحدة ولا يقرب بصلة إلى الصورة النبيلة التي رسمتها له في ذهنها.

أفاقت صفا من ذكرياتها على صوت عمر الحنون وهو يقول:

ايه سرحتي في ايه؟ باين إنك افتكرتي حاجة مش قد كده

اومأت صفا برأسها علامة الموافقة

ثم حاول عمر مرة أخري تغير دفة الحديث لجعل اسهرة أكثر راحة وهدوء بعيدا عن التوتر والمرارة المرتسمتان على ملامح صفا الرقيقة: خلاص بلاش السيرة دي باين عليها كانت تجربة مش قد كده..نغير الموضوع أنا عايز أعرف أنت مالكيش هدف في الحياة؟ شايفة نفسك ازاي بعد ثلاثين سنة؟

ردت صفا في سرعة وبدون تفكير: شايفة نفسي في نفس الشقة اللى أنا ساكنة فيها بس عجوزة قوي ولوحدي...

فوجيء عمر من هذا الرد المرعب وقال وكأنه مذعور: يا ساترا ايه كمية الكأبة دي؟ طب مالكيش أي هدف في حياتك؟ ثم قال وكأنه يكلم نفسه: ما هو أصل لازم يكون لك أي هدف في حياتك أنا شاء الله يكون الهدف ده هو الجواز وبس..

ردت صفا وصوتها كله خيبة أمل واحباط: ما عنديش حاجة معينة عايزاها، الجواز طبعا حاجة جميلة بس دي حاجة مش بأيدي، ده زي ما بيقولوا نصيب

عمر: وشغلك؟ شغلك في المجلة هو ده اللى انتي عايزاه وبتتمنيه؟

صفا: أنا اشتغلت في المجلة دي علشان صاحبة المجلة تبقي صديقة "لراوية" وتتمني تخدمها علشان كده أنا باشتغل هناك وبأعمل اللى على مزاجي هناك... يعني أأجز شهرين في السنة اعمل شغل مش قوي ويسكتوا... كل ده مش مهم، المهم هو إني افضل في المجلة ومبسوطة علشان سواد عيون "راوية"... طب ده أنا حتة باخد مهية اكتر بكتير من بقية الناس اللى معاية برده مجاملة علشان أنا بنت "راوية محمود".

عمر: وانتي كده مبسوطة؟ الواحد لما بيشتغل بيبقي نفسه يشتغل حاجة يتعب فيها ويحبها علشان يحس إنه بيعمل حاجة مفيدة، مش سلق بيض زي ما بتعملي...

صفا: بصراحة أنا عمر ما كان عندي حاجة نفسي اعملها أو اشتغلها لأني ببساطة مااعرفش أنا كويسة في ايه... يعني

الواحد مثلا بيبقي دايما عنده حاجة يقدر يعملها كويس قوي لأنه موهوب فيها وأنا بصراحة مااعرفش أنا موهوبة في ايه... طول عمري مستوايا نص نص في كل حاجة، في المدرسة، في حظي وحتي في شكلي... أنت لو شفت "راوية" مش هتصدق إن أنا بنتها أصلها قمر...

وقال عمر وهو يمسك بيد صفا وينظر إليها في تمعن: ومين قال لك إنك مش قمر؟

فابتسمت صفا في حياء طفولي جميل: مش ضروري المجاملة أنا عندي مرايا وعارفة نفسي كويس... ثم قالت وكأنها تحدث نفسها: طب ده أنا كثير باقعد اسأل نفسي ليه واحد زيك بيكلمني وبيعرفني...واستكملت حديثها قائلة: أنت شكلك لطيف، دمك خفيف، جدع، كريم، ليك أصحاب زي النمل... لكن أنا، ثم سكتت لحظة وقالت: أنا بقي كل حاجة فيا عادية ويمكن أقل كمان من العادي...ثم استطردت: ساعات لما ما بتكلمنيش علشان مشغول أو مسافر بقول لنفسي أكيد خلاص عمر لقي بنت تانية حلوة ولطيفة زيه ومش ناوي يكلمني تاني

قاطعها عمر برفق وهو يقترب منها: أنا كنت فاهم إنك فاهمة أنت بقيتي إيه بالنسبة لي بس طلعتي مش عارفة حاجة...سكت برهة وهو يتأمل في اشفاق وجه صفا الذي تحول إلى قطعة ناضجة من ثمرة الفراولة اللذيذة وقال في صوت يذوب حنانا: يا عبيطة عمر الحب ما كان مرتبط بالشكل، أنا ممكن أعجب بواحدة جميلة لكن أحبها مش شرط. لكن ممكن أحب واحدة عادية ومن شدة حبي ليها ألاقيها دايما أجمل وارق ست في الدنيا وابقي حابب من قلبي

إني اعيش معاها طول عمري من غير ماحتاج أبص على أي واحدة تانية، الإنسان ممكن يختار أصحابه لكن مش سهل يختار يحب مين لأن الحب ده بيجي كده مرة واحدة من غير مقدمات فجاءة الواحد يلاقي نفسه مرتاح مع حد وممكن يقعد معاه بالساعات من غير ما يزهق أو يمل ثم استطرد عمر: مش دايما يقولوا مراية الحب عميا؟!

ثم قال مداعبا: وبعدين هو أنا بحب "احدب نوتردام"؟! انتي مش عارفة قيمة نفسك ومقللة منها... ثم نظر إلى وجه صفا في تركيز وقال في حزم: انتي ملامحك رقيقة جدا بس أنت اللى مخبياها بشوية الحبوب اللى في وشك دي وعينيكي لونهم ازرق في جمال لون البحر بتاع مرسي مطروح لكن انتي برده اللى مخبياهم ورا النظارة الكئيبة دي أما وزنك بقه فدي حاجة بأيدك دي مش خلقة ربنا، ده أنت اللى عاملة كده في نفسك...

ابتسمت صفا في احراج وهي تتلمس وجهها وجسدها بطريقة تلقائية لتخفي الحبوب المنتشرة في بشرتها وبطنها المترهل، فأمسك عمر بيديها في حنان وازاحهما عن وجنتيها وبطنها وقال:كل واحد في الدنيا دي بيختار الصورة اللى عايز يكون عليها قدام نفسه وقدام الناس، وانتي اللى مختارة تخبي ملامحك الجميلة دي بأطنان الشوكولاتة اللى بتاكليها، مع إنك لو خففتي أكل الشوكولاتة شوية هاتكوني حاجة تانية خالص. ثم قال مداعبا: بس تعرفي حتى لو مبطلتيش شوكولاتة أنت كده عاجباني قوي ومش محتاجة تغيري في نفسك حاجة... كلك على بعضك حلوة في عينيا والأهم من كده إن عندك قلب الماس... بس انتي اللى مش عارفة قيمة نفسك وقلة ثقتك بنفسك هي إلى مضيعاكي...

ابتسمت صفا في دلال وسألته في محاولة ناجحة منها لتغير الحديث: احكيلي أنت بقي عن نفسك؟

عمر: أنا بقة يا ستي اتربيت مع أمي وأبويا لحد عشر سنين، افتكر أن أول عشر سنين من عمري هما أحلي عشر سنين في حياتي لأني كنت مدلع آخر دلع، كانوا بيحبوا بعض قوي ومافتكرش أبدًا انهم مرة اتخانقوا... أو حد رفع صوته على التاني، كنت دايما بشوف أد إيه ماما بتاخد بالها من بابا في كل صغيرة وكبيرة وأد إيه بتعمله كل حاجة بحب وحنان... بس يا خسارة ما فيش حاجة بتدوم ماما تعبت جالها المرض اللى ما بيرحمش وماتت في خلال ثلاث شهور، يوم ما ماتت أنا فاكره كويس قوي لأني حسيت إني بقيت يتيم على الرغم إن بابا كان لسه عايش بس حسيت إن أنا بقيت فجاءة لوحدي في الدنيا وما كنتش قادر استوعب اللى حصل. دخلت اسلم عليها لآخر مرة بعد ما كانوا غسلوها وكفونها وما كانش باين بس غير وشها، كنت بحاول اشوفها كويس بس ما كنتش قادر اشوفها لأن دموعي كانت مخلياني مش شايف حاجة، ماحستش بس غير بسقوعة وشها وأنا ببوس راسها وبعدين طلعت وأنا جسمي كله بيترعش... يوميها حسيت إن الدنيا كلها وقفت علشان ماما ماتت... بس الغريب إن الدنيا لا وقفت ولا حاجة الناس كانت ماشية في الشارع عادي جدا بيهزروا ويضحكوا ويتخانقوا، الدنيا ما وقفتش غير عندي أنا. أنا اللى تعبت قوي بعدها على الرغم إن بابا كان حنين قوي عليا...ومرت كام سنة كده وبابا كمان حصل أمي ورحت أعيش مع خالي كان راجل كبير قوي وكان عايز ياخد باله مني كويس، أنا عارف إن نيته كويسة بس أنا بقة ماكنتش

بحب طريقته معايا خالص لأنه كان ناشف قوي كان خايف يدلعني لحسن أبوظ واصيع. حتى لما اتخرجت من كلية الإعلام وقلت له إن أنا حاسس إني عايز أكون مخرج سينما وعايز أسافر أدرس بره كام شهر، وشه احمر وقال لي أنت اتجننت عايز تقهر أبوك وأمك في تربيتهم وقعد يقول لي هو أنت فاكر نفسك "يوسف شاهين" أنت يدوبك هتعمل لك فيلم فاشل ولا اتنين بالكثير وتكون فسدت كمان من الوسط الفني البايظ اللى احنا بنسمع عن حواديته كل يوم والتاني. المهم سرق حلمي... ما هو في ناس كده نقول عليهم حرامية الأحلام يقعدوا يقتموا فيكي وفي أحلامك ويفهموكي إنك مش فاهمة حاجة ومش هتفلحي في حاجة وفي النهاية يسرقوكي ويحولوكي لشخصية تانية ما تقربلكيش. فالشغلانة اللى لقيتها شوية قريبة لقلبي ولحلمي كانت شغلانة "الكرياتيف" في شركات الاعلانات. خالي برده ما كنش مبسوط من نوع الشغلانة دي بس قال اهه أي حاجة أحسن من موضوع الإخراج.

صفا: أنا مش فاهمة أنت بتشتغل ايه بالظبط؟

عمر: أنا يا ستي الشخص اللى بيحط فكرة الاعلان..يعني لو المنتج اللى هنعلن عنه هو شوكولاتة اسمها صفا مثلا اقعد افكر وامخمخ لحد ما ألاقي فكرة اعلان حلوة وأشرف على تنفيذها

صفا: دلوقت فهمت... وخالك عايش معاك؟

عمر: لا ما أنا أعلنت التمرد وسيبته واشتريت الشقة دي ووضبتها على مزاجي وعايش فيها لوحدي... قام عمر من كرسيه واتجه نحو "السوند سيستم" واسكته

قالت صفا في أنوثة: أنت خلاص زهقت مني؟ عايزني أمشي؟

عمر: لا طبعا ليه بتقولي كده؟ علشان وقفت المزيكا؟ أنا أصلي لقيت إن القعدة بقت كئيبة قوي فقررت أوريكي حاجة أنا باحبها قوي وحاسس إنها هتعجبك

قالت صفا متسائلة: مسرحية؟

ردعمر ضاحكا: تفتكري أنا عامل السهرة دي كلها والترتيبات دي علشان نتفرج على "مدرسة المشاغبين مثلا"؟! لا أنا في بالي حاجة تانية متهيألي ما شوفتيهاش قبل كده... واختفي عمر لبرهة ثم عاد بشيء كبير مختفي تحت غطاء طويل، وضعه على عربة صغيرة مثل عربات نقل الحقائب في الفنادق

صفا: ايه ده؟

رد عمر في فخر وهو يخلع الغطاء في حركة مسرحية: ده "هارب"

سألت صفا في تعجب: ايه "الهارب" ده؟

عمر: أول ما تشوفيه هتعرفيه على طول. ازاح "عمر" الغطاء من الهارب تماما فظهرت آلة موسيقية كبيرة لونها ذهبي غير لامع، لها أوتار كثيرة تشبه الآلات التي كانت تستخدم في وقت الفراعنة.

نظر عمر إلى آلته في فخروسأل صفا :عرفتيه بقه؟

صفا: اه طبعا، بس أول مرة اشوفه وبعدين أنا فاكرة إن خلاص ما بقاش حد بيستعمله

عمر: هو فعلا ناس قليلة قوي اللى بتعزف عليه لكن طبعا

الناس لسه بتستعمله، أنا هاوريكي دلوقتي

وجلس عمر ووضع "الهارب" بين ساقيه وبدأ في اللعب على اوتاره. احست صفا أن "عمر" لا يلعب على أوتار الهارب فقط بل على أوتار قلبها الضعيف الهائم فيه، وتركت نفسها تسرح في الموسيقي الجميلة وتتخيل نفسها الملكة كليوباترا في قصر ها تستمع للوصيفات وهن يعزفن أحلي الألحان على الهارب.ثم أفاقت صفا من أفكارها على صمت بعد أن سكت عمر عن العزف وسألها: ايه رأيك؟

ردت صفا في هيام: خيال... اللي أنت بتعمله فيا ده خيال... بس اشمعني "الهارب" دي حتى آلة حريمي عمري ما شفت راجل بيعزف عليه؟

قال عمر ساخرا: مافيش حاجة اسمها حريمي ورجالي الموسيقي دي احساس وأنا عندي احساس عالي جدا ب"الهارب" ثم أنه آلة ملائكية جدا، لو شفت رسومات الملايكة اللى بتكون موجودة على الفازات والحيطان في بعض القصور واللوح الفنية هتلاقيهم دايما بيعزفوا عليه.. أنا بحب كل الوتريات الجيتار، الكمنجة... بس "الهارب" آلة مختلفة ومنسية وليها صوت مميز... انتي عارفة إن "الهارب" من أقدم الآلات الموسيقية في العالم وأول من استعملوه هما الفراعنة...

صفا: أنا ملاحظة إنك بتحب الفراعنة قوي

رد عمر في سرعة وتلقائية: طبعا مش أجدادنا... ده غير أنهم حضارة العالم كله يفخر بيها... أنا بحاول أقرا عنهم على قد ما اقدر بس هما تاريخ كبير قوي فيه آلاف الكتب مهما قريت بحس اني لسه ماعرفش حاجة عنهم... لو كان عندي آلة الزمان

كنت على طول رحت اتفرج على عبقريتهم في فن الحياة والموت... تعالي بقة اوريكي ازاي ممكن تلعبي علي "الهارب"

قامت صفا واتجهت نحو عمر الذي اجلسها أمام "الهارب" وجلس هو ورائها يحتضنها بساقيه الطويلتان. وبدأ يداعب أوتاره بأصابعه الرشيقة فتنبعث من" الهارب " موسيقي ملائكية حالمة تزيد صفا هياما ونشوة ثم بدأ عمر مداعبة وجنتيها وعنقها الطويل بوجهه في رقة كأنه يبحث عن شيئ فقده منذ زمن بعيد شيئ، شيء قريب من روحه ومن قلبه. كم من الوقت مضي عليهما وهم يلعبان على "الهارب" وهم هائمين في عالم جميل من الخيال عالم فيه حب ورغبة، رغبة في أن يذوبا في بعضهما ويصبحا روحين في جسد واحد.

التحول

تطورت العلاقة بين صفا وعمر في شكل سريع وأصبحوا لا يفترقوا أبدا، وبدأت صفا تري وتعيش الحياة بطريقة مختلفة تماما عما كانت تفعل من قبل لدرجة أنها اكتشفت أماكن في مصر لم تفكر أبدًا أن تذهب إليها. فـ"عمر" لم يكن يكتفي بمجرد الخروج مع صفا في الأماكن العادية التي يرتادها الشباب كالكافيهات والسينمات بل شجعها على أن يكتشفوا معا كنوز مصر المهملة التي قلما يفكر الناس في التعرف عليها والتمتع بجمالها. وأصبح يوم الجمعة هو اليوم المخصص لزيارة الأحياء القديمة في القاهرة الساحرة، المدينة الوحيدة في العالم التي تذوب فيها أربعة من أعظم حضارات العالم، الحضارة الفرعونية، الرومانية، القبطية والإسلامية.

فتمتعوا بزيارة الأهرام التي لا يمل المرء أبدًا من الوقوف أمامها والإحساس برهبة وعظمة هذا المكان القديم. دخلوا المتحف المصري وتجولوا في كل شبر فيه. زاروا الكنيسة المعلقة وكنيسة ماري جرجس كما تمتعوا بزيارة أول مسجد في مصر، مسجد "عمرو ابن العاص" والتجول في الأزهر وخان الخليلي. وكانت صفا كالسائحين مبهورة بهذا الجو الجديد من النزة فهي لم تتعود على الخروج إلى هذه الأماكن فهي تكتفي بارتياد الأماكن الشبابية المعتادة ولم تفكر أبدًا في اكتشاف آثار مصر. واشتد تعلق عمر وصفا ببعضهما

لدرجة أنهم أصبحوا يتقابلوا كل يوم لتناول الغذاء بعد العمل مباشرة ثم يذهبا إلى بيت وغالبا بيت "عمر" للتمرن على لعب "الهارب" ومشاهدة التليفزيون والتحدث في أمور الحياة. وعلي الرغم من تواجدهم الدائم وحدهم في أماكن مغلقة، لم يكن الشيطان ثالثهم أبدًا كانت علاقتهم طاهرة لا تتعدي النظرات الحانية واللمسات الرقيقة.

كانت صفا تعيش أسعد أيام حياتها فبدأت في أن تهتم بشكلها وملبسها ولم تصبح تحتاج إلى الشوكولاتة الكثيرة التي كانت معتادة على أكلها في أوقات فراغها لأن حياتها الآن اختلفت واستطاع "عمر" أن يملاء الفراغ الذي كانت تعيش فيه، وأصبحت مشغولة دائما بحب "عمر" وباحلامها معه فكانت تتواجد معه في كل الأوقات تقريبا إلا أوقات العمل وانعكست هذه السعادة على وجهها وجسدها، فأشرق وجهها وقلت البثور الحمراء فيه بطريقة ملحوظة حتى أنها لم تعد تدهن وجهها بكريم الأساس الثقيل كما كانت تفعل من قبل لتخفي الحبوب، وخسرت كيلوجرامات كثيرة في وقت قياسي بدون اتباع حمية مرهقة فتحول جسدها من جسد مكتنز ومكور إلى جسد ملفوف كله أنوثة ورشاقة فازدادت ثقة صفا في نفسها وأصبحت شخصية أكثر انفتاحا على الناس وعلي الدنيا.

تغيرت صفا من الناحية الشكلية ومن الناحية النفسية أيضا، فتحولت من الفتاة الخجولة المنعدمة الثقة بالنفس والتي تلبس ملابس أشبه بالأولاد أكثر من البنات إلى فتاة اجتماعية واثقة من نفسها ومن شكلها وأصبحت أكثر مرحا والابتسامة لا تفارق شفتاها.

ولما لاحظت كيف تحول جسدها من جسد أشبه بكتلة الجيلي إلى هيئة غزال شارد بدأت في أن تهتم بملبسها بشكل كبير. ففي أحد الأيام قامت صفا بحملة تنظيف واسعة النطاق، تنظيف لدولاب ملابسها. فتخلصت من كل الملابس المهرولة التي كانت ترتديها وبدلتها بملابس أكثر أنوثة تظهر فيها مفاتن جسدها. كانت تريد أن تعجب "عمر" وتتباهي بشكلها أمامه.ولأنها أنثي تريد أن تعيش قصة حب كانت تريد أيضا أن تحس برغبة "عمر" فيها كأنثي وكانت تفكر متي ستتذوق طعم أول قبلة، فهي تطوق إلى تذوق هذه القبلة التي طالما حلمت بها وطالما سمعت القصص والروايات من صديقاتها عن طعم اول قبلة. ولكن على الرغم تحول صفا من الفتاة "الكلبوظة" إلى الفتاة الرشيقة التي تشع أنوثة، كان "عمر" دائما مثالا للأدب والأخلاق بشكل مستفز. فكان يبدي اعجابه بها وبشكلها الجديد ولكنه لم يحاول أبدًا أن يقبل شفتاها على الرغم من تواجدهم الدائم وراء أبواب مغلقة. فكانت صفا تستفزو تحس بأنها ليست جذابة بالقدر الكافي وأنها لا تثير فيه مشاعر الرجولة ففكرت مرة أن تحاول إغراءه بطريقة "شيك" وليست مباشرة.

اختارت صفا بلوزة بيضاء ضيقة جدا تبرز صدرها بطريقة لافتة ولبستها على بنطلون جينز ضيق جدا أخذ منها مجهود لتلبسه ولم تكن تحلم أبدًا أن تلبسه لأن مقاسه اشبه بمقاس عارضات الأزياء، ولونت شفتاها المكتنزتان بلون أحمر صارخ. وذهبت لتناول الغذاء مع "عمر" ثم توجهوا إلى بيته لتناول "الكابوتشينو"، فذهب عمر لتحضير القهوة وظلت هي جالسة على الأريكة في انتظاره، فقامت من غير تفكير بفتح واحد

من الأزرار الكثيرة التي تقفل البلوزة وانتظرت حضوره. جاء عمر وهو يحمل "ماجات" القهوة وجلس بجانبها، جلس قريبا جدا ومسك يداها ونظر في عيناها طويلا وفي هذه اللحظة بدأت صفا تحس بسعادة غامرة وبدأ قلبها يخفق في سرعة وأنفاسها تتلاحق كخيول السبق وارتعش جسدها من اقتراب يده جسدها ثم إلى صدرها وفجأة امتدت يده إلى الأزرار المفتوحة وأغلقها كما كانت وافهمها أنه سعيد وفخور بالتغييرات الجذرية التي قامت بها صفا في هيئتها وأنه يستطيع أن يري الأنثى فيها من دون أن تحاول هي أن تفعل ذلك بهذه الطريقة ولامها في هدوء على فتح أزرار البلوزة بهذه الطريقة الفجة، فهي من الممكن أن تكون جذابة وجميلة دون أن تظهر أي جزء من جسدها. وفي هذه اللحظة انفجرت صفا في الصراخ في وجه عمر كالمجنونة بعد أن انتهي من توبيخه لها، وردت في انفعال شديد: أنت فاكرني ايه جايا أرمي نفسي عليك؟ هتعمل وصي عليا؟ أنا حرة اعمل اللى أنا عايزاه وألبس اللى نفسي فيه....وبعدين أنت ليه عايش لي في دور الملاك؟ هريني كلام ومحاضرات فارغة عن أعمال الخير و"دارفور" والأطفال والعراق واللي واللي.... ايه هتصلح الكون حضرتك؟ وكمان دلوقتي عامل لي فيها الولد المؤدب الفظيع اللى حتى ما بيحاولش يبوس حبيبته؟!

ردعمر في برود مبالغ فيه أمام عصبية صفا: أنا لا ملاك ولا هصلح الكون ولا أنا عايش دور مش بتاعي كل الحكاية إني بقول لك بصراحة رأيي، وإني ما حبش أن علاقتنا دي ومجينا هنا في بيتي أو في بيتك يتقلبوا لعلاقة من نوع تاني أنا ما ارضهاش ليكي، لازم تفهمي أن أنا بحبك واحب اشوفك

دايما أحلي بنت في الدنيا من ناحية الشكل والأخلاق وانتي والحمد لله عندك الأثنين يبقي ليه جاية دلوقتي وعايزة تغيري في نفسك...

وفي هذه اللحظة سكتت صفا عن الصراخ وهدأت تماما وبدأت تبكي في صمت، فاقترب منها "عمر"واحتضنها ثم همس في أذنها: صدقيني أنا لو لفيت الدنيا ما هلاقي حد في جمالك أبدا ، جمال روحك قبل جمال شكلك ولازم تعرفي كويس قوي إن أنا حبيتك وأنتي صفا القديمة اللى بتتكعبل في نفسها وحبيتك أكثر لما بقيتي صفا البنت الحلوة... أنا عايزك تفرملي نفسك بقه ومش عايز تغيير أكثر من كده انتي كده هايلة خلاص "ستوب" اتفقنا؟

ردت صفا في خجل: اتفقنا

عمر: وبعدين تعالي قولي لي ايه حكاية "عامل فيها ملاك" دي؟

ردت صفا في صوت مرتعش: يعني.. أصلي ساعات بحس انك بتحب توري إنك مثالي زيادة عن اللزوم وما بتغلطش أبدا

رد عمر في دهشة: ما بغلطش؟! الكمال لله وحده، أما بالنسبة للجمعية اللى أنا فيها وأعمال الخير دي فتقدري تعتبري إن العمل الاجتماعي ده هواية عندي زي ما في ناس بتحب تغني وترسم أنا بحب أعمل خير. وبعدين أنا عمري ما بعمل اعلانات عن الحاجات اللى بعملها دي، عمري ما باستعرض قدامك أو قدام حد ، أنا كل الحكاية إني بحكيلك عن حياتي وشغلي في الجمعية ده جزء كبير من حياتي لكن مش قصدي أبدًا اني اتباهي بيه أو أمثل دور الملاك.

قالت صفا وهي تنظر إلى الأرض في خجل: أنا آسفة على كلامي ده بس أنت أصلك عامل زي الحلم الجميل ساعات ما بصدقش إنك بجد موجود في الدنيا دي..يعني الشباب اللى في سنك عامة هتكون اهتماماتهم مختلفة وحتي لو بيعملوا خير، ما هماش مركزين فيه كده زيك.

عمر: قلت لك دي هوايتي، واللي عنده هواية حقيقي بيحبها صعب يتخلي عنها، بالعكس بيكون متمسك بيها وبيعوز يكبرها... أنا بحلم إني أعمل جمعية خيرية أكبر بكثير من اللى أنا فيها دلوقتي هتكون معمولة لخدمة البشرية كلها مسلمين، مسيحيين، بوذيين، سود، صفر، حمر، ثم قال مداعبا وكاروهات كمان كله..

صفا: ويهود كمان؟

رد عمر في جدية: أنا هساعد أي حد وأي ملة لو كان فعلا محتاج لمساعدتي ومافيش حد تاني يساعده...

قالت صفا في ذهول غير مصدقة كلامه: حتى لو كافر أو يهودي؟!!

رد عمر في هدوء محاولا شرح موقفه في سلاسة: أنا بتعامل مع بني آدمين محتاجين المساعدة وبنسي حكوماتهم وسياستهم

قالت صفا في استنكار: طب ساعد الفلسطينيين والعراقيين الأول وبعدين روح دور علي الملل التانية

عمر: أكيد هساعدهم وهعمل كل اللى في امكاني علشان أخفف عنهم معانتهم بس، إن قصدي إن من خلال مساعدتي لكل الشعوب والديانات اقدر أوجه رسالة سلام

للعالم وأوريهم أن المسلمين مش كلهم ارهابيين وعنصريين زي ما بيصورونا في محطات الأخبار الأجنبية...لا إحنا المسلمين عايزين نحقق السلام في العالم كله وبنسعي له... ونقدر نعيش في حب مع كل الشعوب بمختلف ألوانهم من غير تعصب.

سألت صفا: حتى لو مش ديانة سماوية؟

عمر: أي ديانة أكيد بتقوم على مباديء كويسة وهتلاقي معظم الديانات بتحاول إنها تحسن من سلوك الإنسان والرقي بتصرفاته يعني على حسب علمي مافيش دين هيقول أقتل أو أسرق احنا بس اللى بندور على الثغرات والحاجات اللى ننتقدها علشان نوري إن اللى مش مسلمين دول وحشين واشرار ويستاهلوا الحرق والموت..... المفروض إن احنا ناخد الحاجة الكويسة من كل ديانة ونقبلها ونحترمها

قالت صفا وكأنها تحاول أن تحصل على اعتراف من عمر: أنت مسلم بجد ولا مسلم لانك اتولدت مسلم، اقصد يعني مقتنع بالإسلام كدين؟

رد عمر في ثقة: أنا فخور إني مسلم ومقتنع بالإسلام كمان وعلي فكرة أنا ما بعملش حاجة خارجة عن الإسلام لأن ديننا الجميل من زمان بيقول إن كل واحد حر في اختياره واللي مش عايز يسلم هو حر، من زمان والإسلام ادي البني آدم حرية اعتناق الأديان وطلب مننا كمان احترام الناس كلها....علشان كده أنا بحب ديني وفي نفس الوقت بحترم الديانات التانية مهما كانت.

قالت صفا في تململ: بس يعني أنت شاغل نفسك زيادة عن اللزوم بموضوع الخير ده، أنت ما بتفكرش في مستقبلك؟

عمر: ليه بتقولي كده؟ طبعا بافكر وحاطط لنفسي تخيل لحياتي..بس يمكن احنا عمرنا ما اتكلمنا في المستقبل علشان كده انتي مش عارفة. أنا يا ستي هاسافر السنة اللى جاية أمريكا علشان ادرس إخراج زي ما كنت عايز

صفا: أنت لسه هاتدرس وتبدأ شغلانة جديدة يمكن تنجح ويمكن...

عمر: أفشل؟

صفا: مش قصدي بس..ثم قاطعها عمر في هدوء وقال: أنا بحب الإخراج قوي وحاسس إن الوقت اللى بخسره هو الوقت اللى بضيعه في الشركة عندنا

وسألت صفا: وأنت إيه اللى كان مسكتك الوقت ده كله؟

عمر: كنت بحوش فلوس" الكورس" اللى أنا عايز اخده ودلوقتي تقريبا معايا نصف المبلغ وعلي السنة الجاية إن شاء الله هاكون مستقيل ومسافر أمريكا اتعلم...

وهنا سكتت صفا وقالت في صوت رقيق: وأنا هعمل إيه لما تسافر؟

ابتسم عمر واحتضن يد صفا وقال: أنا مش مسافر من غيرك...

وهنا أحمر وجه صفا حتى أصبح في لون الورود النضرة الحمراء التي تملاء المحلات في يوم عيد الحب: قصدك ايه؟

عمر: أكيد عارفة قصدي وحاسة إني بحبك...وبحبك قوي كمان

وهنا احست صفا أنها ستذوب تماما كقطعة سكر في

فنجان شاي ساخن فهي لا تصدق نفسها. لا تصدق أن هذا الشاب الوسيم الظريف التي اعجبت به وتعلقت به في وقت قصير يبادلها نفس الشعور ويريد أن يتقرب منها أكثر. أفاقت صفا من أفكارها وقالت في حياء: صحيح يا "عمر"؟ أنا عمر ما حد قال لي كلام حلو كده زيك، وعمري ما حسيت إني في حد عايزني ومهتم بيا زيك، أرجوك أوعي تكون بتضحك عليا لأني مش حمل صدمات عاطفية تانية..

رد عمر ضاحكا: اضحك عليكي؟! ده أنت لو دخلتي جوا قلبي هتعرفي أنا اد ايه بحبك ومتمسك بيكي..قولي لي امتي اجي اطلبك من مامتك وأنا مش هتأخر أنا مش هلاقي واحدة احسن منك تملك روحي وقلبي زيك

تهللت اسارير صفا عند هذه الجملة ثم ردت: أنا هكلم "راوية" أعرف امتي هاترجع من السفر علشان ناخد معاد ونروح نقابلها مع بعض

رد عمر في أدب: أنا شايف انك لازم تتكلمي معاها لوحدك الأول علشان ما يحصلش إحراج وتفهميها على ظروفي وتحكيلها كل حاجة عن عيلتي ودراستي

قالت صفا مفكرة:طيب ماشي، لو أنت شايف إن كده أحسن

عمر: اتفقنا وابقي قولي الأخبار وطمينيني.

عيد ميلاد سعيد

كان اليوم هو عيد ميلاد عمر، فاتفقت صفا مع عمر أن تحتفل به وتدعوه على العشاء في منزلها وتطهو له بنفسها. فأخذت صفا هذا اليوم إجازة من المجلة وذهبت لتتسوق وتشتري كل طلبات العشاء، واختارت التورتة بنفسها كما اشترت بعض أدوات الزينة المنزلية كالورود الحمراء والبالونات وعادت إلى بيتها وهي في قمة السعادة. وأخذت تعمل في المنزل في سعادة بالغة وبعد أن انتهت من اعداد الطعام ذهبت لتستحم لتتخلص من رائحة البصل والثوم ولبست فستان أحمر يبرز جمال جسدها الممشوق فجعلها تبدو في نضارة ورقة الورود الحمراء الجميلة التي اشترتها في الصباح. ولم تنسي أن تستبدل النظارة بالعدسات وان تتجمل وتضع الزينة الخفيفة كما يحب عمر وأطلقت العنان لشعرها الأسود الجميل ليتدلي على ظهرها في دلال. وانتظرت صفا وصول "عمر" وصبرها يكاد ينفد، فهي تتشوق أن تري رد فعله عندما يري البيت وهو مزين خصيصا له. وأخيرا وصل عمر فعانقته في فرحة ولم يستطع أن يمنع نفسه من أن يصفر في اعجاب بجمال ورقة صفا في هذه الليلة. تناول الاثنان طعام العشاء اللذيذ وقدمت صفا هديتها إلى "عمر". اشترت له موبايل كبديل للجهاز الذي يحمله لأنه أصبح قديما للغاية ولا يعمل كما يجب. ثم جاء وقت التورتة فأطفأت صفا الأنوار واضاءت الشمعة وغنوا أغنية

عيد الميلاد وبعد أن انتهوا وقبل أن تنير صفا الأنوار امسك عمر بيدها وقدم لها علبة صغيرة قطيفة فيها خاتم فيها ماسة كبيرة جدا. فلم تستطع صفا أن تمنع نفسها من أن تشهق بقوة وتقول له: ايه ده ياعمر؟!!

رد عمر وهو يراقب بريق عينيها الذي طغي على بريق الماسة المهولة التي قدمها إليها: ده خاتم جدتي ماما ادتهولي وقالت لي الخاتم ده تقدمه لواحده تستاهله

قالت صفا في فرحة طفولية: بس ده كبير قوي ! ده عشرين قيراط!

عمر: مش للدرجة دي، أنا قعدت أفكر اقدمه ليكي دلوقتي ولا لما اخطبك رسمي وبعدين ما قدرتش أمسك نفسي وقلت لازم على الأقل تشوفيه، والدبل الدهب نبقي ننزل ننقيها أي وقت.

لم تستطع صفا أن تتمالك نفسها وتعلقت برقبة "عمر"، وتقابلت شفتاهم لأول مرة، وغرقت صفا في بحر من اللذة التي لم تعرفها من قبل، لذة ابعثت قشعريرة خفيفة إلى كل مكان في جسدها. وعلي الرغم من أنها كانت دائما تتسائل مع "شن شن" عن مذاق أول قبلة وهل ستستطيع أن تقبل حبيبها أم ستتخبط أسنانهم وتظهر أمامه بمظهر مضحك إلا أنها قبلت "عمر" كأنها خبيرة تعرف كيف تلامس شفتاه وكيف تداعبهما وغرقت في بحر اللذة لمدة غير محسوبة ولم تصحو إلا عندما اكتشفت أن نور الشقة مضاء ووجدت "راوية محمود" تحدق فيها في هلع ولم تستطع "راوية" أن تمنع نفسها من أن تصرخ في وجههما: يا نهار أسود؟! إيه المسخرة دي يا

ست صفا عاملة لي البيت كباريه

ردت صفا وهي تهندم ملابسها وشعرها: مافيش لزوم للكلام ده أنا أصلي..

وقاطعتها راوية في حدة: أصل إيه وفصل إيه، مين الواد ده وبتعملوا ايه بالظبط...قولي بقه انك مختارة تقعدي أغلب أيام الأسبوع هنا لوحدك علشان المسخرة وقلة الأدب

قال عمر في احراج: أنا أسف جدا ومقدر موقفك كويس بس أنا والله كنت ناوي أقابل حضرتك علشان أطلب ايد صفا منك، وكنت جايب الخاتم كمان اهوه علشان اثبت لك حسن نيتي

راوية: هتصلح غطلتك أخيرا

رد عمر مستنكرا: لا يا فندم غلطة ايه ربنا ما يجبش غلط أنا وصفا بينا علاقة حب جميلة واتمني أنها تنتهي بالجواز طبعا

راوية: جواز؟! طب ما تدخل البيوت من أبوابها بدل ما أنت داخل زي الحرامية من ورا البوابين، هي مش صفا لها أهل برده ما تيجي تكلمهم قبل ما تروح تضحك عليها من ورايا

صفا: كفاية بقة ياماما كفاية...هو أنت موجودة علشان حد يكلمك أصلا! على طول مسافرة افتكري كده أنا بقالي قد ايه بقول لك أنا عايزه اكلم معاكي في موضوع مهم، وانتي فين؟ سافرتي شهر ونص وكل ما اسألك راجعة امته تقولي لي مش عارفة مش متأكدة..

راوية: أنا قعدت كثير مسافرة لاني كنت بعمل عملية وأنت عارفة كده كويس ماكنتش اقدر ارجع كان عندي فترة نقاهة

ردت صفا في ضيق: اففففف! أنا زهقت بقي من عملياتك وسفرك ده، تقدري تقولي لي بقي لك قد ايه ما دخلتيش البيت ده؟

راوية: انتي عارفة كويس اني ما بحبش الشقة دي وقلت لك كذا مرة تعالي عيشي معايا انتي اللى مش عايزه

صفا: قصدك اجي أعيش مع بنت جوزك اللى بتكرهني مش كده؟ تفتكري لو جيت هقدر اشوفك؟ يا تري هبقي عايشة معاكي بجد؟! للأسف هاكون عايشة معظم الوقت مع "ريهام" إلى ما بتطقنيش لأن سعادتك مسافرة طول الوقت

راوية: أنا برده طلبت منك كثير تسافري معايا

ردت صفا وهي تشيح بوجهها عن والدتها في كبرياء كاذب: أنا ليا حياة وشغل ماقدرش أفضل هائمة على وجهي زيك كده في بلاد الله

راوية: والله أنا عملت اللى عليا انتي بقه اللى رافضه تكوني معايا

ردت صفا في دهشة واستنكار: أنا برده؟! ارجوكي بلاش نقلب في إلى فات، أنا إلى من يوم ما اتولدت وانتي رامياني لانك مش عايزاني وكل ما بتشوفيني بفكرك بجوازك من بابا إلى بتعتبريه غطلة عمرك

قالت راوية في ثقة وضيق: مافيش ام بتكره بنتها

ردت صفا في وقاحة: تصوري بقه انه فيه، وحتي لو فعلا بتحبيني أنا عمري ما حسيت بكده، علشان تبقي عارفة أنا كنت عايزة موافقتك على جوازي مش لأني مهتمة برأيك لا... علشان ده نوع من الأدب الاجتماعي عيب برده أمي تكون على

وش الدنيا ومش طفشانة زي بابا واتجاهلها أنا واتجوز من وراها

ردت راوية في قرف: انتي مش بس بنت صايعة أنت بقيتي كمان قليلة الأدب

صفا: قليلة الأدب علشان بقول الحقيقة، الحقيقة إني عشت عمري كله لوحدي، مرمية للشغالات اللى بهدلوني معاهم كثير، قولي لي مين كان بيسأل عليا مين؟!!ولا حد.... مافتكرش غير "تانت نادية"..

قالت راوية في لهجة امرة: يالا انزلي معايا دلوقتي علشان تباتي معايا في ٦ أكتوبر

صفا: بس أنا... قاطعتها "راوية" في حدة: مافيش بس أنا مستنياكي تحت هاتي بجامتك وتعالي يالا ثم رمقت "عمر" بنظرة حادة وقالت: وانت تعالي بكره علشان نتفق على ميعاد الجواز... باي باي

غادرت "راوية" وانهارت صفا تبكي على أقرب كرسي، واخذ عمر يربت على كتفها في حنان: معلش احنا برده غلطانين، لازم طبعا تفكر كده، ما تزعليش منها هي برده عندها حق وخايفة عليكي قاطعته صفا في حده: دي ست أنانية جدا أنت بس اللى ماتعرفهاش كويس...

عمر: اوعي تقولي كده دي برده أمك...

قالت صفا في انفعال: أم؟!! دي ما يتقلش عليها ام ابدا، دي ما تنفعش حتى أم أربعة وأربعين... أنت برده معزور، أنا حكيت لك قبل كده عن أمي بس مهما حكيت مش هتقدر تحس بمرارة الأيام اللى أنا عشتها والوحدة القاسية اللى عيشت فيها...نهايته اهي بوظت الليلة الجميلة اللى احنا فيها

مسح عمر وجه صفا في رفق: مين قالت الليلة باظت؟ ده كان أحلي عيد ميلاد في حياتي مع أحلي واحدة قابلتها في حياتي.... بس أنا لازم انزل لأن الوقت اتأخر قوي ومامتك مستنياكي تحت يالا روحي باتي معاها زي ما قالت لك... هكلمك بكره بس مش عايزك تعيطي ارجوكي خلاص بقه، انسي...ثم سألها كأنه تذكر شيئًا: أنت مش قلتي لي أن مالكيش قرايب في القاهرة، امال مين تانت نادية دي؟ عمرك ما قلتي لي عنها حاجة؟

ردت صفا بنبرة صوت منخفضة للغاية وكأنها لا تريد التحدث في الموضوع: دي جارتناهنا في العمارة

عمر: هي عزلت ولا ايه؟

صفا: لا لسه موجودة بس أنا اللى اخترت أكون بعيدة

عمر: ليه؟ مش قلتي إنها كانت بتسأل عليكي؟

صفا: اصلي اكتشفت حاجة فيها ما عجبتنيش

قال عمر محاولا أن يكشف اللغز: ايه طلعت ست سمعتها مش قد كده؟

هزت صفا رأسها علامة النفي: لا خالص دي ست كبيرة زي جدتي

عمر: امال ايه بقه

صفا: اكتشفت إنها.... يهودية

تانت نادية

تنهدت صفا في عمق ثم بدأت تحكي لعمر ذكريات طفولتها. أنا اصلي مالحقتش اتمتع بجدتي لأنها ماتت على طول. وزي ما أنت عارف اعمامي عايشين ما بين إسكندرية والمنصورة، عمر ما حد فكر يسأل عليا يعني كانوا ساعات بيعيدوا عليا كل خمس سنين مرة لكن ما كنش في حد موجود على طول علشان يرعاني. فكنت بقعد مع الشغالة اللى كانت غالبا بتتغير كل كام شهر، مرة لأنها سرقت، مرة لأن سمعتها مش كويسة وبتدخل رجالة البيت ومرة لأنها بتعاملني وحش أو بتضربني. طب ده احنا كان عندنا شغالة اسمها "جمالات"، كنت بترعب منها، كانت على طول تحكي لي حكايات "الغول وأبو رجل مسلوخة " فمرة من المرات حبستني في اودتي وقفلت الباب والنور كنوع من العقاب علشان دلقت كباية العصير على السجادة وهي كانت لسه منضفاها فمن كثر تأثير الحواديت المخيفة اللى بتحكيهالي خفت جدا وقعدت أصرخ في هيستريا علشان تفتح لي الباب وتخرجني، لكن تقول ايه بقه في الست "جمالات" ولا كانت سأله فيا، قلبها كان حجر بعيد عنك. الظاهر بقة إن صوتي كان عالي قوي فلقيت جرس الباب بيرن زي المجانين وافتكرت طبعا أنها "راوية" هتيجي تنقذني من "جمالات المفترية" لكن طبعا ما كانتش الست الوالدة وطلعت ست كبيرة في السن اسمها"

نادية". دخلت البيت وسمعتها بتتخانق مع "جمالات" وبتهددها بانها هتفضحها عند "راوية". فراحت على طول فاتحة باب الأودة ومطلعاني ورحت مع الست الكبيرة دي شقتها اللى فوقينا علشان اقضي اليوم عندها، ولما "راوية" رجعت البيت نزلت " تانت نادية" معايا علشان تتكلم معاها وتحكي لها عن" جمالات" وقسوتها. وطلبت من "راوية" اني أروح عندها كل يوم بعد المدرسة لحد ما هي ترجع من الشغل. قالت لها انها عايشة مع جوزها وأولادها مسافرين من زمان وإن وجودي معاهم هيونسهم وهيعمل فرق كبير في حياتهم. ومن يومها بقيت كل يوم ارجع من المدرسة على بيت" تانت نادية". كنت بمبسط هناك قوي، كانت على طول تعملي حاجة تسليني كنت بحس انها زي جدتي الله يرحمها، كنا نتفرج الأول على فيلم كرتون واحنا بنتغدي وبعدين نحلي بفاكهة أو بكيكة معمولة من الزيت وبعدها على طول تحضر لي كباية كاكاو سخن وتسيبني أعمل الواجبات المدرسية وتروح هي تقعد مع "انكل إبراهيم" جوزها، أصله كان راجل كبير قوي وما بيقومش من السرير. وبعد ما اخلص واجب المدرسة تكون محضرة لي بطاطا مشوية ريحتها تجنن. وعلي الساعة ثمانية كده اروح بقه البيت يكون أهلي رجعوا. كنت حقيقي بحس إنها زي جدتي. كانت حنينة قوي. قضيت أول اربعتاشر سنة من عمري في بيت "تانت نادية".

عمر: طب دي حاجة جميلة قوي باين عليها كانت ست حنينة وبتحبك

صفا: بس اكتشفت حاجة فظيعة.... بعد سنين طويلة عرفت أن "تانت نادية" لا مسلمة ولا مسيحية، ودي بالنسبة لي

حاجة غريبة لأن الناس هنا في مصر يا مسلمين يا مسيحيين، ما كنتش أعرف إن فيه لسه يهود في مصر وبصراحة يوم ما عرفت افتكرتها بتهزر ولما اتأكدت استغربت قوي وقعدت أسبوع ما بزورهمش زي العادة.وابتديت أفكر واعرف من التاريخ إلى باخده في المدرسه اننا حاربنا إسرائيل كثير وانهم عدونا الأول في العالم وبقيت اشوف في الأخبار المذابح اللى بتحصل في فلسطين وحصار غزة والحرب على لبنان، ومن ساعتها بطلت اروح لها وابتديت احاول اتفادي اني اشوفها أو ارد على مكالمتها.

وسأل عمر صفا في هدوء وكأنه طبيب نفساني يحاول أن يكتشف أعماق مريضته ومشاعرها الحقيقية: ما بتوحشكيش؟

ردت صفا وكأنها تحدث نفسها: أكيد بتوحشني. أنا كنت باقعد معاها أكثر ما باقعد في بيتي. بس ما بقتش اقدر آبص في وشها من ساعة ما عرفت انها يهودية.

ثم قال عمر في حزم: انتي لازم تروحي تزوريها وتسألي عليها وأنا كمان حابب إني اشوفها

ردت صفا في استنكار: أنت بتقول ايه؟

عمر: بصراحة أنا ما كنتش عارف أن لسه في يهود في مصر، بس على كل الأحوال الست دي ربتك وكانت دايما كويسة معاكي تبقي قليلة الأصل لو ما روحتيش تشوفيها وتوديها زي ما هو المفروض. زي ما انتي كنتي محتاجة لها هي اكيد دلوقتي محتاجة لك خصوصا أنها في سن جدتك

ومالهاش حد غير جوزها.

صفا: لا ما هو جوزها مات هو كمان وهي دلوقتي لوحدها

عمر: يبقي من باب أولي إنك تروحي تشوفي هي محتاجة ايه وتونسيها

قالت صفا وهي تغير قسمات وجهها الرقيق وترسم عليه علامات الاشمئزاز:بس أنا دلوقتي بحس بنوع من القرف كل ما بفتكر إنها يهودية بحس إني لو كلمتها هاكون خاينة

عمر: انتي تكوني خاينة العيش والملح لو ماكلمتيهاش

صاحت صفا في وجه عمر وكأنها تلقي عليه خطبة: أنت بتتكلم ازاي؟ أنت ما عندكش وطنية مش حاسس بالي بيجري في فلسطين، ماتعرفش احنا حربينا قد ايه في مصر وكام واحد دفع حياته علشان نرجع "سينا" تاني، ما انتش عارف إن مصايب الدنيا كلها سببها اليهود!

رد عمر في ثقة وهدوء: لا عارف كويس قوي إيه اللى بيحصل في فلسطين وبحتقر الاحتلال وبقرف من المذابح اللى بيعملوها ولا عمري هانسي قصة الطفل الشهيد" محمد الدرة" وآلاف الأطفال غيره... وعارف ومقتنع مية المية إن مصريين كثير ماتوا علشان يدافعوا عننا ومنهم خالي اللى مات في ثلاثة وسبعين... بس برده عارف ومقتنع إن الست دي كل جريمتها في الدنيا إنها يهودية واحنا هنا ما بنعرفش نفرق بين اليهودي والإسرائيلي. ما بنفرقش بين الدين والسياسة كله عندنا حاجة واحدة. مع إن اليهودية دي دين، ودين سماوي زيها زي الإسلام والمسيحية وإسرائيل عدو، جنسية وسياسة دولة... عيبك يا صفا زي كثير من الناس انك ما بترضيش تسمعي أي رأي تاني

مختلف عن رأيك ومعتقداتك وبتقفلي ودانك وحواسك كلها عن إنك تسمعي وتفهمي... حاولي تعرفي رأيي الأول وبعدين قولي لي إنك مش موافقة واقبلي إن أنا مختلف في الرأي معاكي.

صفا: ما أنا عمالة اسمع في أرائك دي من الصبح بس أنت بصراحة بتقول كلام غريب قوي...

عمر: مش عيب إن الواحد يسمع وجهة نظر مختلفة عن أفكاره ربنا خلقنا مختلفين في كل حاجة والاختلاف ده رحمة لينا ونعمة يبقي لازم بقي نتعلم اننا نعرف نحترم ونتعايش مع الرأي الآخر.

ردت صفا في لهجة تهكمية: ايه بقه المقدمة الطويلة دي كلها؟!

قال عمر متجاهلا نبرة السخرية الواضحة في صوتها: أنا إلى عايز اقولوه أن مافيش عربي واحد هيكون متعاطف مع اسرائيل أو موافق على سياستها في المنطقة، وإن مش معني أن احنا عندنا معاهدة سلام معاهم يبقي احنا خلاص أصحاب.. لا احنا خلقنا السلام ده علشان خلاص اخدنا آخر حتة من ارضنا وكرامتنا رجعت لنا تاني يبقي نقدربقي نطلب السلام واحنا راسنا مرفوعة وعارفين إن احنا مش بنطلب السلام ده من منطلق ضعف وبنترجاهم يحنوا علينا ويرحمونا، لا احنا بقينا في مركز قوة زينا زيهم وخدنا آخر شبر من ترابنا ونقدر بقي نقول كفاية دم ما فيش داعي حد تاني يموت ما دام بقينا خالصين وكل واحد خد حقه... وبعدين مش من المصلحة أبدًا إن علاقتنا مع جيرانا في الحدود تكون متوترة دلوقتي قوة البلاد ما بقتش بتتقاس بس بحجم الأسلحة والقنابل النووية،

في قوة تانية احنا بننساها وهي قوة الاقتصاد والعلم اللى ممكن تكون أقوي من كل أسلحة العالم.. ليه مش بنبص على ألمانيا واليابان دي دول اتبهدلت من الحرب وبصي دلوقتي بقم ايه؟ أقوي دول العالم من الناحية الاقتصادية ويقدروا يستعملوا قوتهم دي في التأثير على بقية دول العالم، اتفرجي على الصين كمان كام سنة هتكون هي بدل أمريكا...لازم نلتفت بقه لاقتصادنا ونهضتنا وننسي موضوع الحرب والدمار مادام أرضنا رجعت حرة تاني لينا.... لكن موضوع "تانت نادية" ده حاجة تانية خالص دي مسألة إنسانية بحتة مالهاش دعوة بالسياسة خالص... طول عمر اليهود عايشين في مصر في سلام، اشتغلنا معاهم وعشنا معاهم وأكلنا معاهم وكمان صاحبناهم، وعملنا حتى أفلام تبين إننا متعايشين معاهم من غير مشاكل مش فاكرة الفيلم ابو دم خفيف "حسن ومرقص وكهين"؟ أنا بطلب منك إنك تكوني متسامحة مع الست اللى ربتك دي لأنها مالهاش ذنب في اللى بيحصل في فلسطين. وما بقولكيش بيعي مبادئك وحبي الاسرائليين لأن ده مش ممكن يحصل، بس حبي الست اللى ربتك وعطفت عليكي في وقت كنتي أنت محتاجة لها فيه، وماتقسيش عليها زي بقيت الناس. تعرفي.. أنت مثل هايل يثبت إن الإنسان بيتولد من غير أي تعصب أو كره لملة أو دين، بدليل إنك وأنت صغيرة كنتي بتموتي في "تانت نادية" لأن مشاعرك كانت لسه بكر كلها برائة، ماتعرفش تكره حد علشان لونه أو دينه. ومع الوقت مشاعرك البكر دي اتغيرت لأنها اتأثرت من الإعلام والناس واتحولت من مشاعركلها حب وبرائة إلى مشاعر كلها كره وتعصب.

ردت صفا وكأنها لا تريد أن تسمع أو تفهم وجهة نظر عمر: مشاعري اتحولت لأني فهمت وعرفت إن اليهود اعداءنا من زمان

عمر: يبقي أنت كده فهمت نص الحقيقة، لأني ارجع واقول لك إن "الإسرائيلين" هما اللى اعدائنا ومش كل اليهود قتالين قتلة، مش كلهم مجرمين، مش كلهم محتلين. احنا دايما بنعمم الأشياء ونفترض حاجات مش موجودة ومش واقعية لأن مش ممكن إن فيه شعب بحاله في الدنيا دي "كله" وبأكد على كلمة "كله" وحش... عارفة عاملة زي ايه، زي بالظبط الصورة المشوهة إلى الغرب واخدها عنا... متصورين أن "كل" العرب إرهابيين ومتطرفين علشان كام واحد مسلم عمل عملية إرهابية باسم الإسلام وقتل فيها ناس ما لهاش ذنب.

سكتت صفا للحظات وارتسم على وجهها علامات الاقتناع فاقترب منها عمرو وسألها في حنان: ها هتعرفيني على تانت نادية امتي؟

ردت صفا في صوت هادىء: هاكلمها وأقول لك...

شن شن

شن شن... مامعني هذا الاسم؟ شن شن اسم دلع لاسم "شكرية" اسم مش جميل ومش عصري لبنت جميلة وقلبها من أكبر القلوب اللى في الدنيا. اتولدت "شكرية" في بيت عائلة كريمة من الطبقة المتوسطة والمتعلمة في مصرو لكن كان حظ هذه العائلة قليل من ناحية الانجاب فكانت الأم "فوزية" تحمل وتلد أطفالا ذكورا واناثا ولكن سرعان ما يموت الرضيع في غضون أيام قليلة. ولماعجز الطب عن حل المشكلة وازدادت الشكوي من سوء الحظ، وكبر شوق الأم للأولاد اقترحت إحدي الصديقات الذهاب لأحد السحرة المعروفين بالقدرة على تسخير الجن لخدمة الإنسان. وبالفعل ذهبت "فوزية" والدة "شن شن" مع الصديقة لعم "بيومي" الساحر وعرضت مشكلتها عليه.

ونجح عم "بيومي" بالصدفة طبعا في حل مشكلة "فوزية" واقنعها بقدرته على تسخير الجن لحل مشكلتها وأنه يتحتم عليها أن تأتيه ببعض الطلبات الغريبة لمساعدتها على انجاب أطفال أصحاء وفعلا أمضت "فوزية" وقتًا طويلاً للبحث عن ورك نملة يتيمة وظفر جدي اعور وريشة ديك افرنجي وأخيرا وجدتهم وارسلتهم لعم "بيومي" وبعد شهور قليلة ولدت "فوزية" بنت وجهها في جمال القمر ولها عيون واسعة بلون عسل النحل الصاف. ومرت الأيام وعاشت "شن شن" في صحة وعافية

عكس ما حدث مع أخواتها الأربع الذين سبقوها وتوفاهم الله. وأصبحت الرضيعة قرة عين أهلها، يدللونها في كل وقت وأي وقت. وطبعا نظرا لمعجزات عم "بيومي" في مساعدت الأم على الانجاب والحفاظ على حياة المولود أصبحت "فوزية" عبدة لعم "بيومي" لأنه استطاع أن يحقق لها ما عجز عليه الأطباء. وأصبح أي قرار في البيت من أصغر شيء لأكبر شيء مرتبط بعم "بيومي" والجن وطلباتهم. وكان من أول طلبات الجن تسمية البنت الجميلة التي ولدت "شكرية"! ولما استشارت "فوزية" "فؤاد" زوجها اعترض بشدة وقال إن "شكرية" ده اسم قديم جدا وليس قريب من قلبه وقال لها انه ليس من المعقول تسمية طفلتهم الوحيدة التي ملأت عليهم حياتهم وادخلت عليهم البهجة هذا الاسم العتيق.ولكن اصرت "فوزية" على موقفها وافهمت "فؤاد" أنه لولا جهود عم "بيومي" لكانت الفتاة ماتت كما حدث مع أخواتها الأربع. وخضع الزوج أمام رغبة زوجته وسميت البنت "شكرية" وأصبحوا ينادونها باسم "شن شن" كاسم دلع ونسي معظم الناس اسمها الحقيقي.

عاشت" شن شن" حياة كلها سعادة وحب من والديها الذين كانوا يفعلوا كل ما في وسعهم لاسعاد وارضاء وحيدتهم الغالية. وتمتعت "شن شن" بصحة جيدة حتى سن الخامسة وهنا انقلبت حياتها رأسا على عقب، داهمها مرض شلل الأطفال وهزمها وتركها بانعواج واضح في ساقيها وإعاقة في حركة المشي. وانهار الأب والأم عندما مرضت الفتاة ولم يكف "فؤاد" عن تأنيب "فوزية" لأنها انصاعت تماما لنصائح عم "بيومي" وخضعت لخزعبلاته وأفكاره المتخلفة وأوهمها أن "شن شن" لا تحتاج إلى تطعيمات في مرحلة الطفولة لأنها في حماية الجن،

واقنعها أن هذه التطعيمات ليس لها أي فائدة، ولكن المهم هو تقديم الهدايا وتلبية احتياجات مملكة الجن.و تحت تأثير عم "بيومي"عطلت "فوزية" عقلها واهملت اراء الأطباء ولم تهتم أن تعطي ابنتها التطعيمات الكاملة اللازمة لحمايتها من شر أمراض كثيرة، وحاول الأب مرارا اقناع زوجته أن عم "بيومي" ليس إلا مشعوذ ودجال لم يكن له دخل بولادة "شن شن" وصحتها وان هذه المعجزة من فضل الله وحده ولكن هيهات لم تقتنع "فوزية" أبدًا بهذا الكلام وكانت تزداد تعلقا بعم "بيومي" وكراماته يوم بعد يوم.

وكبرت "شن شن" وأصبحت شابة، شابة ملفتة وجميلة تثير اعجاب الشباب إذا رأوا نصفها الأعلي فقط، ولكن إذا شاهدوا انعواج ساقيها وحركتها العرجاء يبدأوا في الحال في اختلاق الأعذار للهروب منها. وكانت "شن شن" تعرف مشكلتها وتتألم منها ولكن كان عندها أمل دائما في أن تجد ابن الحلال الذي تستطيع أن تتزوجه وتستقل معه عن أهلها. كان همها في الحياة الاستقلال عن بيت أهلها، لأنه نظرا لظروف مولدها وظروف شلل الأطفال المخفف الذي أثر على ساقيها كانت دائما تحت اشرافهم الشديد وذلك ليس بسبب قلة الثقة والشك في سلوكها ولكن بسبب خوفهم وحرصهم الشديد على وحيدتهم. كانوا قلما سمحوا لها بأن تغيب عن أعينهم. ولم يكن أبدًا مسموح لها بأن تذهب كباقي زميلاتها إلى رحلات مدرسية أو جامعية.و النوم خارج المنزل ليس موضوع مناقشة لأنه مرفوض مقدما حتى وإن كان مع أعز صديقتها "صفا"، التي كانوا يحبونها جدا ويعتبرونها كأبنتهم.

كبرت "شن شن" وأصبحت شابة في الخامسة والثلاثين من عمرها ولكنها كانت تعامل كأنها طفلة في العاشرة لها سائق خاص بها يأخذها إلى أي مكان حتى لا تضطر إلى أخذ مواصلات أو الركوب مع صديقاتها السيارة والتعرض لمعاكسات الشباب. كان عليها دائما الاتصال على الموبايل الخاص بوالدتها كل صباح لتبلغها أنها وصلت بالسلامة إلى مكتبها مما كان يسبب لها احراجًا مع زملائها لأنها تعامل كالأطفال.ولذلك كان من الطبيعي أن تحس "شن شن" باختناق من حصاروالديها وكانت بدورها تحب أن تتمرد على أسلوب الحماية المبالغ فيها فكانت في كثير من المرات تقصد ألا تكلم والدتها في التليفون لطمئنتها على وصولها إلى مكان ولكن سرعان ما تندم على فعلتها عندما تسمع والدتها وهي تبكي في التليفون من فرط قلقها عليها فتحس بالذنب في الحال وتعدها بألا تكررها مرة أخري.

كانت "شن شن" تحلم بأن تتخلص من قبضة أهلها وأن تتحرر من سيطرتهم وأن تحس في نفس الوقت بأنها مرغوبة وأنها تستطيع أن تحب وتتزوج وتنجب كأي فتاة طبيعية. ولذلك فكان الزواج بالنسبة إليها هدف تسعي إليه بكل طاقتها. فكانت دائما في مهمة البحث عن رجل تجعله "هدف" للسعي ورائه، وكانت تحاول بكل الطرق في الحصول على رضائه وإعجابه. فكانت مثلا إذا اعجبها رجل ما راقبته وحفظت عن ظهر قلب كل الأماكن التي يرتاد عليها لتتواجد فيها. إذا علمت أن رجلها يسكن في المعادي مثلا وهي تسكن في المهندسين تحول حياتها كلها من المهندسين إلى المعادي لتزيد فرص مقابلته ولو صدفة، فتتبضع هناك وتخرج هناك

وتأكل هناك تفعل كل شيء للبقاء في محيط حياته اليومية واختلاق فرص لرؤيته والتعرف عليه.

إذا عرفت أن رجلها يحب رياضة معينة كالجولف أو الفروسية أو كرة القدم مثلا أو غيرهما فكانت تجمع كل ما تستطيع من كتب ومعلومات لتتحول إلى موسوعة في هذه الرياضة تحفظ عن ظهر قلب تاريخها، أشهر لاعبيها وبطولاتها العالمية ومواعيدها.

إذا اكتشفت أن رجلها يحب الطعام اقنعته بأنها تعرف كل الوصفات والاكلات وأنها كتاب "آبلة نظيرة" يمشي على الأرض. مرة من المرات أحبت رجل متدين جدا فتحجبت لمدة ثلاثة أشهر لكي ترضيه وتقنعه بالزواج منها ولكن على الرغم من مجهودات "شن شن" المتعددة إلا أنها كانت دائما تقابل بالرفض والسبب هو إعاقتها. "شن شن" إنسانة جميلة الوجه والخلق ولكن من من الرجال سيكون فخورًا بزوجة معاقة؟ أو من من الأمهات ستكون سعيدة بزوجة ابن مريضة؟ ربما لن يكون بمقدورها اسعاد زوجها وآولادها نظرا لظروفها الصحية.

علي الرغم من حظ "شن شن" القليل في الحب والصحة إلا أنها كانت بارعة جدا في عملها وكانت تعمل في وظيفة مرموقة بإحدي الشركات الكبيرة للكمبيوتر ووصلت في زمن قياسي إلى أعلي المناصب في الشركة ولذلك فقد قررت الشركة أن ترسلها لمدة عام إلى فرع الشركة بمدينة "دبي" في دولة الإمارات العربية. فرحت "شن شن" بهذه الفرصة فرحة كبيرة وكانت سعيدة جدًا لأنها حصلت على فرصة عظيمة لتطوير مهارتها في فرع الشركة بدبي، وفرحت أكثر بأنها ستعيش وحدها لمدة عام كامل بعيدا عن أهلها، فما أجمل

الاحساس بالحرية خصوصا أنها تعيش حياتها كلها تحت رعاية أهلها المبالغ فيها. ولكن تبقي مشكلة صعبة، كيف ستقنع أهلها بالسفروالبقاء وحدها في بلد غريب لمدة عام كامل؟! كانت "شن شن"تعرف أن مهمتها شبه مستحيلة لأنها لم تغب يوما واحدا عن نظر والديها ولم تسافر أبدًا وحدها إلى أي مكان فكيف ستقنعهم بالسفر خارج مصر؟ أسئلة كثيرة كانت تدور في رأس "شن شن" ولكنها كانت مقتنعة أن مثل هذه الفرص لا تأتي في العمر أكثر من مرة، فيجب أن تحاول وتحارب في سبيل التحرر من قبضة عائلتها والتركيز في مستقبلها المهني الشيء الوحيد الناجح في حياتها. وفي أحد الأيام الهادئة كانت "شن شن" تجلس مع والديها أمام التليفزيون يشاهدون برنامج ممل فقررت أن تحدثهم في الموضوع فبدأت في الحديث موجهة كلامها إلى أبيها: شفت يا بابا مش أنا هترقي..

رد الأب في فرحة بعد أن اشاح بوجهه من شاشة التليفزيون ونظر إلى ابنته في فخر حنان: بجد ألف مبروك يا حبيبتي أيوه كده فرحي قلبي احنا لازم بقي نجيب تورتة ونحتفل بالمناسبة الحلوة دي

ردت شن شن مداعبة والدها: ميرسي قوي يا بابا بس أجل التورتة بقه للسنة الجاية

تدخلت الأم في الحديث وسألت ابنتها: ليه يا حبيبتي؟

شن شن: أصل الترقية دي هاتيجي بعد سنة لما اتمرن على الشغلانة الجديدة الأول

قال الأب وهو يتجه بنظره مرة أخري إلى التليفزيون: يا

بكاشة يعني ماترقتيش ولا حاجة..

شن شن: لا يا بابا الشركة وعدتني بالترقية بس بشرط إن اتمرن الأول على الشغلانة الجديدة

رد الأب: هايل حلو اتمرني

قالت شن شن في تلعثم: أيوه يا بابا ما أنا فعلا هاتمرن بس المكان أصله بعيد شوية

قالت الأم في محاولة منها لتبسيط الموضوع: مش مشكلة خلي السواق يوصلك مطرح ما انتي عايزة

قالت شن شن في مرح مصطنع: لا ما أنا هاروح بطيارة

هتف الأب والأم في نفس الوقت: طيارة؟!

قالت شن شن في سرعة شديدة وكأنها تلقي بقنبلة: أنا لازم اروح اتمرن في دبي لمدة سنة وبعدين أرجع مصر واترقي

هتف الأب في ذهول: مسافرة فين؟ ومين دول اللى هيسيبوكي تسافري؟

وفي هذه اللحظة هبت شن شن واقفة وبدأت تتحدث بحماس كأنها تلقي عليهم خطبة مهمة: ارجوكوا افهموا وقدروا موقفي، السفر لدبي ضروري علشان اخد الترقية ولازم اقعد سنة كاملة ولو اعتذرت معناها إن حد تاني هايخد مكاني وتضيع عليا الوظيفة اظن إن ده ما يرضيكوش... ثم غيرت نبرت وصوتها وبدأت تتكلم بصوت متحشرج فيه شجن عميق: انتوا عارفين إن أنا كل سنة بكبر وفرص جوازي بتقل خصوصا إن أنا مش زي أي بنت ومافيش حد هيقبلني بالساهل فارجوكوا خلوني اشوف شغلي لأن هوده مستقبلي الحقيقي والحاجة اللى أنا بلاقي فيها نفسي...ما تردوش عليا دلوقتي

وقولوا لي رأيكو بكره بعد الشغل...نفسي اسمع منكوا كلمة "موافقين" تصبحوا على خير.وخرجت شن شن في سرعة من الغرفة دون أن تترك فرصة لوالديها بابداء أي رأي في الموضوع وانصرفت وهي تحس براحة نسبية لأنها ازاحت حجر ثقيل من على صدرها وتركت والديها في دوامة كبيرة.

خرجت "شن شن" مع صفا في مساء اليوم التالي إلى إحدي الكوفي شوب وحكت لها عن مناقشتها مع والديها بخصوص السفر إلى دبي وعن العرض المقدم من الشركة وعن رغبتها الشديدة في السفر وقبول العرض.

فوجئت صفا بكلام "شن شن" وبجرئتها في مناقشة أهلها في شيء كهذا. صفا: أنا مش قادرة أصدق انتي ازاي متخيلة انهم هيوافقوا على حاجة زي كده؟! ده انتي عمرك ما سافرتي لوحدك ولا حتى كنتي بتطلعي معانا في رحلات المدرسة يبقي ازاي بقي عايزاهم يسيبوكي سنة بحالها لوحدك؟!

شن شن: انتي اصلك مش متخيلة أنا زهقت ازاي من حياتي ومحتاجة احس بتغيير وبصراحة مافيش فرصة أحسن من كده، سفر وترقية.

صفا: أيوه بس ناس في عقلية أنكل وتانت مش هيقبلوا بسهولة ده أنا عارفة أد ايه بيخافوا عليكي ده أنا فاكرة لما ابتديت اسوق ماكنوش بيرضوا حتى انك تركبي معايا ودايما بيصروا تركبي مع اسطي "حسين". ومانساش انكل "فؤاد" كان مانع عنك أكل الشارع وأكل المطاعم والهمبورجر علشان مش ضامن نظافتهم ويخاف لحسن تجيلك الصفرة. حتى الآيس كريم يا تكلي اللى تانت بتحضره في البيت بس يا مافيش. قصدي انهم بيخافوا عليكي من الهوا الطاير ازاي بقه يا

شاطرة متوقعة إنهم هايوافقوا على سفرك...

شن شن: أنا مش هاقدر أفضل سلبية طول عمري وبعدين أنا بقيت دلوقتي خمسة وثلاثين سنة وبشتغل وإنسانة عاقلة ومتزنة يبقي يدوبك بقي اتحمل مسؤولية نفسي ولو لمرة واحدة في حياتي...

صفا: مش عارفة أقول لك إيه لكن ربنا معاكي وهافرح لك قوي لو سافرتي...وصمتت برهة ثم قالت بتأثر: ولو أنك هاتسيبيني لوحدي واحنا عمرنا ما افترقنا

شن شن: لوحدك ايه يا بكاشة، ربنا يخلي لك "عمر" ولد هايل وأنا حقيقي فرحانة أن ربنا بعته ليكي في الوقت المناسب

صفا: اه أنا كتير ما كنتش مصدقة إن "عمر" ده شخصية حقيقية وموجودة في حياتي

وأضافت شن شن: وبيحبك

ابتسمت صفا في سعادة وقالت في صوت منخفض: اه أنا برده اخيرا لقيت حد يحبني ويهتم بيا بعد ما كنت فقدت الأمل.

شن شن: طول عمرك متشأمة...قاطعهم الجرسون الذي جاء ليكتب طلباتهم فقالت شن شن لصفا: ايه رأيك ناخد مع بعض آيس كريم الشوكولاتة اللى بالكراميل؟

صفا: لا بلاش أنا، ثم نظرت إلى الـ"جرسون" وطلبت شاي أخضر فنظرت "شن شن" إليها في حالة عدم تصديق وداعبتها: اللى يسمعك دلوقتي ما يسمعكيش من كام شهر، من ساعة ما اتعرفتي على "عمر" باشا وانتي اعتزلتي كل الحاجات الحلوة اللى كنا متعودين عليها سوا. ثم نظرت إلى ال"جرسون" وقالت: هاتلي أنا الآيس كريم. وقالت مداعبة لصفا: اتخن أنا وانتي تخسي وتحلوي.

سوسن انطوان القمص

ابتسمت "سوسن" في سعادة باهتة أمام الشاب الهادىء الملامح الذي يجلس أمامها، وقالت: أنا يشرفني يا ابني إنك تكون جوز بنتي، أنت الناس كلها تحبك وتحلف باخلاقك، أنا هلاقي فين أحسن منك.

رد رؤوف في أدب: شكرا يا خالتي ماهو ده العشم برده... طب هنلبس دبل امتي؟

سوسن: مافيش داعي للاستعجال خصوصا انك هتاخد "ماريا" وتسافر، وأنت عارف إن "ماريا" دي عينيا اللى بشوف بيها والكتف اللى بتسند عليه

رؤوف: أنا عارف يا خالتي الكلام ده بس أنا قصدي بس نلبس دبل وبعدين نبقي نتجوز بعدين لما انتي تحبي

قالت سوسن في وهن: أنت عارف إن لو عليا احب انكوا تتجوزوا النهاردة قبل بكرة، بس أنا مستنية أعمل عملية عينيا الأول يمكن ربنا يمن عليا ويرجع لي نظري تاني

قال رؤوف في اصرار: طب ما تسمعي كلامي وتيجي تعيشي معانا في سفاجا

ردت سوسن في محاولة باهتة لمداعبة خطيب ابنتها: ليه يابني بس أجي اكبس على نفسكوا كده من قولها، اتهنوا ببعض الأول، والأصول استني شوية وبعدين أنت الشقة اللى هتقعد فيها

حجرة نوم واحدة... يبقي أنا اجي اقعد فين؟ ما تحملوش همي أنا الجيران هنا بتاخد بالها مني كويس، كلهم ولاد حلال، طول ما الست "ازيس" جنبي هي وأولادها ما يهمكوش حاجة، أنا بس عايزاكوا تستنوا لما اعمل العملية الأول.

رؤوف: طب وسمير؟ هو فين الأيام دي؟

ردت سوسن في كأبة: سمير.. هو حد عارف له مكان.. أنا سمير ده بعتبره مات من زمان...

رؤوف: ايوه بس اخاف ليجيلك ويبهدلك زي كل مرة وانتي مش حمله

ردت سوسن وهي تنظر إلى السماء كأنها تدعو الله: منه لله اللى وداه سكة اللى يروح ما يرجعش... واللي عرفه طريق المخدرات

رد رؤوف متسائلا: أنا عارف بس عمل في نفسه كده ليه؟

سوسن: قوم بقي يابني زمانك اتأخرت على "ماريا"، يالا روح هاتها من الشغل وتعالوا ناكل لقمة مع بعض

قال رؤوف وهو يهم بالانصراف: طب بالاذن ياخالتي

سوسن: ماتتأخروش بالسلامة

خرج رؤوف من بيت "سوسن" وتركها في السرير تفكر في مصيرها. "سوسن انطوان القمص" سيدة في الستين من عمرها على قد حالها تسكن في حي "الظاهر" بالقاهرة. اتربت في بيت متواضع جدا على ايدي خياطات زمان، الأرمن والجريج. اتعلمت منهم وشربت الصنعة كويس وكان لها الكثير من الزبائن اللى لسه بيفضلوا يلبسوا تفصيل تجوزت من "منير ملاك ميخائيل" وانجبت بنت وولد، "ماريا وسمير".

استطاعت من عملها وشطارتها في معاملة الزبائن في أن تدخر مبلغ مش بطال يسترها وتعلم بيه أولادها، خصوصا وأن زوجها "منير" لم يكن يكسب مثلها فهو كان مدرس مواد اجتماعية في مدرسة "الفرير" الموجودة بجانبهم وراتبه كان يكفي بالكاد طلبات البيت التي تزيد يوم بعد يوم. ولم يكن باستطاعته أن يحسن دخله مثل باقي زمايله من المدرسين لأن المادة اللى كان يدرسها مادة ما بتحتجش دروس مثل الحساب أو العلوم أو اللغات لأنها مادة تعتمد بشكل أساسي على قراءة التاريخ والجغرافيا وحفظهم. كما كان لـ"منير" طباعا صعبة فهو عصبي المزاج ويهوي السهر خارج المنزل مع الأصدقاء وارتياد البارات الرخيصة والملاهي الليلية. لم تكن "سوسن" تهتم كثيرا بنزوات زوجها وبخروجه المستمر كانت تهتم فقط بأن ينام في المنزل كل يوم ولا تحاول أبدًا استجوابه في اليوم التالي. كان همها الأوحد في الحياة هو تربية الأولاد وتعليمهم فقط.

كانت "سوسن" تعيش حياة مستقرة إلى أن جاء اليوم الذي اقترح فيه زوجها عليها أن يأخذ مدخراتها من البنك ويوظفها في مشروع استثماري مكسبه مضمون، ومع الالحاح والاقناع تخلت" سوسن" عن جزء كبير من المبلغ الذي كانت تدخره في البنك وسلمته لزوجها الذي اخذه وقال لها إنه سيسافر "ايطاليا" ليري أخوه المهاجر هناك من عشرين سنة وبالفعل سافر "منير" ولم يراه أحد من بعدها.

اختفي "منير" خمس سنوات لا أحد يعلم عنه شيء، إلى أن وصلت "سوسن" الأخبار وعرفت من أولاد الحلال أن زوجها المحترم لم يسافر"ايطاليا" وانه تزوج من راقصة مسلمة درجة ثالثة في غاية الجمال وطبعا اضطر إلى تغير دينه واشهار إسلامه.

انهارت "سوسن" من المصيبة التي حلت على رأسها وعرفت طريق بيته الجديد وذهبت لتتفاهم معه وتحاول أن تفهم منه كيف استطاع أن ينسي زوجته وأولاده بهذا الشكل ولايسأل عليهم ولا مرة طوال السنوات الخمس الماضية عليهم. والتقت العيون أخيرا بعد سنوات طويلة وسئلت "سوسن" زوجها في حدة: فين فلوسي وفلوس ولادي يامنير؟

رد منير بسماجة ووقاحة: مالكيش حاجة عندي فلوسك خسرتها كلها وأنا عايش دلوقتي بفلوس مراتي... سيبوني في حالي بقي من فضلك ماتجيش هنا تاني وانسي إنك قابلتيني مش عايز اسمع عنك ولا عن ولادك تاني.

قالت سوسن وهي تنظر إلى زوجها متوسلة: بتقولها كده بمنتهي البساطة؟! يخونك العيش والملح اللى بينا؟ طب وأولادك خلاص مابقتش تحبهم؟! في أب يرمي ولاده بالمنظر ده ويسرق فلوس امهم اللى هتربيهم بيها علشان يصرفها على رقاصة؟! أنا مش فاهمة ازاي مدرس محترم في مدرسة كبيرة يرمي حياته وولاده كلهم ورا ظهره ويبيع دينه علشان واحدة رقاصة؟!...

رد منير في تململ ووقاحة: بقول لك ايه يا ولية، ما تعمليلش فيلم هندي هنا، أنا زهقت منك ومن عشتك، امشي اطلعي بره وماتورنيش وشك تاني...

قالت سوسن في اصرار وحزم وهي تجذبه من ذراعه: اطلع بره لما اخد فلوسي الأول... لو أنت مش عايزني أنا وولادي يبقي احنا كمان مش عايزينك بس هات فلوسي الأول يا حرامي...

واحتد النقاش وتحول إلى مشادة بالأيدي لم تنتهي إلا بتدخل زوجة منير الجديدة والتي قامت بطرد "سوسن" والتعهد بطلب

الشرطة إذا ما تعرضت لهم "سوسن" مرة ثانية.

وخرجت "سوسن" من بيت "منير" وهي مطرودة وذليلة والدموع تبلل وجهها. فهي لا تصدق ما حدث لها ولا تتخيل أنها كانت تعيش في يوم ما مع إنسان معدوم الأخلاق والإنسانية.

وبعد مرور عام من زيارة "سوسن" لزوجها السابق، تلقت مكالمة هاتفية من "منير" يطلب منها الحضور الفوري إلى نفس العنوان لامر هام جدا. وطلب منها أن تصطحب الأولاد معها ليراهم.

ذهبت "سوسن" للمرة الثانية لزيارة "منير" ولكنها لم تأخذ الأولاد معها كما طلب منها لأنها خافت أن يهينها ويضربها مرة أخري كما حدث معها في المرة السابقة، فلم تكن تريد أن تشوه صورة أبيهم أكثر ما هي مشوهة.

رنت "سوسن" جرس الباب ففتحت لها زوجة "منير" قابلتها في برود شديد ثم قالت لها: ورايا... اهو متلأح هنا.

وجدت "سوسن" نفسها في غرفة نوم قديمة يرقد فيها "منير" وعلامات المرض تظهر بشدة عليه. تغير شكله تماما وتحول إلى خيال إنسان أصبح هزيلا جدًا، خسرمعظم شعره، ويلهث وهو يتكلم.

فزعت "سوسن" من منظر"منير" وهمت أن تسأله ما حل به فقاطعها هو في ضعف: ماتقوليش حاجة سيبيني أنا اتكلم ماعنديش وقت كثير، أنا باموت يا "سوسن"

تأثرت "سوسن" من منظر "منير" فردت في لهفة: بعد الشر عليك يا "أبو سمير" ما تقولش كده

قالت منير في صوت واهن وهو يهز رأسه علامة عدم الموافقة على كلام سوسن: لا هاموت... أنا حاسس كده، أنا

عندي المرض إلى ما بيرحمش والدكاترة كلهم قالوا إن قدامي شهور قليلة لكن أنا حاسس إن أنا مش هاكمل شهر وهاموت على طول. ربنا بينتقم مني علشان الغلط اللى غلطته في حق نفسي وحقكم. أنا جايبك هنا اطلب منك تسامحيني وكان نفسي اشوف الولاد برده علشان هما كمان يسامحوني واوصيهم عليكي. أنا هارد لك جزء من فلوسك مش هاسيبك كده، أنا صرفت معظم الفلوس طبعا لكن في مبلغ مش بطال في البنك اكيد هيساعدكوا شوية، أنا رايح البنك بكره هاسحب الفلوس بس عايزك تفوتي عليا بكره بعد الظهر علشان تاخدي المبلغ.

ردت سوسن وعيناها تلمعان بالدموع: استني لما تشد حيلك وبعدين انزل معقولة هاتنزل وانت في الحالة دي؟

قال منير في عدم صبر: باقولك مافيش وقت أنا حاسس اني هاموت على طول... أنا اللى منعني أنا اروح الأسبوع ده اني باخد أدوية تنيم معظم الوقت لكن أنا بطلتهم خلاص مالهمش لازمة ما أنا ميت ميت. ما تسيش بكره آخر النهار تيجي وتاخدي الفلوس.

ردت سوسن في استسلام: حاضر...بس ريح نفسك أنت وما تتكلمش كثير...انا خلاص سامحتك.

وانصرفت سوسن وهي تبكي من فرط التأثربالحال الذي وصل إليه "منير" وتمنت له الشفاء من كل قلبها.

عادت "سوسن" في مساء اليوم الثاني لزيارة "منير" في منزل زوجته كما اتفقت معه وصعدت إلى الشقة ففتحت لها زوجة "منير" وهي متشحة بالسواد. فهمت "سوسن" في لحظتها أن

زوجها قد فارق الحياة وعلمت من زوجته أن "منير" توفي بعد ساعة تقريبا من زيارة "سوسن" له ليلة أمس وأن الوقت لم يسعفه طبعًا في أن يذهب إلى البنك ويأتي "سوسن" بالنقود المتفق عليها.

وانهارت "سوسن" حزنا على زوجها الذي لم يحبها ولم يقدرها أبدًا والذي كان دائم الشكوي والتذمر من حياته معها. وحزنت على أولادها الذين لم يستمتعوا يوما بحنان الأب ورعايته لأن ابيهم كان يختلق الأعذار دائما للتواجد خارج المنزل والسهر. كما ندمت على السنين الطويلة التي امضتها مع زوج في قمة النذالة والخسة لأنه استطاع أن يسرق شقا عمرها ويهرب مع راقصة رخيصة. اختلطت المشاعر على "سوسن" ولكنها كانت تعلم أنها تحس بالأسي على عمرها وأولادها ونقودها وازدادت قهرا عندما علمت أنها لا تستطيع أن ترث مليما من "منير" لأنه مات وهو "مسلم" وهي تعلم أن المسيحي لا يرث المسلم.

حاولت "سوسن" أن تنسي وتتعايش مع الظروف الصعبة التي لحقت بها وبدأت تبذل مجهودا أكبر في العمل لكي توفر حياة كريمة لأولادها ولكن صحتها لم تساعدها. مرض السكر بدأ ينخر في جسدها وأثر على ساقها اليمنى وجعلها متورمة معظم الوقت وبالتالي جعل حركتها بطيئة. وبمرور الأيام والاهمال في العلاج أثر مرض السكر على عينيها ،أهم شيء عندها لأن عملها يحتاج إلى نظر قوي ويتطلب منها ساعات عمل طويلة بالإبرة والفتلة.

احست "سوسن" أن الدنيا كلها ضدها لأنها لا تلبث أن تخلص من مصيبة حتى تقع في مصيبة أخري. الدنيا أخذت

منها الكثير، اخذت زوجها ونقودها وصحتها والآن تريد أن تأخذ ابنها. أصبح "سمير" الآن ثماني عشر عاما والتحق باحد المعاهد البسيطة للمحاسبة لأنه لم يحصل على مجموع جيد يؤهله لدخول كلية محترمة وبدأت أخلاقه تسوء يوم بعد يوم وبدلا من أن يكون سندا وعونا لها في الحياة أصبح عبئا ثقيلا عليها.فبدأ في استنزاف والدته لشراء المخدرات وعندما ترفض "سوسن" أن تعطيه يهجم على أي شيء في البيت يسرقه ويبيعه. ولو اعترضت "سوسن" أو "ماريا" يضربهم ضربا مبرحا فيتدخل الجيران لفض الاشتباك وحماية الأم المسكينة وبنتها من الولد العاق. ومع التدهورالمستمر لصحة "سوسن" بدأت قدرتها على العمل تقل وبدأت تخسر تدريجيا زبائنها وبالتالي انكمش دخلها الشهري وأصبح بالكاد يكفيها هي وابنتها.

كانت الأيام تمرعلي "سوسن" وهي لا تعرف كيف ستستطيع مواصلة حياتها بهذا الشكل، وكانت تدعو الله دائما أن يساعدها وييسرها فهو الوحيد القادر على حل مشكلتها. كانت "ماريا" هي الأمل الوحيد لـ"سوسن" في الحياة وكانت مصدر سعادتها الأوحد فاهتمت بها وكثفت كل جهودها لتساعد ابنتها على أن تكمل تعليمها الجامعي وتستطيع العمل ومساعدة والدتها في مصاريف البيت وتسديد نفقات علاج مرض السكر. ولكي تفعل ذلك كان لابد أن تمد يدها للمعارف والأصحاب والزبائن القدامي طلبًا للمساعدة لكي تقدر أن تُعلّم "ماريا". ولم تعد تهتم بتعليم "سمير" لأنها فقدت الأمل في اصلاح حاله واستعوضت ربنا فيه لأنه اعتاد التغيب عن البيت بالأسابيع ثم يعود فجأة كالمجنون يسرق النقود وأي أغراض من المنزل لشراء المخدرات.

❖ ❖ ❖

كانت صفا في المطبخ تعد ساندوتش من الجبن الأبيض قليل الدسم عندما سمعت صوت التليفون فتركت كل شيء وركضت بسرعة لترد على التليفون. فصوت رنين التليفون أصبح بالنسبة إليها كصوت الموسيقي تسعد به وتانس به في وحدتها في البيت لأنها اعتادت على أن "عمر" يكلمها كل يوم قبل النوم ليطمئن عليها. ردت صفا وهي تبتسم ابتسامة عريضة سرعان ما انكمشت عندما سمعت صوت نسائي يقول: مساء الخير يا مدموزيل صفا أنا أسفة إني بتكلم دلوقتي بس أنا اصلي ما عنديش نمرة الموبايل وفكرت أن دلوقتي هو أحسن وقت أقدر ألاقي حضرتك فيه.

ردت صفا في خيبة أمل وتململ: اه مساء الخير يا "سوسن"

جاء صوت سوسن عبر الهاتف وهو يقول في حياء: أنا مكسوفة من حضرتك لكن أنا حاولت اكلم مدام "راوية" كثير بس هي على طول مسافرة، أنا اصلي محتاجة اعمل عملية في عيني في اقرب وقت ممكن وكنت

قاطعتها صفا وهي تتأفأف: اه محتاجة فلوس يعني...

ردت سوسن: أنا لميت جزء من المبلغ لكن لسه فاضل شوية وكنت طمعانة في كرمك

صفا: محتاجة كام؟

ردت سوسن في صوت محرج: ٥٠٠ جنيه

هتفت صفا: ياخبر!

قاطعتها سوسن وهي تحاول يائسة أن تشرح موقفها الصحي الصعب الذي تمر به: أنا والمسيح الحي ماكنت هتكلم ولا هطلب المساعدة لولا الشديد القوي، بس أنا حقيقي محتاجة

الفلوس دي لأني مش شايفة حاجة خالص وما بقدرش اخدم نفسي، بنتي هتتجوز وما فيش حد حيبقي معايا في البيت مش عايزة ابقي دايما محتاجة للجيران علشان يأكلوني ويشربوني...

ردت صفا في ضيق وهي تريد أن تنهي المكالمة: من غير ما تكملي، خلاص أنا هابقي اكلمك علشان تفوتي عليا

ردت سوسن: أنا متشكرة قوي، وعمري ما هانسالك الجميل ده أبدًا تصبحي على خير

انقطع الخط ولم تسمع سوسن أي إجابة من صفا.

❖ ❖ ❖

وصل "عمر" إلى فيلا "رشدي ناصر" حيث تقيم فيها "راوية" وطلبت منه الخادمة الفليبينية أن ينتظر في الصالون. دار "عمر" بعيناه يتفقد المكان فوجده فاخر بطريقة مبالغ فيه فكل شبر من الفيلا تكاد أن تنطق وتقول أنها تكلفت آلاف الجنيهات لتظهر بهذا الشكل المبهر فحتي حمام الضيوف كان مستفز من كترة ديكوراته المبالغ فيها.

سمع "عمر" صوت خطوات"راوية" وهي تنزل السلم فوجه نظره من الديكورات والتحف المنتشرة في المكان إلى السيدة التي تتبختر على السلم في أناقة. نظر إليها جيدا فوجدها فعلا سيدة في غاية الجمال والجاذبية كما وصفتها صفا تماما. واستغرب جدا أن تتجه أمرآة في جمالها إلى عيادات التجميل، فهي فعلا بارعة الجمال ولكن من الواضح أن موضوع عمليات التجميل هذا يصبح مع الوقت ادمان. إذا دخلت فيه أمرآة لاتستطيع الخروج منه بسهولة. فكل عملية تقود إلى عملية أخري. وقف "عمر" منتصبا في أدب لتحية "راوية" ثم بدأ

الحديث: أنا بتأسف تاني يا فندم عن الموقف السخيف اللى أنت شفتيه يوم عيد ميلادي وأحب افهمك أن أنا كنت مقدر جدا عصبيتك الشديدة يوميها

ردت راوية في برود: طبعا لازم تعتذر وتكرر اسفك لأن واحدة غيري كان ممكن يبقي ليها تصرف تاني خالص معاك

عمر: بس أنا والله كنت جايب معايا الشبكة اوريهالها

راوية: الأصول إنك تقابلني الأول وبعدين أنا اقول لك انزلوا نقوا الشبكة... اوعي تفتكر إن أنا علشان سمحت لصفا انها تقعد لوحدها في الشقة يبقي أنا ست متحررة أو "سبور" زي ما بيقولوا... أنا وافقت بس علشان الظروف ما تسمحش إن أنا اضغط عليها واغصبها تيجي تعيش معايا هنا على طول. ثم قالت وهي تتنهد بيأس: أنا عارفة كويس انها ما بترتحش قوي في البيت هنا عندي وأنا مقدرة ده لكن لو عرفت إنها بتستغل وجودها في شقة الزمالك لوحدها في أي حاجة مش تمام هاجيبها تقعد معايا هنا غصب عنها ومش هاتفرق معايا مشاعرها...

عمر: مفهوم... علي العموم أنا جاي افتح صفحة جديدة واتقدم لصفا رسمي وفي المناسبة دي أحب اقول لحضرتك إن صفا من أحسن البنات اللى أنا شفتهم في حياتي واخلاقها مافيش زيها

قالت راوية في سرعة: أنا متأكدة من كده ارجوك خلينا نتكلم في الموضوع من غير مقدمات أو مجاملات... صفا كلمتني عنك وعن ظروفك بس أنا أحب افهمك إن الحب لوحده ما بيعمرش جوازه والكلام ده عن تجربة شخصية... أنا

ووالد صفا كنا بنموت في بعض وبعد كام سنة جواز كنا هنموت بعض...

عمر: صفا حكيت لي

راوية: علشان كده أنا عايزة اتأكد انك هاتقدر تصرف عليها كويس حتى وأنت مسافر أمريكا علشان تدرس إخراج... خصوصا إن أنا مش هساعد حد في أي حاجة...

عمر: اطمني خالص يا فندم أنا وارث من امي ومن ابويا وهاقدر اعيشها في مستوي كويس لحد ما اخلص دراسة الإخراج وارجع اشتغل...واحب افهم حضرتك اننا عمرنا ما هنحتاج لمساعدة حضرتك أو غير حضرتك

نظرت له راوية في شك ثم قالت: على العموم أنا معرفش ليه مصدقاك... ثم استطردت وقالت: احكي لي بقه عن الشبكة والمهر والفرح

عمر: الشبكة زي ما صفا قالت لحضرتك الخاتم بتاع جدتي أربع اراريط، المهر اللي يكون في مقدرتي هادفعه أما الفرح بقه فانا وصفا نفسنا في حاجة بسيطة وتكون مختلفة

راوية: احب ابقي اشوف الخاتم... اما بقي المهر فده أنا هاقدره بمعرفتي والفرح لازم يكون كبير

عمر: والله يا فندم كبير بمقياس الأيام دي هيبقي صعب عليا الناس دلوقتي بتدفع ملايين في الأفراح وأنا مش هاقدر أبدًا أعمل كده... أنا وارث من أهلي فعلا لكن وارث اللي يسترني بس وأنا مش متسعد أصرفه كله في حفلة مدتها ساعتين الناس هتيجي فيها تتكلم عليا وتنتقدني وكمان تتعشي على حسابي وتروح... لا أنا افضل نعمل

حاجة أحسن بفلوس الفرح

قالت راوية وهي تخرج علبة سجائر وتدس احدي السجائر الرفيعة بين شفتيها الممتلئتان: اسمح لي يا "عمر" أنت عملي زيادة عن اللزوم وصفا دي بنتي الوحيدة ولازم يكون لها فرح كبير علي العموم موضوع الفرح ده مش هو المشكلة... ثم قالت وهي تنفث دخان سيجارتها في أنوثة وتبتسم كأنها تذكرت: أنا شفت ازاي صفا اتغيرت من ساعة ما عرفتك علشان كده مش عايزة اكسر قلبها بس في نفس الوقت عايزه احميها من الحب لأنه ساعات بيوقع الواحد في مشاكل كثير ما يقدرش يخلص منها طول العمر...الخطوبة هتكون هنا... الشهر الجاي إيه رأيك؟

رد عمر في تعجل: وليه الشهر الجاي ياريت بكره

راوية: مش قوي كده الشهر الجاي كويس... وقالت كأنها نست شيئا: صحيح أنا سمعت من صفا إنك عضو في جمعية خيرية وبتسافر كثير في حتت غريبة زي المثلة "انجلينا جولي"

ضحك عمر: يعني بحاول

ثم قالت راوية: طيب أنا عايزه أعمل تبرع بعشر آلاف دولار لأطفال العراق

انبهر عمر بالمبلغ: يا خبر ليه كل ده... مش ضروري تجاملني بالطريقة دي

راوية: أنا مش بجاملك طبعا..دي حاجة نفسي اعملها من زمان، أنا هاكتب لك شيك دلوقتي قبل ما تمشي بس أهم حاجة انه يروح لأطفال العراق وبس

عمر: اكيد

ثم قالت راوية وهي تتوجه إلى غرفة المكتب وتعود بدفتر الشيكات وتكتب في احدي صفحاته: اهم حاجة انك تكون متأكد من الجمعية دي وإن الفلوس بتروح فعلا للخير مش لاي حاجة تانية

عمر: طبعا طبعا...

مدت راوية يدها إلى عمر بالشيك ثم هبت واقفة علامة انتهاء الزيارة.

وانتهت المقابلة وخرج "عمر" من الفيلا وهو مبهور بجمال وكرم هذه السيدة ولم يستطع أن يكرهها كما تكرهها صفا فانطباعه عنها كان لابأس به أبدا. وجدها أمرآة مدللة بعض الشيء وتحب الرفاهية ولكنها إنسانة مرنة وتهمها سعادة ابنتها وتعجب من مشاعر صفا تجاه والدتها واعتقد أن صفا تبالغ في كرهها لامها وأنها تغار منها.

عاد "عمر" إلى منزله وطلب صفا في التليفون ليبلغها عما حدث في مقابلته مع والدتها: أنا اتكلمت مع ماما النهاردة واتفقنا تقريبا على كل حاجة..

ردت صفا: اه ما أنا عرفت منها لما رجعت البيت...اصلها اصرت إن أنا اخرج من الفيلا لحد ما تقابلك ما كنتش عايزاني اكون هناك معرفش ليه

عمر: شيء طبيعي يمكن كانت عايزة تتكلم معايا براحتها من غير أي تأثير منك...ثم قال في صوت متشكك: أنا عايز أقول لك حاجة وخايف تزعلي مني

ردت صفا في تلقائية: مش ممكن ازعل... قول يا حبيبي

بدأ عمر الكلام في صوت هادىء وهو يقول: مامتك دي مش وحشة قوي زي ما أنا اتخيلت وزي ما حكيتي لي

احتدت صفا على عمر وتغيرت نبرة صوتها تماما: قصدك ايه بضحك عليك يعني؟!

رد عمر محاولا تدارك الموقف: لا طبعا بس متهيألي إنك مكبرة الموضوع حبتين

ثم قالت صفا في عصبية: أنت شفتها ساعة واحدة بس هتعرف تكون رأي أحسن من بنتها اللى عاشرتها سنين وأيام

رد عمر محاولا احتواء الموقف: أنا قصدي يا حبيبتي أن ظروفك كلها كانت وحشة وهي كانت برده معزورة إنها تخرج للشغل وتسيبك في البيت

صفا: أنت بتخلق لها أعذار علشان كانت مهملة فيا؟! أنا مش قادرة أصدق!

عمر: ماهو حسب كلامك انتوا كانت حالتكو المادية ضيقة لابعد الحدود

ردت صفا في مرارة: كان عندي أهون أموت من الجوع ولااموتش من الوحدة والإهمال... وبعدين البنت ممكن تحس بحنان الأم واهتمامها حتى لوكانت بعيدة عنها ومشغولة لكن الأحاسيس دي عمرها ما وصلتني منها بالعكس كنت على طول بحس إنها بتهتم بنفسها أكثر من أي حد تاني في الدنيا

عمر: على العموم أنا حسيت إنها أم بتخاف على بنتها ولقيتها ست في منتهي الكرم والحنية

قالت صفا في غيظ: الكرم؟ حنية؟! ازاي يعني؟

عمـر: دي اتبرعـت للجمعيـة بتـاعتي بعشـر آلاف دولار لصـالح أطفال العراق! تصدقي

قالت صفا في ذهول:غريبة! عُمَر "راوية" ما كانت مهتمة بأعمال الخير والكلام ده... كنت بشوفها على طول بتهتم بالموضة والجمال أكثر من أي حاجة تانية في الدنيا

عمر: مش قلت لك إنك أكيد غلطانة في رأيك فيها

سـكتت صـفا قليلا ثم استأذنت أن تنهـي المكالمة لأنهـا متعبـة وتريـد أن تنـام مبكـرا هـذه الليلـة لأنهـا ستضـطر غـدا الذهاب مبكرا للعمل. وانتهت المناقشة ولم تنم صفا هذه الليلة لأنها كانت حائرة في كلام "عمر" وتحليل شخصية والدتها كأنها تراها لأول مرة.

مكالمة لتانت نادية

عادت صفا إلى شقتها بالزمالك وفي إحدي الليالي الهادئة كانت صفا تجلس على أريكة حجرة المعيشة في استرخاء فأخذت تفكر في الحديث الذي دار بينها وبين "عمر" عن "تانت نادية" وبدأت تحس بتأنيب ضمير خفيف فهي لم تسأل عن هذه السيدة المسنة لمدة تزيد على العشر سنوات. فرفعت سماعة التليفون واتصلت بها، أخذ الجرس يرن لمدة ليست قصيرة كادت تجعل صفا أن تغلق الخط ولكن سرعان ما سمعت صوت أمرأة عجوز. ولم تستطع صفا أن ترد فهي مترددة أن تكلم هذه السيدة التي طالما احست تجاهها بمشاعر مختلفة ما بين الحب والكره. طالما حاولت أن تتفادي مقابلتها في العمارة، حتى لا تضع نفسها في موقف محرج لأنها لا تريد أن تنظر في عيناها حتى لا تضعف وتتمرمغ في أحضانها الدافئة التي افتقدتها كثيراً.

إنها ترفض حتى مجرد إلقاء التحية والسؤال عن صحتها فكيف ستكلمها مرة أخري وتطب منها العفو عن سنوات الجفاء الطويلة التي تسببت فيها. ولكنها احست فجأة برغبة عارمة في أن تعاود الاتصال مرة أخري. فجمدت قلبها واتصلت مرة أخري، فرد الصوت العجوز بسرعة هذه المرة. وتكلمت صفا في صوت متحشرج وضعيف: آلو

جاء صوت تانت نادية الحنون الهادىء عبر الهاتف وهو يقول: آلو

قالت صفا في صوت اشد تحشرجا من قبل: انتي مش فاكراني يا تانت نادية

ردت تانت نادية في ثقة وحنان: أنا عمري ما نسيتك يا حبيبة قلبي... ازيك يا صفا

واستغربت صفا من سرعة تعرف تانت نادية على صوتها، فردت: أنا كويسة المهم انتي عاملة ايه؟ وحشتيني قوي

ردت تانت نادية وكأنها تريد أن تلخص مكالمة التليفون وتصل إلى أهم جزء فيها: حاتجيلي امتي؟

صفا: أنا فعلا هاجيلك بس مش لوحدي أنا هجيب معايا خطيبي نفسي تتعرفي عليه

قالت تانت نادية في سعادة بالغة: تتوري أي وقت

ردت صفا في دعابة عصبية: ايه رأيك أنور بكره على الساعة ستة؟

تانت نادية: مستنياكوا يا صفصوفة يا جميلة

وانتهت المكالمة واحست صفا أنها انجزت مهمة وأنها ازاحت ثقل كبير من على قلبها. واتصلت بسرعة بعمر وابلغته بموعد الزيارة حتى يستعد.

انفتح باب الشقة ووجدت صفا نفسها وجها لوجه مع "تانت نادية" والتقت عيناهم مرة أخري بعد جفاء دام لسنوات طويلة، فاحست صفا بالوقت الطويل الذي مضي دون أن يتقابلوا أو تدخل فيه البيت الذي أمضت فيه مرحلة طفولتها ومراهقتها وتعجبت على قدرة الزمن في تغيير الناس والأشياء. فوقفت صفا لثواني تتأمل "تانت نادية" فوجدت امرأة عجوز بمعني الكلمة، فالتجاعيد اخفت تقريبا ملامحها التي كانت تعرفها جيدا،

وأصبح وجهها يشبه ملائة بيضاء على سرير غير مرتب ومليئة بالثنيات. لمعة عيناها التي كانت يوما ما زرقاء في لون البحر انطفأت تماما أما شعرها الذي كان دائما مصبوغ في لون برتقالي مميز فاختفي وأصبح شعيرات قليلة مغطاة بايشارب خفيف. وانكمشت بمعدل عشرة سنتيمترات تقريبا عن طولها الذي لم يكن يتعدي المئة وستون سنتيمترا فاصبحت قصيرة جدا. كما نحفت بصورة مبالغ فيها واصبحت في حجم العصفور الصغير بعد أن كانت تتمتع بجسد مكتنز كالقط السمين.وفجأة أفاقت صفا من تأملاتها وارتمت في احضان هذه المرآة العجوز وحرصت على ألا تضمها بشدة فهي تخاف أن تكسر لها ضلعا من ضلوعها من شدة نحافتها وبنيتها الضعيفة.

ودخلا صفا و"عمر" إلى المنزل الذي هرم هو الآخر فكل شيء في البيت يبدو قديما جدا، الأثاث الذي فقد لونه الأصلي، السقف المتهالك والجدران التي اصفرّت خلال السنين التراب السميك الذي يغطى معظم أركان المنزل والأسطح. فمن الواضح أن هذه العجوز لا تجد من يخدمها. البيت كله كان في حالة يرثي لها ولكن الشيء المميز الوحيد الموجود في المنزل والذي أعطاه شكل مميزهو الصور المعلقة على معظم الجدران. صور "لتانت نادية" في شبابها مع شخصيات كثيرة، في الغالب مع زوجها وأولادها وبعض الأقارب والأصدقاء. الصور كلها تشبه الممثلين في أفلام الريحاني الجميلة.

جلسوا جميعا في غرفة المعيشة، وتبادلت صفا وتانت نادية الأحاديث الضاحكة عن فترة الطفولة وعن نوادر صفا أيام الشقاوة وأحست صفا وهي تجلس مع "تانت نادية" أنها تعود إلى ذكريات جميلة فهي لعبت وكبرت في هذا المنزل وعاشت فيه

ثم استطردت تانت نادية وقالت بفم مجوف يكشف عن فراغ هائل بداخله بعد أن هجرته كل الأسنان: تعرف يا "عمر" أنا سعيدة قوي إن أنا اتعرفت عليك، أنا كده حاسه اني مطمنة على صفا، صفا دي زي ما تكون حتة من قلبي بحبها وبقدرها جدا، فقاطعتها صفا في رفق: ومش زعلانة مني؟

قالت تانت نادية وهي تربت على يد صفا: ازعل منك انتي؟! ده انتي زي بنتي بالظبط، ده انتي ماليتي علينا الدنيا، واليوم اللى سبتينا فيه كنت عارفة برده انك هترجعيلي تاني، وقلت مسيرها تعرف وتفهم اد ايه أنا بحبها..وبعدين أنا برده قدرت اقدر انتي ليه مقاطعانا بس عمرك ما ادتيني الفرصة اني افهمك.

ولم تستطع صفا من أن تمنع دموعها من أن تتسال على وجنتيها، فرتب عمر في رفق على كتفها وسأل تانت نادية:

هو حضرتك عايشة هنا لوحدك؟

ردت تانت نادية في ألم: أنا كنت عايشة مع "ابراهيم" جوزي لكن ما فيش حاجة بتفضل على حالها، مات من كام سنة.

عمر: طيب مين بياخد باله منك؟

تانت نادية: "أم آمين" البوابة بتطلع تنظف وتقضي لي شوية مشاويرللبيت.... وبعدين أنا كمان طلباتي قلت قوي عن زمان وأهي ماشية

صفا: بس يا تانت انتي لازم تسافري لحد من أولادك بدل ما انتي قاعدة كده لوحدك

تانت نادية: عجزت قوي مش كده. أنا عارفة بس ولادي بعاد قوي واحدة في استراليا والتاني في البرازيل، أنا ما

استحملش ركوب الطيارة المسافة الكبيرة دي

صفا: ايوه بس وجع ساعة ولا كل ساعة، واكيد ولادك هيريحوكي

وردت تانت نادية وهي تنظر إلى صفا نظرة حب: ما أنا عندي بنت هنا في مصر برده

قالت صفا في احراج: ارجوكي يا تانت ما تحرجنيش أكثر من كده، أنا قصرت في حقك كثير

ردت تانت نادية وهي تربت على يد صفا مرة أخري: معلهش أنا متعودة على كده

وقال عمر: لو مافيهاش مضايقة لحضرتك أنا نفسي افهم هو حضرتك ما سيبتيش مصر من زمان ليه وعايشة ازاي لوحدك هنا؟

ردت تانت نادية وهي تسرح بنظرها في الصور العائلية القديمة المعلقة على حوائط المنزل العتيق: أنا عايشة في مصر من سنة ١٩٣٠ عيشت احلي واصعب أيام حياتي هنا. وشوفت وعاصرت كل التغييرات السياسية والاجتماعية اللى حصلت هنا. أنا اتولدت هنا وعشت احلي أيام حياتي قبل ١٩٤٨. في الوقت ده مصر كان تعدادها صغير جدا منهم ٨٠ ألف يهودي تقريبا. ابويا كان جواهرجي معروف في البلد وكانوا كل زباينه من الباشوات وأولاد الذوات بتوع مصر. كنت في مدرسة "الميرديديو" وكان ليا اصحاب كثير مسيحيين ومسلمين. وكنا بنخرج مع بعض كثير، ماما كانت تاخدني في الاجازة مع صحباتي القريبين، فاطمة وايستر وايفا وكنا نروح ناكل جاتوه في جروبي ونروح السينما. دي كانت خروجتنا المفضلة.

ده غير أن احنا كنا بنذاكر مع بعض وكنا في وقت الراحة بنسمع أحلي الاسطوانات. كنا عايشين في مجتمع مختلف خالص عن مصر دلوقتي، كانت مصر مليانة "جريج" و"طلاينة" و"شوام" واحنا. وعمر ماحد قال للتاني أنت يهودي أو اجنبي. كنا كلنا مصريين. ده حتى كان فيه يهود وطنيين برده، كنت اسمع من بابا عن "يعقوب سانو"، جرنلجي قديم كان عنده مجلة معروفة قوي اسمها "النظارة الزرقاء" وكان دايما بيكتب فيها أراء سياسية ضد الانجليز. كلنا كنا فعلا بنحب مصر وحاولنا كثير ناخد الجنسية المصرية لكن للأسف الحكومة عمرها ما وافقت على كده. ومن بعد ١٩٤٨ ابتدي الحال يتغير في مصر، طبعا الخلاف العربي الصهيوني وقيام دولة إسرائيل وفكر القومية العربية والأخوان المسلمين كل الحاجات دي هي اللى بوظت خالص الجو الجميل اللى كنا متمتعين بيه في مصر وافتكر أن في ١٩٥٢ و١٩٦٧ يهود كثير اضطروا يسيبوا البلد بشنطة هدومهم. كلهم طفشوا. وبعد ١٩٧٣ حسيت اني لوحدي خالص في البلد.

ثم سأل عمر في تعجب: طب وما سافرتيش ليه زي بقيت اليهود؟

ردت تانت نادية في مرارة: "ابراهيم" جوزي بقه هو اللى اصر إن احنا نعيش هنا. وأنا فاكره كويس قوي لما كنت بعيط ومرعوبة وبترجاه نسيب البلد وهو يقول ما حدش يسيب بلده علشان دينه. واصر إن احنا نكمل حياتنا هنا.وعشنا أيام صعبة كثير، خصوصا لما ولادي هاجروا.كنا بنضطر نخبي على أي حد جديد بنتعرف عليه أن احنا يهود علشان نخلص من الأسئلة الكثير ونظرات الاحتقار اللي اتعودنا عليها. ده غير

الشتايم اللى كنا بنسمعها بودانا من الناس اللى تعرف حقيقتنا خصوصا كل ما تحصل مصيبة للفلسطنيين. كفاية كمان الجامع اللى جنبنا هنا كل جمعة لازم يلعن اليهود ويسميهم القردة والخنازير، اد ايه الكلام ده بيقطع فيا بس هاعمل ايه ماقدرش أفهم السبعين مليون مصري أن أنا و"ابراهيم" مالناش دعوة بأي حاجة في اسرائيل احنا مجرد ناس عادية مش عايزة غير حياة مريحة وطبيعية زي أي حد. صعب قوي الواحد يعيش في مكان وهو عارف إنه مكروه وبيسمع شتيمته بنفسه.

عمر: وأولادك فين؟

تانت نادية: واحد في البرازيل والتانية في استراليا. من ساعت ماهاجروا وأنا حاسة بغربة بشعة بس "ابراهيم" بقة كان عنيد قوي وكان موضوع الهجرة ده مش في فكره أبدا. ومات "ابراهيم" والوحدة قاسية قوي. ساعتها فكرت اني اسافر وبعدين رجعت في كلامي قلت هو العمر فيه اد ايه علشان اسافر وأنا عايزة اندفن معاه مش هاجي بعد العمر ده كله والأيام الصعبة اللى استحملتهاهنا واندفن في بلد تانية. أنا عايزة أكون مع جوزي ومع أمي وأبويا.

بس أنا السنة دي معرفش ليه حاسة اني نفسي اشوف ولادي وحشوني قوي، فبفكر أجمد قلبي واسافر لهم. بس تعرفي أن زيارتك دي عندي كأني شفت أولادي بالظبط، أنت ماتعرفش اصلك معزة صفا في قلبي ده أنا اللى مربياها. لما صفا خاصمتنا كنت متضايقة قوي بس كنت عازراها لأن في جيل مصري بحاله ما شافش الحياة في مصر زمان وقد ايه كنا لكنا عايشين في مكان واحد في سلام. كل اللى يعرفوه هو صورة العسكري الإسرائيلي اللى بيقتل وبيدمر.

قالت صفا في نبرة صوت نادمة: على العموم يا تانت نادية أنا جيت النهاردة علشان اعتذر لك عن اللى فات وأقول لك لو احتجت حاجة لازم تقولي وادي كمان نمرة الموبايل. وأنا طبعا هجي اشقر عليكي على طول.

ردت تانت نادية في سعادة واضحة: ياحبيبتي الغالية ده أنت هتملي عليا حياتي زي الاول ربنا يبارك لك في كل خطوة في حياتك

ثم قالت صفا وهي تهب واقفة: طيب نستأذن بقي

واستأذن عمر وصفا في هدوء.

obeikandl.com

الاختفاء

كانت "راوية" تستعد للخلود للنوم بجانب زوجها حتى سمعت جرس الباب، تعجبت "راوية" من زائر نصف الليل وهمت أن تنزل لتستكشف هذا الزائر الغريب إلا أن "رشدي" اوقفها بإشارة من يده وقال في حزم: أنا عارف مين اللى جاي

سألت راوية في صوت مرتجف: مين؟!

رشدي: ناس من الجماعة اللى بنشتغل معاهم

سألت راوية وهي مشوشة الذهن: مين فيهم؟ ما احنا بنشتغل مع ناس كثير

ارتدي رشدي "الروب دي شمبر" ونزل لمقابلة الزائر

بدلت راوية ملابسها في سرعة ونزلت لتكون مع زوجها وتفهم ماذا يحدث بالظبط ولكنها تأخرت لأن الخادمة أبلغتها أن "رشدي" بيه خرج مع أربعة من الاجانب.

تعجبت "راوية" من الموقف واحست فجاءة بالخطر وانتظرت زوجها لساعات وساعات وساعات وحاولت الاتصال به عدة مرات لكن جهاز المحمول الخاص به كان مغلق وانتظرت حتى طلع النهار ولكن "رشدي" لم يرجع بعد.

كادت رأس "راوية" أن تنفجر من كثرة التفكير فهي لا تريد أن تبلغ الشرطة لأنها لا تريد أن تفتح على نفسها باب الأسئلة اللانهائية والتحقيقات المستمرة لأنها تعرف جيدا أنها متورطة مع زوجها في نشاطات مشبوهة. فقررت الانتظار حتى

آخر اليوم. وانتظرت طويلا دون جدوي ثم فوجئت بأن "ريهام" بنت "رشدي" من زوجته الأولي قد أبلغت الشرطة على اختفاء أبيها لمدة تزيد على الأربعة وعشرين ساعة. ونظرا لأن "رشدي ناصر" شخصية مهمة في المجتمع فقد اهتمت الشرطة وقامت بمسح فوري لكل المستشفيات والمشارح وأقسام الشرطة.

وبعد مرور عشرة أيام على اختفاء "رشدي" فوجئت "راوية" وهي تجلس في منزلها بشرطي يبلغها بأنه تم العثور على جثة غير واضحة الملامح لرجل في الستين من عمره ملقاه في إحدي مغارات المقطم وأنهم يشتبهون أن تكون الجثة لـ"رشدي ناصر" ولذلك يطلبون منها الحضور للتأكد من هوية القتيل.

ذهبت "راوية" إلى المشرحة وهي ترتعد من الخوف ونظرت على وجه الجثة المتآكل وعرفت على الفور أنه زوجها كما فهمت من الظابط أن أحد سكان المقطم وجد بالصدفة بمساعدة كلبه جثة مشوهة لرجل يلبس ملابس النوم ولا يحمل أي أوراق هوية. وأنه بعد كشف الطبيب الشرعي على القتيل اكتشف أن "رشدي" قد قتل بطلقة نارية اخترقت الجمجمة وهشمتها في لحظتها في نفس اليوم الذي خرج فيه ولم يعد. وان الجثة قد شوهت نظرًا لتواجدها في العراء وتعرضها للحيوانات والفئران لفترة طويلة.

انهارت "راوية" من الأحداث العنيفة التي تعيشها وبدأت تعيش هي الأخري حالة من الرعب. فهي تخاف على حياتها ولا تدري من المسؤول بقتل زوجها لأنهم يتعاملون مع جهات كثيرة وعصابات مختلفة. واعتزلت الحياة الاجتماعية الصاخبة التي كانت تعيشها وبدأت في التقوقع في المنزل الذي أصبح أشبه بقلعة محصنة. انفقت "راوية مبالغ طائلة على تأمين المنزل وتركيب أجهزة إنذار في كل مكان واهتمت بتأجير العديد

من الـ"بودي جارد" لحراستها ليلا ونهارا ولكنها على الرغم من ذلك أصبحت لا تذوق طعم النوم فهي تعيش كوابيسا دائمة ليلا ونهارًا. كما توسلت مرارا إلى ابنتها لتأتي وتعيش معها في المنزل ولكن صفا كانت مستمرة على موقفها فهي لا تريد أن تعيش في قصر "رشدي" ولكي تحل المشكلة عرضت على والدتها أن تنتقل هي للعيش معها مرة أخري في شقة الزمالك الصغيرة ولكن الأم رفضت رفضًا صارما فكيف لها أن تعود وتعيش في شقة صغيرة وبسيطة وتهجر قصرها الفاخر. كما أنها تكره هذه الشقة التي طالما عاشت فيها أيام صعبة مع زوجها السابق.

ولأنها تخاف الوحدة وتخاف الخروج من قلعتها المحصنة أصبحت "راوية" تقيم الحفلات الصاخبة في فيلتها وبدأت تهتم بدعوة الرجال الأصغر منها سنًا والمعروف عنهم الوسامة والثراء. وغرقت في بحر كبير من العلاقات العابرة مع رجال يصغرونها بسنوات كثيرة ولم تكن تهتم كثيرا بفرق السن فهي لم تكن تريد الزواج مرة أخري بل كانت تريد الاستمتاع بعلاقات خفيفة تؤنس بها وحدتها وتستطيع أن تنهيها في أي وقت دون الوقوع في مشكلة التزامات ومسؤوليات. وكان كثير من الرجال يرحبون بمثل هذه العلاقات لأن "راوية" أمرآة في غاية الجمال وغاية الثراء ولا تسعي إلى الزواج، فكانت كالحلم بالنسبة للكثير من الرجال. وانتشرت حواديت النميمة عن "الأرملة الطروب" في المجتمع الراقي وأصبحت سيرتها كـ"اللبانة" في فم كل السيدات يتشدقن ويتسلين بها في كل فرصة. أما الرجال فكانوا يعيشون حلم الحصول على فرصة علاقة عابرة بهذه المراءة الجميلة. وطبعا أثر هذا الوضع على صفا بالسلب طبعا وزادها اشمئزازا من والدتها.

دبي

بعد مناقشات طويلة ومحاولات يائسة في اقناع "شن شن" بالعدول عن السفر استسلم الأهل لرغبة ابنتهما وسمحوا لها بالسفر إلى دبي ف"شن شن" في النهاية هي ابنتهم الوحيدة وهم يتمنون لها كل السعادة والنجاح. وودع الأهل ابنتهم في المطار وبكت الأم دموع كثيرة كاد قلب "شن شن" أن ينخلع من أجلها. وأخيرا ركبت الطائرة وهي لا تصدق نفسها، فهذه هي المرة الأولي التي تسافروحدها خارج مصر.

وصلت الطائرة إلى مطار دبي واستقلت "شن شن" بسرعة التاكسي الذي سينقلها إلى الشقة التي استأجرتها الشركة لها. واحست في اللحظة الأولي التي خطت فيها أرض البلاد بسعادة غامرة لأنها أخيرا تحررت من قيود الأهل التي دامت أكثر من ثلاثين عامًا، سعادة كبيرة ممزوجة برهبة الغربة.

أخذت تتأمل المدينة من نافذة التاكسي الذي ينقلها من المطار إلى الشقة التي ستسكن فيها فلفت نظرها خور دبي الجميل الذي ذكرها بنيل مصر العظيم واعجبت جدا بنظافة المدينة والنظام الصارم التي لا تخلو منهما الشوارع.كما بهرتها العمارات الشاهقة والتصميمات الهندسية المختلفة التي تخطف النظر.

وصل التاكسي إلى حي "الجرينز"حيث الشقة التي استأجرتها الشركة لتسكن بها "شن شن" فصعدت بسرعة

لتري البيت الذي ستقيم فيه وحدها. فكرة الحياة بمفردها كانت بمثابة حلم يصعب تحقيقه وها هي الآن تعيش أجمل لحظات حياتها. دخلت الشقة فأحبتها من أول نظرة ليس لأنها شقة مبهرة بل على العكس فهى شقة صغيرة جدًا مكونة من غرفة نوم واحدة ولكنها كانت سعيدة لأن هذا هو المنزل الذي سيشهد استقلالها وحريتها، فكان البيت بالنسبة إليها بمثابة جنة الله على الأرض.

ارتاحت "شن شن" وتعودت بسرعة على الحياة في دبي وانبهرت بهذا البلد العربي الجميل، ووجدت فيه أشياء كثيرة تتمني لو كانت موجودة في بلدان عربية أخري. أعجبت جدا بروح المحبة والتآلف بين الجاليات المختلفة الأجناس الموجودة في البلد، فدبي ينطبق عليها جملة "سمك لبن تمرهندي"، لأنها أرض واحدة تجمع أجناس عديدة. يعيش هناك المواطنون وهم أهل الإمارات الأصليين والآسيويين بمختلف جنسياتهم والعرب، والروس والإيرانيين والأمريكان، والأوروبيين ولا ننسي الهنود بمختلف طوائفهم وأشكالهم. وتعجبت من مقدرة السيخ والمسلمين على أن يتعايشوا في سلام على أرض الإمارات على عكس الحال تماما في الهند حيث نسمع دائما عن أعمال العنف والشغب التي تنشب بين الطائفتين.

كما أعجبت "شن شن" بالحرية الشخصية المفرطة الموجودة في البلد، فمن العادي جدا أثناء التجول في المراكز التجارية أن تجد عائلة مسلمة متدينة جدا لدرجة النقاب والجلباب واللحية وتجد في نفس المكان مجموعة من الروسيات الشقراوات يلبسن جميعهن فساتين قصيرة وعارية لحد مخجل. وعلي الرغم من التناقض الرهيب، كل الناس في حالها.

لاتجد من يرمقك بنظرة فيها جوع أو نظرة عتاب على الملبس أي كان شكله.

كما لاحظت "شن شن" جمال وأناقة الإماراتيات، فعلي الرغم من التزامهن بالشيلة والعباية السوداء إلا أنهن رائعات الجمال واستطعن أن يطورن شكل الملابس الوطنية ويضفن عليها لمسات جمالية واضحة، فالعباية التقليدية أصبحت مزينة بالألوان ومطرزة بالماس والأحجار الملونة. ويظهر من تحت الزي الوطني لهن الجمال العربي الشهير، العيون السوداء الواسعة المرسومة باتقان والملونة بأغلي الماركات العالمية لأدوات الزينة... أسنان اللؤلؤ الامعة... الشعر الناعم والتي تظهر نعومته في الغرة المتدلية معظم الأوقات على وجه السيدات... الشفاه المرسومة والمصبوغة بأجمل ألوان أحمر الشفاه، والجسد الملفوف المتناسق المختفي خلف العباءة والحقيبة النسائية هي اللمسة الأخيرة للهيئة العامة والتي تكون عامة من تصميم أحد المصممين العالميين.

ولفت انتباه "شن شن" الرغبة في بناء هذا البلد وتعميره ليصبح واحدًا من أهم عواصم العالم. فأعمال البناء مثلا، لا يتوقف فيها العمل ليلا أو نهار. فالعمال يتناوبون بهمة ونشاط على العمل ويوصلون الليل بالنهار ليلتزموا بالوقت المحدد لهم لتسليم أعمالهم. كما لاحظت شيئًا ليس موجودًا في كثير من البلدان العربية وهو حب الشعب لحاكمهم، فالمواطنين يحبون حكامهم حب صادق يخلو من النفاق والمجاملة.

أحبت "شن شن" العمل في فرع الشركة الموجود في دبي وارتاحت للعمل مع معظم العاملين معها في الشركة وأحبت العمل معهم. وكان "رحيم خان" هو مديرها والمشرف على

تمرينها. كان "رحيم خان" شاب هندي كمعظم العاملين في الشركة وكان شاب في السابعة والثلاثين من عمره يتمتع بوسامة واضحة، وسامة آسيوية مميزة، فلم يكن قصير القامة مثل معظم شباب بلاده بل على العكس كان طويل، رشيق وله بنية رياضية جذابة. كما كان يتمتع بشعر أسود ناعم مثل معظم الهنود وكان أجمل ما فيه عيونه العسلية الواسعة التي تشع ذكاء وطيبة في نفس الوقت. كما كان يتمتع بشخصية تثير الإعجاب من كل النواحي فهو إنسان مهذب هادىء الطباع، مثقف وناجح بشكل ملحوظ في عمله. ولم تدرك "شن شن" أنها تنجذب نحوه أبدًا ولكن كان هذا هو الواقع ففي كل مرة تلتقي "شن شن" بـ"رحيم خان" كانت تحس بأنه قريب جدا لها ولم تكن تشبع أبدًا من الجلوس معه والتحدث إليه في مختلف المواضيع الشخصية والغير شخصية. وساعدها على التقرب منه وحدتها في دبي والفراغ العاطفي الذى كانت تعيشه ف"شن شن" متعطشة إلى أي نظرة حنان وتتمني منذ الصغر أن تعيش قصة حب كمعظم صديقاتها. وبدأت تخرج معه بطريقة منتظمة لتناول الغذاء بعد العمل وعلي الرغم من اختلاف العادات والتقاليد إلا أنها استطاعت أن تقترب منه بدرجة شديدة في جميع نواحي الحياة لدرجة أنها أصبحت متابعة منتظمة لمباريات "الكريكت" أكثر الألعاب شعبية في الهند ومواظبة على أن تذهب معه إلى الأفلام الهندية تشاهدها في استمتاع وتتابع آخر أخبار نجوم "بوليوود".

وعلمت "شن شن" أن "رحيم خان" ولد وكبر في الولايات المتحدة الأميركية. ولد في أسرة هندية صغيرة مكونة من والدين حنونين، الأب يعمل كأستاذ جامعي في إحدي

الجامعات الأميركية المحترمة أما الأم فتعمل طبيبة وله أخت متزوجة وتعيش مع زوجها في إنجلترا. عاش "رحيم خان" كل حياته في أمريكا ودرس هناك وبعد أن انتهي من دراسته جاء إلى دبي ليبدأ حياته العملية.

ومن الأشياء التي بهرت "شن شن" أن "رحيم خان" أحب شخصيتها الحقيقية بدون أي إضافات منها كما كانت تفعل من قبل لأن "شن شن" كانت تعيش كالحرباء تغير جلدها لأي رجل لتنال إعجابه. كانت تستطيع دائما أن تختلق لنفسها شخصية بعيدة تمامًا عن طبيعتها لمجرد أن تحظي بإعجاب الطرف الآخر، الذي كان دائما يخذلها بدوره. ولكن مع "رحيم خان" فالأمر مختلف، لأنه أحبها كما هي بشخصيتها الطبيعية. أحب عفويتها ودمها الخفيف أحب طموحها وذكائها أحب شكلها وعشق عينيها وتناسي تماما الإعاقة التي تعاني منها ولم يحسسها يوما أنه يلاحظ عاهتها لدرجة أنه لم يسألها أبدًا عن السبب في إعاقتها. كما كان دائما يمتدحها ولا يتفوه إلا بالكلمات الطيبة فتعلقت "شن شن" بـ"رحيم خان" بشدة وأصبحت لا تتخيل حياتها بدونه. وصارحها "رحيم خان" بدوره بحبه لها وبرغبته في الزواج منها ففرحت كثيرا لأنها أخيرا أحست أنه يوجد شخص على وجه الأرض يحبها ويريد الارتباط بها مدي الحياة. فما أجمل أن تحس الفتاة أنها مرغوبة ومحبوبة من رجل تحبه. ولكن كيف ستواجه عائلتها هل سيتفهمون حبها لـ"رحيم خان" وهل سيقبلون مصاهرة رجل هندي؟ هل يقبلون برجل يأتي من بيئة مختلفة تماما وعادات غريبة عن العرب والمصريين. ففكرت أن تري رد فعل صفا، وأن تعرف رأيها بـ"رحيم خان" وأن تساعدها في تفجير هذه

المفاجاءة لأهلها واقناعهم بهذا الزواج. وبسرعة اتفقت "شن شن" مع صفا أن تأتي إلى دبي لقضاء بضعة أيام معها فالشقة الصغيرة التي تسكن بها فيها أريكة في الصالة يمكن تحويلها إلى سرير مريح.

بعد مرور أيام قليلة من مكالمة "شن شن" لصفا ودعوتها لقضاء بضعة أيام معها في دبي علمت "شن شن" أن صفا استطاعت أن تحصل على إجازة وستسافر مع والدتها إلى دبي لقضاء بضعة أيام ولكنها ستقيم مع "راوية" في أفخر فنادق دبي "فندق برج العرب". وبالفعل سافرت صفا مع والدتها وكانت تقضي معظم الفترات الصباحية في التجول في المراكز التجارية العديدة الموجودة في البلد ثم تتناول الغذاء مع "شن شن" وتقضي معها الفترة المسائية. وهناك تعرفت على معظم أصدقاء "شن شن" وخرجت مع "رحيم خان" لتناول العشاء معه. وبعد أن عادت الفتاتان إلى المنزل سألت "شن شن" صفا عن رأيها في حبيبها: إيه رأيك في المطعم اللى أكلنا فيه؟

صفا: هايل حقيقي رائع، اختيار هايل

شن شن: وإيه رأيك في رحيم خان؟

فردت صفا ضاحكة: اه تقصدي أستاذ "باتشان"

قالت شن شن في ضيق: ايه الهزار الظريف ده؟! لا بجد ايه رأيك فيه؟

ردت صفا وهي تبتسم ابتسامة خبيثة: في ايه يعني؟ هو شكله مش بطال على انه هندي يعني... بشرته مش غامقة قوي ومش مزيت زيهم ولا ريحته كاري

ردت شن شن في ضيق أكثر من المرة الأولي: أنا بتكلم

جد ، إيه رأيك في كلامه... في طريقته؟

قالت صفا مداعبة: انتي بتلمحي لايه يا مصيبة هانم

فابتسمت شن شن ابتسامة تعبر عن مشاعرها ، فخبطت صفا بيدها على صدرها بشدة وصرخت في وجه "شن شن" بشدة: يالهوي بتحبي واد هندي يا شن شن؟!!

شن شن: هو هندي دي شتيمة؟!! يعني لو كنت بحب أمريكاني ولا فرنساوي كان بقه أحسن؟! اهو على الأقل كمان مسلم مش هندخل في مشكلة تغيير دين ولا حاجة

قالت صفا وهي في حالة عدم تصديق: أمريكاني ايه وهندي ايه بس؟! يعني هو انتي مالقتيش راجل ينفعك من السبعين مليون اللى مربيين في مصر جاية تدوري على واحد هندي؟!!

ردت شن شن في ثقة وحزم وهي تدافع عن حبيبها: أيوه مالاقيتش وانتي أول واحدة عارفة حكاياتي كلها... ما أنا بقالي سنين بحاول الاقي واحد عدل ما عرفتش..."رحيم خان" أول واحد يحبني بجد وأول واحد أنا ماجريتش وراه..ده كفاية انه رضي يحب واحدة اسمها "شكرية"!

قالت صفا في محاولة فاشلة لاقناع شن شن بالرجوع عن هذه العلاقة الغريبة: اصبري شوية وانتي أكيد هتلاقي حد عدل في مصر بس ليه ترمي نفسك في المصيبة دي؟!

ردت شن شن في ثبات وحزم: ارجوكي ما تقوليش مصيبة أنا مع رحيم خان بحس إني انسانة مرغوبة تتحب وده احساس ما حستوش خالص في حياتي كلها ازاي عايزاني اسيب الاحساس الجميل ده واتخلي عنه بالسهولة دي؟!... على العموم

أنا كنت متوقعة رد الفعل ده وأنا مش زعلانة

سألت صفا: طب ده رد فعلي تفتكري رد فعل أهلك ايه؟!

ردت شن شن والقلق والتردد يرتسمان على قسمات وجهها: متهيأ لي بابا هيفهمني هو أستاذ اجتماع في الجامعة إنسان متفتح وضد العنصرية أما ماما فهي اللى هتعمل المشاكل.

❖ ❖ ❖

لحق عمر بصفا وسافر إلى دبي بعد أسبوع واحد من مغادرتها مصر. أقام عند "علي" وهو واحد من أقرب الأصدقاء إلى قلبه. "علي" كان عراقي شيعي. التقي عمر بـ"علي" في مصر في أحد اجتماعات الجمعية الخيرية ومنذ اليوم الأول أحس الاثنان أنهما نفس الروح لكن مقسومة في جسدين. "علي" يقيم مع عائلته في دبي منذ سنوات عديدة ولكنه قرر مؤخرًا أن ينتقل ليعيش وحده في شقة صغيرة ليحس ببعض الاستقلالية فقرر "عمر" أن يقيم عنده طوال فترة الإجازة.

كان عمر يقضي فترات الصباح في الالتقاء بأعضاء الجمعية المقيمين في دبي وعندما ينتهي من هذه اللقاءات يذهب للخروج مع صفا وفي إحدي المرات عاتبته صفا على أنه يتركها وحدها طوال ساعات النهار فعرض "عمر" عليها فكرة أن تحضر معه هذه الاجتماعات على سبيل التعرف على نوعية الاجتماعات ونوعية المناقشات التي تتم فيها وكي تتعرف أيضا على مجموعة الأعضاء المقيمين في دبي. وفعلا ذهبت صفا مع عمر إلى إحدي الاجتماعات وتعرفت على جميع الأعضاء الذين لم يزد عددهم عن عشرين من الحاضرين وخمسة عشر متغيبين عن الاجتماع لأسباب مختلفة. وكانت

ترأس هذه الجمعية سيدة إماراتية شابة. هي التي تدير الأعمال وتضع جدول الأعمال والأولويات. ولاحظت صفا أن الأعضاء من جنسيات مختلفة تماما فمنهم الهندي والأوروبي والإيراني والعديد من الجنسيات الأخري من بينها فتاة روسية رائعة الجمال تدعي" نتاشا" فبياضها الشاهق وعيونها الواسعة الزرقاء تخطف الأنظار. ومن اللحظة الأولي التي وقع نظرها على "نتاشا"بينها وبين نفسها بنوع من الغيرة. فالفتاة مبهرة وجمالها لا يقارن أبدًا بجمال صفا المتوسط والباهت مقارنة بها. واشتدت غيرة صفا عندما أحست أن هذه الفتاة تتكلم كثيرا مع "عمر" وتضحك على جميع نكاته حتى النكات السخيفة. ولم تستطع اخفاء إحساس الضيق الذي تملكها عندما بدأت تحضر هذه الاجتماعات مع "عمر" ففي كل مرة تقابل فيها "نتاشا" تحس أنها ستنفجر من الغيرة.

استطاعت صفا أن تخفي طويلا عن "عمر" سبب الضيق الذي يظهر عليها في كل مرة تخرج معه لمقابلة هؤلاء الأشخاص. ولكنها فقدت السيطرة على نفسها في إحدي المرات ولم تستطع أن تكبت جماح غيرتها الحمقاء وتشاجرت مع "عمر" بصوت عال وغضبا لأول مرة في تاريخ علاقتهم القصير.

ففي إحدي المرات كانت صفا في طريقها من المركز التجاري إلى برج العرب حيث تقيم محملة بأكياس كثيرة من المشتريات وكانت قد اشترت بعض الأغراض لـ"عمر" وفي طريق عودتها إلى الفندق وجدت نفسها قريبة من شقة "علي" التي يقيم فيها "عمر" فقررت الصعود بسرعة لتأخذ رأيه في ذوقها فصعدت صفا إلى الشقة ودقت الجرس ففتح لها عمر. دخلت صفا بسرعة إلى الداخل وهي فرحة بالأغراض التي

اشترتها ل"عمر" وفجأة تلاشت هذه الفرحة عندما رأت ضيف غير مرغوب فيه. لمحت بعينيها "ناتاشا" تجلس في استرخاء على أريكة في حجرة المعيشة. نظرت صفا إلى عمر نظرة فيها تساؤل وشك فرد عليها عمر: ايه يا صفا فيه ايه؟ تعالي اتفضلي "ناتاشا" كانت جايبة الورق اللى فيه اسماء المتبرعين بتوع السنة دي فقعدت تشرب فنجان شاي.

انفعلت صفا وهي تنظر للبنت الجميلة بعيون كلها شر وتحفز وهتفت في حدة: فين "علي"؟

رد عمر بثبات: "علي" لسه ما رجعش من الشغل

صرخت صفا في عصبية: يعني كمان لوحدكوا خالص! أنا دلوقتي فهمت أنت ليه مبسوط قوي من الجمعية الغبية بتاعتك دي

قال عمر في ضيق: فهمت ايه؟ انتي مش فاهمة حاجة أبدا..

ردت صفا في عصبية أشد من قبل: فهمت أنك مشترك فيها علشان تبقي مع الست هانم تسافروا وتمبسطوا وتقضوا وقت حلو مع بعض

رد عمر وهو يجذبها من ذراعها: صفا أنت بتقولي ايه؟!

حررت صفا ذراعها من يد عمر في عنف وصرخت: عايز تفهمني انكوا قاعدين اخوات؟!

فهمت "ناتاشا" نوع المناقشة من نظرات الشك والغيرة التي تظهر على وجه صفا، فحاولت أن تتدخل وتهدءها إلا أنها تلقت نظرة حادة كالصاروخ وجملة سخيفة تطلب منها صفا ألا تتدخل فيما لا يعنيها. وخرجت صفا مسرعة من شقة على وهي تبكي في حرقة.

وجهتها فبدلا من أن تعود إلى الفندق ذهبت لـ"شن شن" لتشتكي لها همها.دقت الجرس في عصبية ففتحت "شن شن" في سرعة ولاحظت" شن شن" في الحال الحالة التى تعيشها صديقتها فلحقت بها بسرعة إلا أن صفا دخلت الحمام وأغلقت الباب عليها وجلست تبكي وقت طويل لم تستطع أن تحدد كم من الوقت مضي عليها وهي تبكي في الحمام. كانت تنظر إلى نفسها في المرآة وهي تبكي في مرارة وتتندم على كل لحظة عاشتها في حياتها التعيسة، فالإنسان الوحيد الذي عرفها معني السعادة يخونها ويتخلي عنها. "عمر" الذي كان بمثابة الشمعة التي أضاءت ظلام حياتها يطعنها في كرامتها. الإنسان الوحيد ألتي تتكل عليه في هذه الدنيا القاسية سيتخلي عنها وستعود إلى حياتها الأولي تعيش وحدها أيام رتيبة تفتقر إلى كل معاني السعادة. بكت صفا في مرارة وحرقة ولم تفق من كوابيس أفكارها إلا على صوت "شن شن" وهو يقول: لو ما فتحتيش هاكسر الباب.

ففتحت صفا في هدوء ووجهها كله متورم من البكاء، فاحتضنتها "شن شن" في جزع وسألتها: ايه اللى حصل؟ انتي رعبتيني "عمر" كويس؟

ردت صفا وهي لا تستطيع أن تتمالك أعصابها: عمر راح خلاص

سألت شن شن وهي لا تفهم أي شيء: راح فين بس فهميني وفي هذه اللحظة رن جرس الباب ففتحت "شن شن" فوجدت "عمر". دخل عمر قابلته صفا بنظرة متسألة فيها عما يجري فطلب منها أن تتركهم للحظات وحدهم في الغرفة.

رمقت صفا عمر بنظرة نارية وصرخت في وجهه: أنت جاي هنا ليه ماتخليك مع الهانم بتاعتك

رد عمر في هدوء: صفا أنا جاي هنا اتكلم مش اتخانق اقعدي واسمعيني في هدوء

قالت صفا وهي تشيح بوجهها عن عمر: ما فيش بنا كلام

جذب عمر صفا في رفق وأجلسها على الكنبة وجلس بجانبها يكلمها بحنان: أنا عايز افهم أنت ليه مكبره الموضوع كده؟ أنت دخلتي البيت لقيتي حد فينا قالع هدومه؟ حد فينا قاعد بطريقة مش مظبوطة؟ البنت كانت جاية تديني ورق محتاجه فطلعت الشقة وعلي كان لسه ما رجعش من الشغل. قعدت تشرب حاجة ونتكلم كلمتين بس هي دي الحكاية

ردت صفا في سرعة وحدة: أي اثنين ثالثهم الشيطان

قال عمر وهو يهز رأسه علامة الرفض: عيب تقولي كده لأن أنا وأنت على طول بنقعد مع بعض لوحدنا في بيتي أو بيتك وعمر الشيطان ما دخل بينا لاننا بني آدمين نعرف نحكم احاسيسنا وغرايزنا مش همج ولا حيوانات.

وهنا بدأت صفا تهدأ قليلاً: بس هي كانت لابسة عريان قوي

عمر: هي ماجتش وقلعت هي كانت جاية كده من الشارع ثم افهمي إنها روسية والروسيات ممكن يبقوا متحررات أكثر منك ومن "شن شن" ومن أي بنت عربية. وفي حاجة أهم من كل ده، أنا بحبك يا صفا. بحبك وما بشوفش حد غيرك في الدنيا دي، متهيأ لي إن أنا قلت لك الكلام ده ميت مرة قبل كده

قالت صفا وهي تحاول أن تصدق كلام عمر: صعب ما تشوفش "ناتاشا" لأنها منورة من كثر ماهي جميلة ثم قالت مداعبة: دي عاملة زي النجفة

عمر: انتي في نظري أحلي بنات الدنيا، وبعدين أنا عايزك بقي يكون عندك شوية ثقة في نفسك وفي شكلك. انتي إنسانة جميلة من كل ناحية وشكلك لطيف ووشك هادي وبيريحني وهو ده أهم حاجة. وعلشان تكوني فاهمة بقة الإنسان بيتعود على الجمال. يعني لو واحد اتجوز ملكة جمال الكون هايكون طاير من الفرحة في الأول ومع مرور الأيام هيتعود على الجمال ده وهايبدأ يشوف حاجات تلفت نظره في ستات تانية حتى لو ما كنوش حلوين زي مراته... قصدي أقول إن لو الراجل بصباص هيفضل برده يجري ورا البنات حتى لو متجوز أحلي واحدة في العالم. لكن بالنسبة لي أنا مش كده وبحبك وباهتم أكثر بالوش المريح اللى ارتاحله كل ما ابصله... واللسان أنرقيق أللى ما بينطق غير بكل حاجة حلوة هو ده اللى عمري ما أزهق منه أبدا.

ثم سألت صفا: وهي الست "نتاشا" ايه اللى مدخلها في الجمعية بتاعتكوا دي؟! واحدة حلوة كده زيها ممكن تعمل حاجات تانية مسلية أكثر في الحياة. هي متدينة قوي؟

رد عمر بلا مبالاة وهو يهز أكتافه: لا هي مش متدينة خالص... دي مش مؤمنة من أصله

صعقت صفا من رد عمر وهتفت: أنت ازاي بتتعامل مع واحدة كافرة زي دي؟

رد عمر في ثقة: أنا ماليش دعوة بدينها أنا باشتغل معاها وبعدين دي بتعمل أعمال خير، انتي مش متخيلة المجهود الفظيع اللى عملته مع عائلات الضحايا لما رحنا بعثة لـ"سريلانكا" و"تايلاند" وقت الـ"تسونامي"

صفا: بس كافرة

رد عمر في ثبات: بس بتعمل خير، كثير من المسلمين ما بيعملهوش

صفا: كفاية أنهم مسلمين

عمر: أنا مش عايز أدخل في مناقشة من النوع ده أنا ماليش دعوة بدينها ومشكلة عقيدتها أنا ليا دعوة بس بالطاقة الكويسة اللى عندها وده اللى يهمني غير كده بقة ربنا يحاسبها

صفا: وبعدين تعالي هنا قولي رايح تساعد في الـ"تسونامي" وفي مسلمين أولي بالمساعدة دي والمجهود ده

عمر: ماهم هناك برده بني آدمين

صفا: بس مش كلهم مسلمين، وبعدين أكيد ربنا بينتقم منهم علشان كده بعت لهم التسونامي ده

قال عمر وهو يمسك اذناه وكأنهم يعتصران من الألم: أنا مش مصدق وداني ايه اللى بتقوليه ده؟! ينتقم منهم ليه بس؟

ردت صفا وهي تحاول شرح وجهة نظرها: طبعا ينتقم منهم، الناس في شرق آسيا بيعملوا حاجات كثير مقرفة تغضب ربنا، فأكيد هو ده عقابهم في الأرض ولسه كمان هيشوفوا العقاب اللى مستنيهم في السما

قال عمر وعلامات الانزعاج تسيطر على وجهه: ماعرفش

مين اللى اقنعك بالكلام ده. لكن أنا مش مصدق خالص الكلام الخايب بتاعك ده اللى ما يطلعش أبدًا من واحدة متعلمة زيك، الكوارث الطبيعية دي حاجة عادية ممكن تيجي في أي مكان في العالم. بس فيه أماكن معرضة للكوارث دي أكثر من أماكن تانية. يعني زلزال مصر الجامد اللى هز البلد من كام سنة كان غضب من ربنا؟

ردت صفا وهي تحاول أن ترجع لنقطة الخلاف الأساسية: بس ليه ما تساعدش مسلمين؟ أكيد هما أولي من أي حد تاني

عمر: حبيبتي أنا قولت لك من الأول المؤسسة الخيرية اللى أنا فيها دي مهمتها خدمة الإنسانية مش ملة معينة أو فئة معينة

صفا: طب وأنت ليه ما تروحش جمعية تكون متخصصة في مساعدة المسلمين ما أنت كده تاخد ثواب أكثر

عمر: أنا اللى عجبني في الجمعية دي إنها بتساعد الناس كلهم من غير تفريق في دين أو جنسية، المؤسسة بتشوف الناس اللى أوني بالمساعدة وهما دول بيكونوا مهمتنا وأولويتنا.

عمر: وبعدين يا صفا يا حبيبتي نفسي لهجة التعصب اللى عندك دي تخف شوية

هتفت صفا في عدم تصديق: أنا متعصبة؟!

رد عمر: على خفيف..يعني موقفك ده بيفكرني بخياطة مامتك

صفا: قصدك سوسن؟

عمر: مش فاكر اسمها.. بس فاكر انك كنتي مترددة في مساعدتها علشان مسيحية

قالت صفا وهي تحاول أن تشرح له موقفها: أنا مش مترددة أنا عارفة اني لو ساعدت مسلم ده هيكونوا ثوابه أكبر من مساعدة واحدة مش من ديني وبعدين دي طلبت مني ٥٠٠ جنيه علشان عملية

سأل عمر: انتي مصدقاها ولا هي كدابة... ولا بتتمسكن زيادة عن اللزوم؟

صفا: بصراحة هي مش كدابة لأنها كمان بعتت لي الفواتير علشان تثبت لي، بس واحد مسلم أولي بالفلوس دي

عمر: حتى لو كلامك صح، هي إنسانة محتاجة لك ولجأت لك وانتي معاكي الفلوس اللى تساعدها وتساعد غيرها من المحتاجين يبقي ما تبخليش على إنسانة بالرحمة طول ما انتي في ايدك تساعديها... بصي للناس على أنهم أرواح، ربنا خلقها وتجوز ليها الرحمة والشفقة وسيبي موضوع مين داخل النار ومين داخل الجنة ده على ربنا، كل اللى عليكي هو مساعدة المحتاج مهما كان دينه أو لونه وأكيد ثوابك عند ربنا كبير... وبعدين تعالي هنا قولي لي انتي لما بيجيلك شحات في الشارع بتسأليه أنت مسلم ولا مسيحي ولا ملتك ايه؟ ولا بتدي له اللى فيه القسمة من غير سؤال وبتكوني مبسوطة وراضية انك ساعدتيه..انتي فكرتيني بحكاية أنا بلاقيها من أجمل الحكايات الإنسانية اللى حصلت في الدنيا واللي مليانة بمشاعر واحساس راقية

صفا: قول يا سيدي

قال عمر: سنة ألفين وخمسة وبالتحديد في نوفمبر مات ولد

صغير فلسطيني في " جنين" بالضفة الغربية، العساكر الإسرائيليين قتلوه، طبعا ما فيش جديد في الحكاية دي لانها بتحصل كل يوم. الجديد والغريب هو إن والد الطفل "اسماعيل الخطيب" اتبرع بأعضاء ابنه لثلاثة أطفال منهم اثنين يهود وواحدة درزية على ما اظن.

هتفت صفا وهي غير مصدقة اذناها: ايه؟!!! أطفال إسرائليين؟!

قال عمر وهو فخور بقصته: شوفي الراجل ده وقلبه الكبير، هواصر على انه يتبرع بالأعضاء دي لقتلة ابنه علشان تكون رسالة سلام وأعلن إنه هيكون سعيد وراض لما يشوف الأطفال اللى كانوا محتاجين الأعضاء دي وهما عايشين في صحة. قولي لي بقة مين في الدنيا يقدر على العمل الرهيب ده؟ شوفي بقة انتي مستخسرة الخير في واحدة مش من دينك شوفي بقة الراجل الجبار ده قدر يسامح ويدي قلب ورئة وكبد ابنه المقتول لأعدائه، لناس هو مختلف معاهم في كل حاجة مش بس الدين دول ناس محتلين أرضه وحرموه من ابنه أغلي شيء عنده في الحياة. وفي هذه اللحظة دمعت عيون صفا فأخذ عمر يربت على كتفها ويهدئها وهو يقول: أنا عارف إنها قصة مؤثرة بس كان لازم اقولها. ثم حاول أن يغير من دفة الحديث حتى يهديء حبيبته، ايه رأيك بقه ننزل نتعشي أنا وانتي و"شن شن". فأومئت صفا علامة موافقة وقالت: بس "شن شن" هتعوز تعرفك على "رحيم خان"

قال عمر متسائلا: مين؟!

صفا: دي حكاية طويلة هتعرفها بعد العشا...

رائحة كريهة

عادت صفا إلى مصر بعد زيارة طويلة لدبي، وعادت إلى منزلها وهي تفكر في قصة "شن شن" و"رحيم خان" ولم تستطع أن تخفي إعجابها الداخلي بـ"ر حيم خان" فعلي الرغم من أنها لم تستصيغ فكرة أنه هندي إلا أنها وجدت في هذا الشاب صفات كثيرة جميلة وعذرت" شن شن" على إعجابها وتعلقها به. وبدأت تدعو لها بالتوفيق في المعركة التي ستدخلها مع والديها عندما يعلمون عن هذه العلاقة وعن رغبتها في الارتباط الأبدي "برحيم خان".

وصلت صفا في ساعة متأخرة من الليل فأخذت حمام دافيء للتخلص من توتر السفر واخذت التليفون واختفت تحت الغطاء في سريرها. اطمأنت بسرعة على "عمر" ثم خلدت في نوم عميق.

أفاقت صفا في الصباح على رائحة كريهة لاتعرف مصدرها، فاعتقدت أنها نست القمامة دون أن تتخلص منها قبل سفرها ولكنها لم تكن القمامة فأخذت تتفقد المنزل في فضول لتعرف مصدر الرائحة ولكنها لم تصل إلى شيء. فبحثت عن معطرات المنزل وأمطرت كل حجرة في البيت بمختلف الروائح الممكنة للتخفيف من آثار الرائحة ثم خرجت لمقابلة "عمر".

عادت صفا إلى البيت بعد يوم هادىء تناولت فيه الغذاء مع "عمر" واتفقا على أن يمر عليها في السابعة ليذهبا معا إلى السينما وعند لحظة دخول صفا إلى المنزل هاجمتها هذه الرائحة الكريهة مجهولة المصدر مرة أخري فنادت على بواب العمارة وسألته عن مصدر الرائحة ولكنه قال لها إنه لا يعرف شيء عن هذا الموضوع وأن بعض الجيران اشتكوا من نفس الشيء. ففكرت صفا برهة من الزمان ثم قررت الصعود إلي "تانت نادية" للاطمئنان عليها وسؤالها عن الرائحة الكريهة لعلها تعرف السبب.

صعدت صفا إلى تانت نادية وأخذت ترن جرس الباب كثيرا لكن دون جدوي، فطلبتها من تليفون الموبايل عدة مرات ولكنها لم تستجب أيضا. وفجأة داهم صفا قلق كبير على المرآة العجوزالوحيدة فهي تعرف أنها لم تسافر بعد إلى أولادها ولا تخرج كثيرا بحكم العادة،وخاصة في هذا الوقت من اليوم حيث تفضل الاسترخاء في البيت. ففتشت صفا تحت أندواسة الموجودة على عتبة الشقة لعلها تجد مفتاح البيت التي تتركه كثيرا إلى زوجة البواب لتدخل البيت وتنظفه. فوجدت المفتاح ودخلت صفا إلى الشقة ومن اللحظة الأولي التي دخلت فيها وجدت رائحة البيت لا تطاق فهو معبأ بالرائحة الكريهة كما وجدت الأنوار مضاءة. فأخذت تنادي على المرآة العجوز ولكن دون فائدة، قاطعها صوت هادىء للتليفزيون الموجود في غرفة النوم فتخيلت أن "تانت نادية" نامت ونسيت التليفزيون مفتوح فدخلت إلى غرفتها فوجدتها نائمة على سريرها ولكن شكلها يبدو غريبا لونها أزرق وجسدها يبدو خال من الحياة. فاقتربت صفا في حذر إلى السيدة المسجاة على السرير

ومسكت يدها فوجدتها جامدة كالخشب وباردة كالثلج. انهارت صفا على الكرسي الموجود بجانب السرير وعرفت صفا أن "نادية زكريا" قد فارقت الحياة.

تجمع الجيران حول سرير تانت نادية، ووجدت صفا نفسها في أحضان "عمر" الذي وصل إلى العمارة ليخرجا معا وعلم بالموضوع من الجيران، فأخذها في أحضانه الدافئة ونزل بها إلى شقتها ليهدئها. وكانت صفا في حالة من الإنهيار الشديد لدرجة أنها كانت تتكلم بصعوبة نتيجة الصدمة والحزن. فحاول "عمر" أن يهدئها وشرح لها بأن موت "تانت نادية" هو رحمة لها وان الله استجاب لرغبتها في أن تدفن بجانب زوجها ووالديها، ولكن صفا قاطعته في صوت متحشرج وقالت:

أنا صعبانة عليا أنها ماتت بقي لها أربعة أيام وماحدش حس بيها. مافيش حد بيسأل عليها والقليلين اللى بيسألوا نسيوها... نسيوها لدرجة أنها ماتت وما حدش عرف. طول عمرها وهي لوحدها وما حدش حاسس بيها، دي حتى كان نفسها تشوف ولادها، قلبها كان حاسس انهاماتموت وسكتت فجاءة ثم قالت وهي تبكي: أنت عارف أن حاسة اني هاموت زيها وما حدش هايعرف. هو ده مصيري

عمر: ايه الكلام السخيف ده وأنا رحت فين؟! ومامتك و..

قاطعته صفا في حدة:

ارجوك ما تجيبش سيرة الست دي... أنا لوحدي في الدنيا دي ما ليش حد غيرك أنت وبس...وعادت إلى موت السيدة العجوز مرة أخري: أنا صعبانة عليا قوي ماكانتش تستاهل الموتة المأسوية دي.... ويا حرام أتاري الريحة الوحشة اللى كنت

شماها جاية من عندها....

عمر: فكري إنها ماتت على سريرها من غير لا ألم ولا مرض ماتت وهي راضية عن حياتها... أنا شفت وشها كانت ملامحه هادية ادعي لها ربنا يرحمها واقترب "عمر" من صفا وضمها ضمة قوية ارتاحت لها صفا التي احست أنها تتوق إلى مثل هذا الحضن التي طالما افتقدته من والديها طوال حياتها.

تأخر الوقت وكان يجب على "عمر" أن يغادر شقة صفا، وكان متأثرا جدا من أنه سيتركها وحدها وهي في هذه الحالة فاتفق معها على أنها ستدخل السرير وتضع تليفون المنزل بجانبها لأنه سيكلمها ويريد منها أن تشغل زر" السبيكر" طوال الليل لتحس به بجانبها، وتسمع انفاسه وهو نائم فتشعر أنها ليست وحدها فهو يريد أن يحسسها بالأمان والمؤانسة التي تفتقدهما في حياتها.

❖ ❖ ❖

بعد مرور اسبوع من موت تانت نادية بدأت صفا تهدأ وتستأنف حياتها الطبيعية فكانت تجلس يوما أمام التليفزيون

تشرب الشاي الأخضر بدلا من الشوكولاتة الساخنة التي كانت معتادة على شربها قبل أن تتعرف على "عمر" وكانت تشاهد برنامج عن الكنيسة المعلقة التي زارتها مع عمر فتذكرت "سوسن" خياطة والدتها القديمة وتذكرت احتياجها للمال وظروفها الصعبة وتذكرت مناقشتها مع عمرعن مساعدة المحتاج بغض النظر عن دينه فقررت أن تزورها في منزلها فهي تعرف بيتها القديم لأنها زارته مع والدتها عدة مرات.

انتهت صفا من عملها واعتذرت لعمر عن تناول الغذاء معه لكي تذهب لزيارة "سوسن". استقلت صفا تاكسي للنزول إلى منطقة الظاهر واوقفها التاكسي أمام الحارة الصغيرة التي تسكن فيها "سوسن". نزلت صفا من التاكسي ومشت بضعة أمتار حتى وصلت إلى بيت "سوسن" المتهالك فوجدت طفل صغير ينزل على السلم مسرعا فاستوقفته وسألته عن شقة "سوسن"، فأصطحبها الطفل إلى الشقة وطلب منها أن تنتظر دقيقة حتى يحضر المفتاح لتدخل الشقة: استني هنا يا أبله أصل خالتي "سوسن" ما بتقدرش تقوم من السرير لوحدها، هاجيب المفتاح من ماما واجي هوا. دقيقة ثم ظهرت سيدة كبيرة في السن لها ملامح طيبة وشعر أبيض اشعث غير مرتب وسألتها: ايوه يا مدموزيل حضرتك مين؟

صفا: أنا معرفة "سوسن" من زمان هي هتعرفني على طول.

فاصطحبتها السيدة إلى الشقة وفتحت الباب وادخلتها وطلبت منها أن تنتظر لحظات في غرفة ردهة المنزل القديمة، وجلست صفا تتأمل البيت في اشفاق فالبيت الصغير كان يخلو تقريبا من الموبيليا. فالردهة شبه فارغة لا تحتوي إلا على منضدة صغيرة مستديرة وكرسي واحد خشبي تجلس عليه صفا. وسمعت صفا صوت "سوسن" في الخلفية يقول: ايه النور ده يامدموزيل صفا، اتفضلي ادخلي. دخلت صفا إلى حجرة النوم التي ترقد فيها "سوسن" فوجدتها ترقد على سرير بسيط والغرفة أيضًا تكاد تخلو من الأثاث إلا من منضدة صغيرة تستعمل ككومودينو تضع عليه اباجورة صغيرة وجبل من الأدوية وكوب ماء. أما الجدران فكانت

كلها متآكلة ويظهر من ورائها طوب البناء الأحمر. وتزين هذه الجدران بعض الصور الدينية وصليب كبير. ثم حولت صفا نظرها من الحجرة القديمة إلى سوسن المريضة التي ترقد أمامها فوجدتها قد كبرت عشرون عاما فعلي الرغم من أنها ما زالت في الخمسينيات إلا أنها تبدو أكبر بكثير من عمرها نتيجة لظروفها المرضية، فالزمان كان قاس مع سوسن إلى أبعد حد، هذه السيدة النشيطة التي كانت تعمل بيداها وتعيش حياة مستقرة فقدت فجأة نظرها من آثار مرض السكر اللعين الذي لم يكتفي بحرمانها من نظرها ولكن أثر أيضًا على حركتها وأصبحت امرأة وحيدة، قعيدة وكفيفة. وتسألت صفا في نفسها، لماذا تقسو الدنيا أحيانا على الناس بهذا الشكل وتسألت اين يكون العدل في الحياة فهناك ناس تعيش في صحة، حياة مترفة بشكل مستفز لا يهمها إلا أخر صيحات الموضة والمصيف وتغيير السيارة بشكل مستمر وهناك ناس تعيش في بؤس تحت خط الفقروتفتقر إلى الصحة وأساسيات الحياة.

جلست صفا بجانب "سوسن" التي لم تكف عن الكلام عن "راوية محمود" وكيف كانت من أجمل النساء في مصر وعن الفساتين الرائعة التي حاكتها لها وكيف كانت صفا طفلة صغيرة تلهو حولها ثم قاطعتها صفا في رفق وأمسكت يدها وقالت لها: ازيك يا سوسن، أمال فين بنتك ماريا؟

سوسن: ما أنا قلت لحضرتك آخر مرة أن ماريا هتتجوز، وهي اتجوزت فعلا ولد ماكناش هنلاقي أحسن منه وسافرت

مع جوزها سفاجا وبشوفهم أول كل شهر.

صفا: وسمير؟

بكت سوسن في صمت وردت في صوت مختنق: اديكي شايفة البيت بقي فاضي ازاي، كل حاجة لها قيمة خدها علشان الزفت اللى بياخده ودلوقت بقالي ست شهور ما شفتوش وبصراحة مااتمناش اني اشوفه.

لم تتمالك صفا نفسها واجهشت في البكاء بصوت عالي، فتنهدت "سوسن" وقالت وهي تحول أن تخفف عن صفا: نحمد ربنا على كل حاجة، المهم انه عوضني بماريا وجوزها وبالست ايزيس جارتي اللى من غيرها معرفش كنت هاعمل ايه. ونظرت صفا إلى "ايزيس" السيدة الواقفة بجانبها وابتسمت لها في امتنان وبادلتها "ايزيس" الابتسامة واستأذنت لتحضر الحاجة الساقعة. وعند مغادرتها اخرجت صفا من حقيبتها الـ٥٠٠ جنيه التي كانت تحتاجها "سوسن" وحاولت أن تعطيها النقود إلا أن "سوسن" رفضت في أدب وقالت: مرسي خالص يا مدموزيل بس الوقت فات، كان لازم أعمل العملية بسرعة وأنا ماقدرتش اجمع غير نص المبلغ ودلوقتي الدكتور بيقول لي مافيش فايدة.

انهارت صفا لسماعها هذه الأخبار الكئيبة واحست بتأنيب ضمير فظيع لأنها لم تساعد "سوسن" بالنقود اللازمة في الوقت المناسب واخذت تتأسف وتختلق لها الأعذار لتأخرها واخذت تتوعد لها بأن تاخذها لامهر الأطباء لإجراء الفحوصات اللازمة واجراء العملية ولكن "سوسن" استوقفتها في هدوء وشكرتها وقالت: ما فيش فايدة... ده قدري يا مدموزيل صفا

وأنا خلاص قبلاه. وهنا احست صفا بمسؤلية كبيرة تجاه هذه السيدة التعيسة فقالت لها: لازم اعوضك واعمل لك حاجة محتاجاها قولي لي عايزه ايه وأنا اعمله. شكرتها "سوسن" على مشاعرها الطيبة وقالت لها: أنا خلاص مش عايزه حاجة اهي مستورة والحمد لله بس لو نفسك تساعديني فعلا أنا كنت بافكر اروح اقعد في دار مسنين. الست "ايزيس" بصراحة مش مخلياني عايزة حاجة بس أنا عاملة زي الطفلة ما بقدرش اعمل حاجة لوحدي وايزيس فيها اللى مكفيها ملخومة بخمس عيال وأنا العيل السادس. حرام اتقل عليها أكثر من كده، وبنتي مبسوطة مع جوزها والله أعلم هترجع تعيش في القاهرة تاني امتي، ففكرت اروح دار مسنين ياخدوا بالهم مني من غير ماتعب ولا اتقّل على حد. أنا كلمت الكنيسة وهيدفعولي جزء من المبلغ الكبير اللى لازم ادفعه. لأن الدار بتعمل أسعار رمزية للعواجيز اللى بيخدموا نفسهم لكن الناس اللى زيي لازم يكون عندهم شخصين لخدمتهم صبح وليل وطبعا ده هيكلفني فلوس كثير كل شهر. وهنا تحمست صفا وقالت: أنا هادفعلك الفلوس كلها فقاطعتها سوسن: لا..لا بقول لحضرتك الكنيسة هتدفع جزء وماريا وجوزها ربنا يبارك له جزء فاضل بس مبلغ مش عارفة ادبره.

سألت صفا في لهفة وسرعة: كام؟

سوسن: ٣٠٠ جنيه

صفا: أنا كان طالع من ذمتي ٥٠٠ اللى كنت عايزاهم للعملية خذيهم دبري حالك دلوقتي وأنا كل شهر هابعت الفلوس للدار انتي بس اديلي اسمها وعنوانها وأنا هاتصرف.

فرحت "سوسن" فرحة كبيرة بكرم صفا وامضت

المتبقي من الزيارة في الدعاء لها بكل شيء جميل.

انصرفت صفا من منزل "سوسن" وهي واجمة متأثرة جدا من الحياة الكئيبة التي تحياها هذه المرآة التعسة وندمت على تأخرها في مساعدة "سوسن" ماديا واسترجعت كلام "عمر" واقتنعت بوجهة نظره بأن الإنسان القادر والمتيسر حالا مسؤول تجاه أي محتاج أو مسكين بغض النظر عن دينه أو لونه وباب الرحمة يجب أن يكون مفتوح في وجه أي فقير وإذا سنحت الفرصة للمرء أن يساعد محتاج فيجب عليه المساعده بدون تفكير.

❖ ❖ ❖

خرجت صفا مع "عمر" إلى مطعم أنيق في إحدي الفنادق الفاخرة المطلة على النيل وبدأت صفا في سرد احداث يومها ولم تتوقف عن الحديث عن "سوسن" وظروفها الصعبة ثم سكتت برهة وسألت "عمر": أنت مش على طبيعتك النهاردة، في حاجة مضايقاك؟

رد عمر في هدوء: أنا مسافر

صفا: على فين؟ أنت عندك تصوير؟

قال عمر في هدوء: رايح العراق

جزعت صفا عندما وقعت الكلمة على اذنيها وهتفت: تاني هاتقولي الجمعية بتاعتك دي؟! أرجوك ما تسافرش، أنت هاتسيبني هنا لوحدي؟!

عمر: روحي اقعدي مع مامتك... أنا مش هاغيب أنا شاء الله كلها خمس ست أيام وارجع

قالت صفا متوسلة: عمر أرجوك ما تروحش هناك أنت ما بتسمعش عن الناس اللى بتتخطف هناك عمال على بطال...

اللى هيوديك بس، أنت فاكر انك هتغير حاجة من اللى بيحصل، أبدًا الدنيا هتفضل مقلوبة وهيفضلوا يقتلوا في بعض...تفتكر لما أنت تروح هتعمل فرق؟ أنت عارف في كام واحد بيموت كل يوم هناك؟ كثير قوي فوق ما أنت متخيل أرقام تانية خالص غير اللى بتتقال في محطات الأخبار، هتساعد أنت كم واحد منهم؟ عشرة؟ عشرين؟ خسمين؟

رد عمر في حزم وثبات: أنا متأكد أن أنا وزمايلي هنعمل فرق، وبعدين أنا ما يهمنيش عدد الناس اللى هساعدهم أنا يهمني إني أساعد أي حد محتاج والناس اللى هناك في عرض أي مساعدة... أنا يمكن ماعملش فرق في حياة آلاف الناس زي ما بتقولي لكن ممكن أعمل فرق في حياة إنسان واحد أو حتى طفل واحد وده كفاية عليا

قالت صفا وهي تحاول أن تبدو هادئة وعقلانية: يا عمر أنت ممكن تساعد من بعيد، مش ضروري تعرض حياتك للخطر، يعني ابعت فلوس، ادوية، اعمل كل حاجة وأنت في مكانك مش ضروري تروح للنار برجليك.... وبعدين هاتروح بعيد ليه ما تبص لبلدك وتشوف الناس اللى مش لاقية حتى رغيف العيش ما تساعد دول الأول وبعدين دور على الناس اللى بره... ده احنا عندنا ثلاثين مليون مصري عايشين تحت خط الفقر!

عمر: أنا باعمل كثير في بلدي لكن الفقر والغلب موجودين في الدنيا كلها مش بس في مصر.. ده غير إن الجوع أحسن من الاحتلال والموت... أنا لازم اروح العراق واساعد من هناك، الناس اللى هناك دول مش كلاب ترمي لهم حتة لحمة من بعيد وتجري، دول بني آدمين محتاجين برده مساندة نفسية علشان يقدروا يتحملوا الحياة

القاسية اللى هما عايشنها... وبعدين أنا فعلا عملت كل اللى أنت بتقولي عليه ده بس أنا حاسس إن وجودي هناك هيعمل فرق، أنا عايز أشوف المساعدات اللى بنبعتها من الجمعية بتروح لمين بالظبط وأعرف كمان احدد نوع المساعدات اللى نبعتها اللى هما محتاجنها أكثر... لازم يكون في قلبنا شوية رحمة وشجاعة... رحمة تحسسنا بمعاناة الغير وشجاعة تخلينا نتحرك ونعمل حاجة... ثم أنا بساعد في مصر كثير وعندنا مشاريع كثير للبلد بس أنا برده عندي مشاعر عطف ناحية الناس اللى في العراق وعايز اساعدهم... لازم اروح

صفا: يا حبيبي كل اللى هتعمله ده مش هيغير حاجة في الدنيا والحروب هتفضل موجودة، الإنسان مش طيب زي ما بنتخيل لا البني آدم في طبعه القسوة وبيعرف ازاي يتفنن ويختلق الاعذار للحروب. ثم أنت بتحاول تغير سنة الحياة؟ ربنا خلق الدنيا كده بحلوها وبمرها... لازم يكون لكل كلمة عكسها علشان يبقي لها معني: رحمة وقسوة، حرب سلام، خير شر... هو ده ميزان الحياة ليه عايز تغيره؟ يعني تفتكر ربنا ما كنش يقدر يوقف بحور الدم اللى في العالم دي؟

عمر: طبعا يقدر بس بحور الدم دي من صنع الإنسان مش من صنع ربنا، الإنسان من زمان بيعرف يتفنن ويخلق الحرب تحت أي اسم... الجهاد، الحرية، الديمقراطية، القضاء على الإرهاب لكن الحقيقة أن الإنسان بيخلق الحرب دي علشان مطامعه الشخصية بس ويحاول بعد كده إنه يلاقي اسم جذاب للحرب بتاعته علشان يقنع الشعب

ويخليه يحارب. ثم قال ساخرا: "نحارب في سبيل تحقيق السلام والديمقراطية" في حاجة تضحك أكثر من كده بقي معقولة إن الحرب هي تكون الوسيلة للسلام؟!... ده في ناس ما تقدرش تعيش من غير حرب بتكبر وتتغذي على الحروب والدمار... عندك مثلا الشركات اللى بتصنع وبتطور الأسلحة وتجار السلاح نفسهم والبنوك اللى بتسلف الحكومات علشان تغطي مصاريف الحرب المهولة واللي برده بتستفيد من فايدة القروض وبتستخدمها في التأثير على الانتخابات وتنجح المرشحين اللى يخدموا سياستهم... وفي بقي حكومات بتحب تحارب علشان تلهي الناس عن الظلم والديكتاتورية اللى عايشنها في بلادهم فينشغلوا بالحرب الخارجية وينسوا الظلم اللى هما عايشين فيه.

صفا: دي سنة الحياة، ربنا خلق فينا الخير والشر

عمر: مظبوط وإن ربنا قادر على كل شيء بس ربنا عنده حكمة في كده

صفا: طيب يبقي خلاص سيب بقي حكمة ربنا في حالها وخليك أنت في حالك

رد عمر وهو يبتسم: الدنيا امتحان للبني آدم لازم يكون فيها ظالم ومظلوم. وأنا اتخلقت علشان اساعد المظلوم. أنا عارف اني مهما عملت هيفضل في الدنيا جوع، وبؤس وموت وخراب بس أنا اقدر اخفف عن ناس كثيرة وأنا ماتعلمتش اكون سلبي.

قالت صفا وكأنها وجدت الحل أخيرا: أعمل المساعدات

إلى أنت عايزها من غير ما تعرض حياتك للخطر

عمر: أنا ممكن أموت وأنا في سريري وأموت وأنا بتحسّر على عمري اللى ضاع من غير ما اعمل حاجة أكون فخور بيها... ثم التفت إلى عمر وقال لصفا في حنان: أنا ما احبش أشوفك بتتكلمي بالشكل ده لأن صوتك في طعم يأس ولامبالاة بآلام الناس، وأنا بحب صفا، الإنسانة الحساسة والحنينة اللى قابلتها وارتبطت بيها. ماتخافيش عليا أنا رايح وعارف إن العراق خطر لكن أنا هكون حذر جدا وحنكون على طول على اتصال.

بكت صفا بحرقة عندما عادت إلى المنزل واحست أنها ممكن تفقد أغلي شيء في حياتها.

ورحل "عمر" إلى بلاد الرافدين.

obeikandl.com

المعركة

اتفقت شن شن مع "رحيم خان" على أن يسافروا إلى مصر في اجازة مدتها اسبوع لمفاتحة عائلتها في مسألة زواجها لأنها احست أن موضوع زواجها سيكون كالمعركة ولن تستطيع اقناع أهلها بسهولة فاصرت على النزول إلى مصر لمواجهتهم فمثل هذه الأمور لن تنجح بالتليفون ويجب عليها النزول إلى أرض المعركة لتحارب وتنتصر وترفع راية النصر.

فرحت أم "شن شن" برجوعها فرحة كبيرة وأقامت لها الولائم ودعت لها كل الأصحاب والأقارب لاحتفال برجوع فلذة كبدها كما فرح الأب بابنته وأحس أنه فخور بها لأنها استطاعت أن تستقل بحياتها وتنجح في الخارج بدون مساعدتهم ولكنه سرعان ما طلب من ابنته العودة من بلاد الغربة وشرح لها أنه وافق على سفرها في البداية لأنه كان يريد أن يساعدها في الهروب من قبضة أمها وخوفها المبالغ فيه على ابنتها. وقال لها أنه فخور بها لأنها نجحت في الاختبار واستطاعت أن تعيش وحدها وأن تنجح في المجال العملي.

كانت "شن شن" ووالدها يشربون الليموناضة المثلجة في نادي الجزيرة ففتح الأب مع" شن شن" موضوع الزواج: امورتي الحلوة مش هترجع مصر بقي

شن شن: أه اكيد يا بابا بس أنت عارف إنه مش دلوقتي وإني

لازم اقعد سنة في دبي

قال الأب وصوته كله شوق لابنته الوحيدة: تصوري الخمس شهور اللى قعدتيهم في دبي دول عدوا علينا كأنهم سنة

شن شن: أنا عارفة يا بابا وانتوا كمان والله بتوحشوني قوي

الأب: بس أنا نفسي بقي افرح بيكي أنا وأمك

ردت شن شن في استسلام: وهو أنا قلت لا ، ما أنت عارف يا بابا اني طول عمري سايبة الباب مفتوح لأي حد كويس.

الأب: بس يعني الواحد بيكبر وما بيصغرش وانتي هاتقعدي سنة بحالها بره وكده بتقللي فرصك في انك تقابلي حد ينفعك

ردت شن شن في بساطة: ومين قال لك أن ما قابلتش حد ينفعني؟

تنبه الأب فجأة وتوقف الأب مرة واحدة عن شرب اليموناضة اللذيذة والتفت لبنته: ايه أنت بتقولي ايه؟

قالت شن شن وهي تؤكد على مسامعه ما قالته: أنا فعلا قابلت انسان جميل من كل ناحية وعايز يتجوزني وجه معايا وقاعد هنا في فندق الماريوت مستني اليوم اللى اقول له اتفضل عندنا في البيت

رد الأب وصوته كله فرحة: وما قلتيش من بدري ليه يا شقية أنت؟ هاتيه على طول

شن شن: مارضيتش اعمل موضوع في أول يومين اوصل فيهم كنت عايزة اتمتع بيكو الأول

قال الأب في سعادة: اتفقي مع امك على ميعاد وقولي لي يجي يشرب الشاي معانا

وحاولت الابنة مقاطعة أبيها ومصارحته بالحقيقة ولكنها لم تريد أن تطفيء نور الفرحة الواضح في نظراته. أنه كان سعيد لدرجة أنه كان يريد أن يعانق ويقبل أي شخص يجلس معهم في النادي.

وسأل ابنته: احكي لي عليه شوية اسمه شغله حياته

وردت شن شن في قلق: هو بيشتغل معايا في شركة الكمبيوتر وناجح جدا في شغله هو يبقي مدير مديري

سأل الأب ابنته في فضول: طب اوصيفي لي طباعه

شن شن: هو حنين، كريم ومتدين

قال الأب في سعادة: الله هالله قولي كمان أفرحيني... وطب ومين اهله ناس نعرفهم؟

ردت شن شن في تردد: أنا ما عرفش أهله، هو طول عمره عايش في أمريكا واتولد هناك كمان هوراح دبي علشان جاله عقد كويس في دبي وبقاله هناك بتاع عشر سنين.

قال الأب محذرا: ومالـه، أهم حاجة إن طباعه ماتكونش أمريكاني أنا ماحبش الحال المايل. يعني يكون اتعلم منهم الحاجات الكويسة بس من غير ما ياخد اخلاقهم البايظة

فردت شن شن في سرعة: لا من الناحية دي فهو هيعجبك قوي

الأب: على خيرة الله أنا كده اطمنت أنا يهمني إنه يكون من بيت طيب، عنده اخلاق وشاطر في شغله وأهم من ده كله انه يكون بيحبك

قالت شن شن وصوتها كله ثقة: لا من الناحية دي اطمن يا

بابا ده بيموت فيا

ثم سأل الأب كأنه تذكر فجأة: هو صحيح اسمه ايه؟

ردت شن شن في تردد: "رحيم"

قال الأب مفكرا: "عبد الرحيم" يعني؟

شن شن: لا "رحيم" بس

الأب: طب يا ستي خلي استاذ "رحيم" يشرف وقت ما انتي ومامتك تعوزوا

فردت "شن شن" في فرحة ممزوجة بتوتر وخوف من هذا اللقاء: حاضر يا بابا

❖ ❖ ❖

انهمكت والدة شن شن في ترتيب المنزل كما قامت باخراج الطقم الصيني الخاص بالمناسبات لاستقبال عريس ابنتها كانت تفعل كل شيء وهي في منتهي السعادة. وكانت تدندن أغاني الأفراح والمناسبات السعيدة طول الوقت، وعندما انتهت دخلت على "شن شن" في غرفتها فوجدتها تلبس بنطلون جينز بسيط وبلوزة بيضاء أبسط وشعرها معقوص خلف اذنيها في هيئة ذيل حصان ووجهها مغسول من آي مساحيق.

الأم: ايه يا بنتي ده، ليه مش متوضبة ومتزوقة؟

شن شن: الموضوع مش محتاج يا أمي دي بس حفلة تعارف وبعدين "رحيم "عارفني كويس قوي ومش محتاجة أغير في شكلي

الأم: برده كان لازم تلبسي فستان وتحطي شوية ألوان في وشك، لا ما لكيش حق

في حقيقة الأمر إن شن شن كانت في غاية القلق وكانت متوترة وقلقة أكثر ما كانت سعيدة. كانت خائفة من أن تفرح ثم تنقلب هذه الفرحة إلى مأساة عندما تسمع رفض أبيها بنفسها. لم تكن تعرف ما هي الطريقة المثلي لفتح الموضوع ومصارحة أهلها، ولكنها اقتنعت أن أحسن طريقة هي أن يقابلوه دون أن يعلموا حقيقته لأنهم إذا عرفوا قبل ذلك يمكن أن يرفضوا أن يقابلوه تماما. ولكن من خلال هذه الزيارة يمكن أن يعجبوا بكلامه وأسلوبه كما أعجبت به "شن شن". وأخذت" شن شن" تفكر في سيناريوها ت بديلة في حالة الرفض التي تتوقعه وكيفية التعامل مع الوضع.

ثم أفاقت مرة واحدة من أفكارها على صوت جرس المنزل.

ذهبت لتفتح الباب فوجدت الشغالة وقد سبقتها ولكنها قابلت "رحيم خان" بابتسامة عريضة فيها فرحة وخوف في نفس الوقت. ووجدته في هذا اليوم في غاية الوسامة. كان يلبس قميص أبيض أنيق وجاكيت بليزر كحلي على بنطلون جينز أزرق. كما رتب شعره الفاحم الناعم إلى الوراء بالجيل ليظهر عيونه العسلية الواسعة. وظهرت هيئته العامة كنجوم بوليوود الذين كانت تراهم في الأفلام وعلي بوسترات السينما.

دخل الأب والأم معًا إلى الصالون حيث يجلس "رحيم خان" و"شن شن"، وقابلوه بابتسامه عريضة ولكنهم احسوا من الوهلة الأولي أن عريس ابنتهم مختلف عن باقي المصريين وأن سمرته مختلفة أيضًا عن سمرة المصريين المعروفة.

فبدأ الأب في الكلام: أهلا وسهلا يا ابني، "شن شن" حكيتلي كثير عنك وعن اخلاقك، أنا سعيد قوي إني بتعرف عليك

فنظر "رحيم خان" إلي "شن شن" في تساؤل لأنه لا يفهم كلمة من كلام والدها، فنظرت "شن شن" إلى أبيها وقالت: أرجوك يا بابا كلم رحيم بالإنجليزي لأنه ما بيعرفش عربي

فنظرت الأم إليه في استغراب: ليه أمريكا نسته العربي؟ هما ما كنوش بيكلموه عربي وهو صغير؟ فقاطعها الأب في هدوء: معلهش في ناس كده لما تهاجر يكلموا أولادهم بالإنجليزي علشان يتعلموه بسرعة وبينسوا يكلموا ولادهم بالعربي فبيطلعوا ما بيعرفوش عربي. ثم نقل نظره إلى رحيم الذي لم ينطق بكلمة من لحظة دخوله إلى البيت وسأله بالانجليزية: وأنت بقي يا ابني طول حياتك عايش في أمريكا؟ ما زرتش مصر قبل كده؟ والوالد والوالده معاك ولا في أمريكا برده؟

فرد رحيم خان في صوت هادىء: أنا أهلي دلوقتي موجودين في الهند

فنظر إليه الأب مرة أخري وسأله: الوالد بيشتغل هناك إيه بقي؟

رحيم خان: لا هو رجع بقي يقعد في الهند، لأنه طول عمره كان في أمريكا فلما طلع على المعاش قرر يرجع تاني الهند يجرب ويشوف هايقدر يعيش هناك ولا يرجع أمريكا تاني

نظر الأب إلى شن شن في تعجب: هو "رحيم" مش مصري؟

ردت شن شن وصوتها فيه رنة حياء: لا يا بابا... "رحيم" اسمه "رحيم خان" وهو هندي

وفي هذه اللحظة لم تستطع الأم من أن تمنع عيناها من

البكاء وانسحبت في هدوء إلى الداخل

الأب: "شن شن" ما قالتليش انك مش مصري

رحيم خان: أنا عارف إن ممكن يبقي فيه اعتراض عليا علشان الموضوع ده لكن أنا حبيت أجي اقابل حضرتك بنفسي علشان اعرفك بيا وافهمك إن بنتك هتكون سعيدة معايا

قال الأب وهو يرمق ابنته بنظرة حادة كادت تتجمد من أثرها: على العموم دي مش غلطتك الغلط على "شن شن" كان لازم تفهمني من الأول الموضوع وبعدين تيجي تشرب معانا الشاي.

وفي هذه اللحظة هم الأب أن يقوم لينهي الزيارة فاوقفه رحيم خان في أدب: ارجوك يا فندم ما ترفضش طلبي واسمعني، أنا هندي مسلم اتولدت في أمريكا واتربيت وعشت حياتي كلها هناك، كنت دايما من المتفوقين علميا علشان كده والدي بعتني اتعلم في جامعة هارفرد قسم كمبيوتر واتخرجت واشتغلت في أمريكا شوية وبعدين جالي عقد عمل بمرتب مغري في دبي فقبلت وعشت هناك عشر سنين خلالهم رجعوا أهلي على الهند وبيحاولوا يعيشوا هناك تاني. أنا اتعرفت علي "شن شن" وسعيد جدا اني لقيت واحدة في أدبها وفي جمالها وحاسس إني هاقدر أخليها سعيدة فارجوك ما ترفضش طلبي واقبلني زوج لبنتك. أنا عارف أن حضرتك إنسان متفتح واستاذ اجتماع في الجامعة الأمريكية علشان كده حاسس إن حضرتك هاتقدر تفهم العلاقة اللى بينا وتباركها بموافقتك.

رد الأب في اقتضاب: إن شاء الله... أنت نورتنا يا أستاذ رحيم

وغادر "رحيم خان" المنزل في سرعة

اقتحم الأب والأم غرفة "شن شن" بعد أن غادر رحيم خان المنزل وصرخ الأب في وجه ابنته: عايزه تحرجينا وتحطينا في الأمر الواقع؟! افتكرتي إن لما بسلامته يجي لنا البيت يبقي احنا مش هنقدر نقول له لا. يكون في علمك أنا مش عايزك تتجوزي عنسي أحسن لك لكن الكلام الفارغ ده لا! مفهوم

قالت الأم وكأنها تندب حظها: حرام عليكي اللى عملتيه فينا النهارده، كده تبوظي فرحتنا باليوم ده... ده أنا آخر حاجة جت في بالي إن العريس مش مصري لا وإيه كمان هندي... حرام عليكي عايزة تشمتي فينا الناس. أنت فاهمة إنك بايرة ولا إيه ولا متعقدة من حكاية رجليكي؟

هتفت شن شن وهي تحاول جاهدة أن تشرح موقفها: أرجوكي يا ماما ما تكمليش. أرجوكوا افهموني، أنا حبيت "رحيم خان" قوي وانتوا لو عرفتوه هتحبوه زي بس ادوا لنفسكوا فرصة

قاطعها الأب في حدة وصرخ في وجهها: نحب فيه إيه بس جايبه لنا واحد هندي في البيت؟!! واحد جاي من مكان مختلف وبيئة غريبة عننا ما نعرفهاش. ما نعرفش أهله دول عايشين إزاي، شكلهم ايه،بياكلوا بايديهم ولا برجليهم أذكية، أغبية، نظاف مش نظاف... مانعرفش عنه غير اسمه وبس

ردت شن شن مستنكرة: ايه هندي دي؟ هي شتيمة؟ وبعدين ايه الكلام اللى بتقولوه ده يا بابا ده أنت إنسان متعلم وعقلك كبير إزاي تفكر بالشكل ده؟... وبعدين أنا قلت لك يا بابا إنه عاش حياته كلها في أمريكا وأهله ناس متعلمين وهو كمان على مستوي عالي من التعليم وناجح في شغله وأخلاقه

هايلة تبقي ايه المشكلة بقي؟!

قال الأب وهو يخبط كف على كف: أنت بتسألي ايه المشكلة؟ المشكلة إنه مش مصري وكمان هندي

شن شن: يعني هو لو كان أي جنسية تانية في الدنيا كان هيبقي كويس

قال الأب في عصبية: ماعرفش... أنا اهو أنا ما يعجبنيش وكل اللى يهمني إن بنتي تتجوز واحد مصري مسلم ويكون متربي... صعبة دي؟!

ردت شن شن في توسل: بس أنا حبيت "رحيم خان"

صرخ الأب في وجه ابنته: اخرسي خالص وما تجيبيش سيرته كفاية نكد بقي ويكون في علمك إذا ما طلعتيش الموضوع ده من دماغك يبقي مالكيش سفر تاني ده أنا قلت الغربة غيرت فيكي وخليتك بني ادمة يعتمد عليها لكن للأسف خيبتي ظني.

وانتهت المناقشة عند هذه النقطة وانهار جسر التفاهم وانهارت "شن شن" في البكاء.

❖ ❖ ❖

انتهي "فؤاد" والد "شن شن" من المحاضرة التي يلقيها على الطلاب في الجامعة الأميركية والتي كانت تتضمن أجزاء كثيرة عن المساواة بين الناس والعنصرية وتوجه إلى مكتبه ليستعد للمحاضرة المقبلة دخل مكتبه فوجد "رحيم خان" ينتظره في هدوء ثم انتصب واقفا في سرعة لتحية والد "شن شن" وقال: أنا أسف إني جيت أشوف حضرتك في مكان عملك بس أنا لقيت إني محتاج اتكلم معاك تاني وأنت عارف

إني مسافر بكره فمعنديش وقت أضيعه

قال الأب باقتضاب وأدب في نفس الوقت: اتفضل

رحيم خان: أنا مقدر موقف حضرتك وفاهم إن "شن شن" هي وحيدتكم بس أنا محتاج فرصة اثبت فيها نفسي، حضرتك حسب كلام "شن شن" كنت موافق عليا لحد ما عرفت اني هندي. أنا عايز فرصة اثبت فيها إني استاهل "شن شن" وإن علاقتنا دي مش مجرد علاقة عابرة. وأنا جيت هنا كلي أمل إنك تديني الفرصة دي

فؤاد: فرصة ايه اللى بتتكلم عليها المبدأ مرفوض

رحيم خان: مرفوض ليه؟ علشان أنا هندي ولا في سبب تاني في طباعي أو أخلاقي تخليك ترفضني

قال فؤاد بنفاد الصبر: شوف يابني "شن شن" دي بنتي الوحيدة ومن حقي إني أجوزها الجوازة اللى أنا شايفها مناسبة ليها وبعدين هو خلاص الدنيا داقت بيكو ما العالم مليان بنات مافيش غير بنتي أنا؟! ماتتجوز أنت كمان من بنات بلدك ليه تختار واحدة مختلفة عنك في كل حاجة والاختلافات دي أكيد هتخلق مشاكل في المستقبل...

رد رحيم خان: الاختلافات اللى بتتكلم عليها دي اختلافات بسيطة في العادات والتقاليد هنتعود عليها وما دام في حب وتفاهم كل حاجة بتتسهل

فؤاد: ماتحاولش تقنعني لأني مش هاقتنع وقلت لك آخر كلام عندي

رحيم خان: أنا مش هافقد الأمل برده ومتأكد إن حضرتك ممكن تغير رأيك في يوم من الأيام

فؤاد: ما اعتقدش لأني مش هاسمح لـ"شن شن" إنها تكمل شغل في دبي، هترجع تلم حاجتها وتكمل الكام شهر اللى فاضلين لها وهي مع والدتها مش هاسيبها هناك لوحدها لأنها خانت الثقة اللى كنت مديهالها.

استأذن "رحيم خان" في أدب وانصرف وهو محبط.

❖ ❖ ❖

عادت "شن شن" إلى دبي وبصحبتها والدتها التي اصرت على عدم مفارقتها هذه المرة فهي تريد أن تحميها من حمي الحب الوهمي الذي أصابها فسافرت الأم "فوزية" مع ابنتها وتركت "فؤاد" في مصر لمباشرة عمله في الجامعة. وبدأت "شن شن" في ارتياد العمل من جديد. وكانت تتأثر جدا كلما رأت "رحيم خان" فهي تحبه وتريده ولا تتخيل حياتها بدونه وتخاف أن يمل من هذه العلاقة الغير مستقرة ويفقد الأمل في الزواج منها فكانت تصرعلي أن تمضي معه ساعات طويلة وحتي وإن كانت ساعات من العمل فقط فهي الآن تحس أنها سجينة لأن والدتها لا تسمح لها بالخروج بعد العمل إلا بصحبتها فقط فوالدتها تقوم بدورالحارس الأمين الذي عينه أبيها خوفا من تطور علاقة ابنته بالفتي الهندي.

وفي صباح يوم من الأيام استيقظت "شن شن" متأخرة عن موعدها فقامت مفزوعة لأنها لن تستطيع حضور اجتماع مهم للشركة. فأخذت تتحرك في المنزل كالنحلة لتستعد للخروج في أسرع وقت ممكن ولكن توترها كان يزيدها تأخر. فخرجت مسرعة تحاول السباق مع الزمن للوصول إلى المكتب في أقصر وقت ممكن وفجأة تعثرت ساقها المعاقة ووقعت

على السلم وقعة شديدة جعلت كل من كان في الشارع يلتف حولها. حملها بعض الجيران والمتطوعين في الشارع وأوصلوها إلى شقتها الصغيرة، هلعت الأم من منظر ابنتها وهي محمولة على الأذرع والكدمات تغطي جسدها الضعيف وكادت أن تسقط مغشيا عليها.

وصلت الأسعاف إلى منزل "شن شن" واخذوها إلى المستشفي لإجراء بعض الفحوصات الضرورية وهناك علمت أنها أصيبت إصابة شديدة في ظهرها تستدعي الراحة في السرير لمدة لا تقل عن الشهر.انهارت "شن شن" عندما عرفت ذلك لأنها لا تتخيل نفسها في المنزل كل هذه المدة ولأنها لن تستطيع أن تذهب إلى المكتب لرؤية "رحيم خان".حاولت الأم مرارا مع الطبيب أن تقنعه بأن تأخذ ابنتها إلى مصر لاستكمال العلاج هناك لكنه رفض رفضا باتا وشرح لها أن أي حركة لها الآن تعرض صحتها للخطر، يجب عليها أن تنتظر شهرا كاملا في المنزل وبعدها تستطيع أن تستكمل العلاج الطبيعي في مصر.

كانت "شن شن" تعتقد آن مرضها سيؤثر بالسلب على عملها وعلي حبها. ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك تماما، وكانت فترة جلوسها في المنزل من أحلي فترات حياتها لأن "رحيم خان" أصبح شبه مقيم مع حبيبته في المنزل بحجة العمل. فكان يذهب كل يوم في ساعات العمل وأحيانا بعدها للاطمئنان على حبيبته والانتهاء من بعض الأعمال المعلقة. فـ"شن شن" كان تستطيع العمل بمساعدة جهاز "اللاب توب" فكانت تعمل كل يوم في السرير وتأنس بصحبة "رحيم خان".

كادت الأم أن تشيط غضبا في البداية من زيارات الشاب الهندي وكانت تشمئز من أي شيء يشتريه لابنتها خاصة

"الطعام" فكان يأتي احيانا إلى المنزل ويحضر معه طعام غذاء للعائلة فكان يأتيهم كثيرا بمأكولات وحلوي هندية فكانت الأم تشمئز من طعامه وترفض الأكل منها. ولكنها مع الوقت لمست في الشاب الحنان ورقة المشاعر وبدأت تحبه هي الأخري. احبت فيه حنيته الواضحة على ابنتها واهتمامه الزائد بها وبمرور الأيام احست أنها لن تجد زوجا لـ"شن شن" أحسن من "رحيم خان" فبدأت معاملتها له تتغير وترحب به عندما يأتي للزيارة ثم تحولت العلاقة كلها وأصبحت علاقة ودودة.

واحست "شن شن" بتحسن العلاقة بين حبيبها وبين والدتها فعادت لتسألها مرة أخري على موقفها من زواجها من "رحيم خان" فسكتت الأم هذه المرة ثم قالت: كنت أتمني أن يكون مصري طبعا لكن بصراحة هو شاب جميل من كل ناحية ويتحب. فرحت الفتاة بهذا التغيير الجذري في الرأي واتفقت مع أمها أن تفاتح والدها مرة أخري في الموضوع.

سافرت الأم إلى مصر وهي مطمئنة على ابنتها مع "رحيم خان" وعادت إلى زوجها وهي تنوي مفاتحته مرة آخري في موضوع ارتباط ابنتها برحيم، وبالفعل اختارت فوزية وقت القهوة المسائية لزوجها العزيز لتكلمه في الموضوع. دخلت فوزية غرفة الجلوس وهي تحمل صنية القهوة لزوجها وقدمتها إليه وعلي وجهها ابتسامة عريضة ثم جلست بجانبه في هدوء. التفت إليها فؤاد وقال: ايه يا فوزية فيه ايه؟ انتي عايزة تقولي لي حاجة؟

ردت فوزية على الفور: ليه بتقول كده؟

قال فؤاد: اصلك قاعدة بصالي قوي وما جبتيش التريكو

بتاعك علشان تشتغليه زي عوايدك، ثم سأل في تردد: شن شن كويسة؟ حصل حاجة مخبياها عليا؟

أجابت فوزية في سرعة: لا طبعا شن شن بقت عال خالص والعلاج الطبيعي مساعدها قوي كمان

ثم قال فؤاد في لهجة مباغتة وكأنه تذكر فجأة: بس أنا مش فاهم انتي سيبتيها ليه برده لوحدها هناك وجيتي؟

فوزية: ما أنا اطمنت عليها خلاص.. صحتها بقت زي البومب خلاص

رد فؤاد وهو ينظر إلى زوجته مباشرة كأنه يحاول قراءة ما يدور في عقلها: مش بتكلم بس عن صحتها أنا اقصد الولد الهندي اللى معاها في الشغل، كان لازم تستني معاها زي ما اتفقنا لحد ما تخلص السنة وترجعوا مع بعض.... صمتت "فوزية" برهة تحاول أن تستجمع شجاعتها وتفاتح زوجها في موضوع زواج ابنتها. ولاحظ فؤاد سكوت زوجته فسألها: معرفش له مش مرتحلك النهاردة وشامم ريحة لف ودوران مالك المرة دي مش على طبيعتك ليه؟

قالت فوزية بعد أن أخذت نفسا عميق استعدادا للمناقشة: بصراحة "رحيم خان" ده ولد كويس قوي وأنا عاشرته وحاسه أنه الشخص المناسب لـ"شن شن"

قال فؤاد بعصبية: عرفوا يضحكوا عليكي هما الاثنين؟! ايه الكلام الفارغ ده؟!

ردت فوزية وهي تحاول تهدئة زوجها: اسمعني بس يا فؤاد، الولد حقيقي كويس وحنين وبيحب البنت مافيش داعي اننا نقف في طريقهم

فؤاد: أنا اجوز بنتي لواحد هندي؟!

ردت فوزية في استنكار: ما تتكلمش عليه بالطريقة دي هوالهندي ده مش زيه زي أي جنسية تانية ولا هو مخلوق درجة ثالثة؟ أنت أول واحد بتتكلم دايما عن المساواة بين الناس كلها وكنت دايما بتكون ضد أي نوع من أنواع التعصب... بس بصراحة كل اللى أنا شايفاه منك هو قمة التعصب

فؤاد: أنا اطالب بالمساواة في أي حاجة إلا في بنتي... دي بنتنا اللى طلعنا بيها من الدنيا وحيدتنا عايزانا نرميها كده لواحد ما نعرفش عنه أي حاجة...

قالت فوزية وصوتها كله اصرار وعزم على اقناع زوجها: الولد ده متعلم كويس قوي وناجح في شغله ووالده دكتور جامعة زيك وأنا عرفت عن أخلاقه كل حاجة

رد فؤاد في لهجة ساخرة: ايه السذاجة دي؟! شفتيه شهر واحد يبقي خلاص عاشرتيه؟

فوزية: هو أي نعم شهر واحد لكن شفت حاجات كتير جميلة في طباعه تخليك تحبه وتعجب بيه... وبعدين أنت ممكن تعمل انطباع عن شخص في يوم واحد أو حتى ساعة واحدة

قال فؤاد: الانطباعات مش دايما بتكون صحيحة وغالبا بتتغير

فوزية: ما يتهيأليش... أنا فعلا حاسة إن الشاب ده هو الشخص المناسب لـ"شن شن"....

فؤاد: أنا يا ما سمعت كلامك ومشيت وراكي كثير زمان وكان أكبر غلط... أنا بقه دلوقتي عايزك تسمعي كلامي وأنا بقول ما فيش جواز من الهندي ده يعني

مافيش جواز

فوزية: كده يعني ممكن ما يكنش فيه جواز خالص... بنتك ما بقتش صغيرة بنتك دلوقتي عندها خمسة وثلاثين سنة

فؤاد: سن الجواز كبر ما بقاش زي زمان، أي بنت طبيعية ممكن تتجوز فوق الثلاثين

هتفت فوزية في عصبية وعيناها تغمرا وجهها الطيب بالدموع: بس بنتك مش طبيعية... بنتك ظروفها مخصوصة ومش أي حد ممكن يقبلها وأنت عارف كده كويس أنا كنت السبب زمان في تعاسة بنتي وحرمانها من أنها تكون طبيعية وأنا دلوقتي عارفة أن سعادتها هاتكون مع "رحيم خان" وأنا مش ناوية احرمها من السعادة تاني... سيبها بقي تبدأ حياتها وتخلف زي أي واحدة ست...

❖ ❖ ❖

وصل عمر إلى بغداد مع أصدقاءه وكان من بينهم "ناتاشا" و"علي". وبدأ يتأمل شوارع بغداد في حزن عميق، فعلي الرغم من أنه لم يسافر أبدًا إلى هناك قبل الحرب، إلا أنه يعرف جيدا عظمة حضارة وعراقة هذا الشعب، فأنتابه إحساس شديد بالكآبة والحسرة على انهيار هذا البلد العظيم وتحوله إلى كيان ممزق كله شوارع مهدمة ومنازل مهجورة تشبه بيوت الأشباح. توجهت السيارة التي يستقلها "عمر" والأصدقاء إلى الفندق البسيط الذي سيقيمون فيه لتنزيل الحقائب والتوجه بسرعة إلى دار الأيتام الذي سيعملون فيه.

ومع أول خطوة لـ"عمر" في الملجأ المقرر زيارته احس بغصة شديدة في نفسه فالمبني يكاد يكون متهالك تماما. فمعظم

الجدران سقطت من آثار القصف بين الميليشيات المختلفة والدوريات الأمريكية. الحديقة الصغيرة التي كانت مخصصة للعب الأطفال تحولت إلى حطامٍ كثيرٍ ومقلبٍ للنفايات.

دخل عمر الملجأ فاستقبله في سرور مدير المكان وأخذ يطوف به في أنحاء المبني ليطلعه على الدمار الذي لحق بالمبني. وبعد أن انتهي، أدخله عنبر رقم "واحد" للأطفال الذين يتراوح عمرهم ما بين الثانية والعشر سنوات. ومع اللحظة الأولي التي وقع فيها بصر "عمر" على الأطفال أحس بقلبه يتمزق بين ضلوعه وهو يري وجوههم الواجمة وعيونهم الحائرة التي يملئوها الخوف والبؤس، وشعر باحساس شديد بالمسؤولية تجاه هؤلاء الأطفال فبدأ في العمل مع زملائه في الترفيه عن الأولاد. ومع كل ابتسامة طفل كان يشعر بأنه قام بعمل عظيم فالأطفال كانوا في حالة احتياج شديدة للعب والترفيه وهذا لم يكن متاحا إليهم لأن معظم العابهم تاهت في وسط حطام المعارك المستمرة. فكانوا يفرحون بأتفه الأشياء: بالون أحمر، قبعة ورقية مضحكة، علبة بسكويت... أي شيء بسيط كان بمثابة لعبة قيمة تبعث فيهم البهجة والسعادة.

وبعد أن انتهت المجموعة من قضاء بعض الوقت مع الأطفال في عنبر رقم "واحد" اتجهوا إلى عنبر "اثنين" والذي كان اتعس حالا من العنبر الأول لأنه كان يضم مجموعة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. الأطفال الذين فقدوا جزءا عزيزا عليهم من أجسادهم الصغيرة. فبذل "عمر" وأصدقائه مجهودا مضاعفا للاعتناء بهولاء المساكين. ومع نهاية اليوم اتفقوا مع المدير أن يمدوه في اليوم التالي بالأشياء الأساسية التي تحتاجها الدار. فغدا سيكون تحت تصرفهم عربة نصف نقل

ستأتي بالأغطية الثقيلة للشتاء والملابس والأطعمة الأساسية كالدقيق والسكر والزيت واللبن كما ستكون محملة بلعب وكتب كثيرة للأطفال. كما أعطوه تبرع مالي كبير من الجمعية لترميم الملجأ. وعاد "عمر" إلى الفندق وهو في غاية التأثر مما شاهده في دار الأيتام وتمني لو أنه يستطيع أن يزور كل الملاجيء الموجودة في العراق لرسم الابتسامة على وجوه الأطفال التعساء.

مضت الأيام وبعد أن كان من المفترض أن يقيم "عمر" أسبوعًا واحدًا في بغداد، طلب تأجيل موعد السفر للتمكن من مساعدة أكبر قدر ممكن من الملاجيء.وفي يوم كان "عمر" يستقل سيارة "جيب" مع أصدقائه، عائدين من عملهم اليومي في أحد الملاجيء ومتوجهين إلى الفندق للراحة والنوم. وفجأة وجد سيارة مسرعة تأتي في الاتجاه العكسي للشارع وتوقف سيارتهم عنوة. وفي لحظة خاطفة قفزمن السيارة عدة أشخاص ملثمين باللون الأسود وانقضوا على سيارة "عمر". وفي ثوان كان رأس السائق الغلبان منفجر من أثر طلقة نارية واجبر الجميع على النزول من السيارة والركوب مع الملثمين واختفت السيارة في ظلام الليل القاتم.

❖ ❖ ❖

تناقلت وكالات الأنباء أخبار اختطاف "عمر" وأصدقائه وأصبح الموضوع حديث الساعة. وانهارت صفا لسماع هذه الأخبار الكئيبة وحاولت أن تكلم "عمر" مرارا على الموبايل لكنها كانت تسمع دائما عبارة "خارج نطاق الخدمة" انهارت صفا لدرجة أنها أصبحت لا تذهب إلى العمل ولا تفعل شيء في حياتها إلا الجلوس أمام التليفزيون لمتابعة محطات الأخبار لعلها تسمع

شيئًا يطمئنها على حبيبها. وكانت "شن شن" تمضي معها معظم الأوقات تحاول أن تواسيها وأن تلهيها عن الأفكار الكئيبة ولكن صفا كانت تعيش فعلا اتعس أيام حياتها. ولم تصبح تتحدث مع أحد عن أي شيء وإذا تكلمت تتحدث عن "عمر" فقط وتتغزل في اخلاقه الكريمة وأحاسيسه الرقيقة وكيف استطاع أن يحول حياتها البائسة إلى حياة سعيدة تنبض بالأمل.

وفي يوم كانت صفا تجلس كالعادة أمام التليفزيون ففوجئت بباب الشقة يفتح وتدخل منه والدتها. دخلت "راوية" في هدوء وطبعت قبلة على جبين صفا وبدأت في الكلام: أنا عرفت طبعا اللى حصل لـ"عمر" معلهش يا حبيبتي إن شاء الله ربنا يرجعه بالسلامة بس أنت ما تعمليش في نفسك كده...لازم تكلي وتخرجي وتسيبي الموضوع ده على ربنا..

ظلت صفا صامتة لا تخرج من وجومها، فسألتها الأم: أنا جبت معايا برطمان "كريمة الشوكولاتة" اللى بتحبيه أقوم أعمل لك سندوتش؟ لم تلقي "راوية" أي رد من صفا فذهبت في هدوء إلى المطبخ لإعداد الساندوتش ثم عادت وقدمته إليها. وفجاءة خرجت صفا من وجومها وازاحت الطبق المقدم لها وامسكت يد والدتها في حركة مباغتة ثم سألتها في حدة: انتي صحيح بتشتغلي في تهريب السلاح

ذهلت "راوية " من سؤال صفا وحدتها وردت في هدوء: ايه الكلام اللى بتقوليه ده؟ ولكن صفا لم تستمع إلى أمها وسألت في حدة مرة أخري: ردي عليا انتي صحيح بتشتغلي في تهريب السلاح لأماكن الحرب اللى في العالم؟

ردت راوية في هدوء مصطنع وإن كان شكلها يدل على أنها متوترة: مين اللى قال لك الكلام الفارغ ده؟

تركت صفا يد والدتها في عصبية وجذبت صفا الجريدة

التي كانت بجانبها واشاحت بها في وجه أمها وصرخت: مش أنا اللى بقول، كل الجرايد هي إلى بتتكلم على موت جوزك وعلي نشاطه المشبوه في السلاح

ردرت راوية في لامبالاة: وحتي لوده صحيح أنا مالي بالموضوع ده، أنا مراته وبس

رددت صفا جملة والدتها في لهجة تهكمية: مراته وبس؟! ده انتي ما كنتيش بتسيبيه أبدًا وعلي طول معاه والناس كلها عارفة انك ذراعه اليمين في الشغل.

أجابت راوية في ارتباك: اه أنا فعلا ذراعه اليمين لكن مش في نوع الشغل ده.

وانهارت صفا تبكي: نفسي اصدقك بس قلبي بيقولي انك مشتركة معاه في كل الصفقات المشبوهة، لأنك طول عمرك انانية وعايشة لنفسك وبس، ممكن تعملي أي حاجة علشان الفلوس. حتى مشاعر الأمومة اللى المفروض إنها بتغلب أي مشاعر تانية في أي ست مش موجودة عندك وعمري ما حسيت بيها...

ثم نظرت صفا إلى عيون أمها نظرة ثاقبة كأنها تريد أن تقرأ ما يدور ببالها وقالت: كل ما ابص في عينيكي اتأكد أكثر إنك كدابة وانك مشتركة مع جوزك المجرم ده في كل صفقاته... استرسلت صفا في الكلام وهي تبكي كأنها تكلم نفسها: طول عمري بلوم نفسي إن أنا بكرهك، واعاتب نفسي واقول ازاي في واحدة تكره امها اللى هي المفروض احن قلب عليها في الدنيا لكن ارجع واقول أنا عمري ما حسيت بحنيتك عليا لإنك كنتي على طول مشغولة وساييباني لوحدي

ردت راوية في محاول يائسة منها للدفاع عن نفسها: احنا

طول عمرنا عايشين في ظروف صعبة ابوكي هو اللى حطنا فيها انتي ناسية إن أنا كان لازم اخرج اشتغل علشان ناكل وما نتفضحش في وسط الناس، كنتي عايزاني أعمل إيه يعني اخدك معايا الشغل؟! لو كان ابوكي ده راجل مسؤول كنت قعدت معاكي في البيت علشان اربيكي لكن أنا كان لازم اخرج... وبعدين أنا كنت على طول بجيب لك شغالات ياخده بالهم منك اعمل ايه أكثر من كده؟

صفا: أنا عارفة انك كان لازم تخرجي لكن كان ممكن تحسسيني بحبك ليا لما ترجعي البيت لكن اللى كان بيحصل إنك كنت بترجعي مش قادرة تضحكي في وشي

راوية: كنت بأرجع مهدودة ومش شايفة قدامي كان لازم تعذريني وتشكريني بدل ما تعاتبيني

ردت صفا في ألم: حتى لو تعبانة كان برده ممكن تعملي مجهود صغيرعلشان تحسسيني بحبك ليا لكن الحقيقة انك كنت بتحوشي مجهودك ده بس للخروج والسهر بره لوش الصبح

راوية: أنا كنت بحاول الاقي راجل غني اتجوزه بدل ابوكي علشان يشيل عني الحمل واعرف اربيكي واعلمك

صفا: ولما لقتيه عملتي ايه؟ سيبتيني لوحدي وانشغلتي تماما بحياتك الجديدة: السفر، السهر، اللبس وعمليات التجميل اللى ما بتخلص...

راوية: أنا قلت لك كذا مرة سيبي الشقة دي وتعالي عيشي معانا في ٦ أكتوبر

قالت صفا في سخرية: تقصدي اجي اعيش لوحدي في فيلة جوزك، ما انتي مسافرة طول الوقت... تفتكري هاقدر اقعد مع "ريهام" بنت الأستاذ المحترم؟! دي الحياة معاها

كابوس... على طول بتبص لي نظرات احتقاروعتاب

راوية: عامليها زي ما بتعاملك

صفا: مااقدرش لاني عارفة جوه نفسي أن البنت دي بتحتقرني لأن أمي جريت ورا ابوها كثير لحد ما عرفت تخرب بيته تخليه يطلق ماماتها اللى ماتت بحسرتها بعدها بشهور قليلة... فالبنت طبعا بتبصلي على إني أنا السبب في تعاستها... ثم أنا عايزه اعيش في هدوء مش عايزه خناقات أنا عشت طول عمري في بيت مليان خناق وتوتر نفسي اعيش بقه في هدوء نفسي في حياة طبيعية زي كل الناس

ردت راوية وهي تنظر لابنتها نظرة فيها احتقار ولوم: لوكنت طالعة لي كنت عرفتي ازاي توقفي "ريهام" دي عند حدها بس أنت طول عمرك خايبة وما عندكيش ثقة بنفسك... مهزوزة زي ابوكي بالظبط..

وهنا فقدت صفا السيطرة على اعصابها وصرخت في وجه والدتها في وقاحة: أنا مبسوطة قوي إن أنا مش طالعة زيك! والنهاردة بس اتأكدت اني بكرهك وبكره فكرة إن أنا بنتك، وبكره كل حتة فيا تشبهك لانك إنسانة أنانية ومادية وكمان ما عندكيش ضميرولا قلب..

ردت "راوية" وهي تصرخ هي الأخري في وجه ابنتها: بنت! ماتقليش أدبك!

استرسلت صفا في الصراخ والكلام: مش هي دي الحقيقة؟ سيبك مني ومن مشاكلي الشخصية انتي ازاي بيجي لك قلب تقتلي الناس وتشردي عيالهم في العراق وبعدين تتبرعي لهم بالالافات؟! يعني تيتمي أطفال وبعدين ترمي لهم

علبتين دوا على علبة "بولبيف" وتقولي لهم معلهش دول هيعوضوكوا عن حنان بابا وماما. تتسببي في عاهة مستديمة لإنسان وبعدين ترمي له عكازين وشوية مراهم وتقولي لي معلهش دول هيعوضوك عن رجلك اللى اتقطعت ولا نظرك اللى راح. أنت بالظبط زي المثل ما قال: "تقتلي القتيل وتمشي في جنازته" لا والمصيبة أن الناس كانت فاكراكي ملاك من التبرعات الكبيرة اللى بتعمليها لصالح العراق حتى عمر كان مش مصدق كرمك. عرفتي فعلا تضحكي على الدنيا كلها.

راوية: ايه الكلام ده؟!

صفا: أنا بقول الحقيقة، الدنيا كلها عرفت إن جوزك كان له نشاط مشبوه في السلاح وانه له صلات بعصابات كثيرة في المجال ده وهما اللى قتلوه لسبب أكيد انتي تعرفيه...

راوية: أنا ماكنش ليا دعوة، أنا كنت مجرد منسقة لاعماله سكرتيره يعني انظم له مواعيده وافكره بيها مااعرفش هو كان بيعمل ايه أو بيهرب الأسلحة دي ازاي

قالت صفا في لهجة متوسلة وجسدها كله يرتجف من التوتر والقلق: ارجوكي ما تكدبيش أكثر من كده أنا مش هابلغ عنك... أنا بس عايزه اقول لك إن الأسلحة اللى بتبيعيها في العراق للارهابيين والمجرمين هتقتل أغلي حاجة عندي في الدنيا. هتاخد مني أكثر واحد حبني في الدنيا دي. "عمر" اتخطف وحيقتلوه في خلال أيام زي ما بيعملوا مع كل الرهاين، عارفة هيقتلوه بايه؟ بسلاح اكيد انتي اللى بايعاهولهم. أنا جاية اقول لك انك متي بالنسبة لي وان أنا من اللحظة دي ماليش أم ولا أب ولاحد خالص في الدنيا دي... ارجوكي اخرجي من البيت وما تتصليش بيا تاني كفاية عليكي الملايين اللى ساب هالك جوزك...

شوكولاتة...

انهارت صفا عند سماع خبر مقتل الرهائن المختطفين في العراق وعلمت أن عمر كان واحدًا منهم. وأحست لحظة سماع الخبر أن السماء تحولت من لونها السماوي الرقيق إلى لون أسود داكن كئيب وأحست أن الدنيا تضيق بها وانها لا تقدر على التنفس. امضت صفا شهر ونصف راقدة في السرير لا تقوي على الحراك ولم تكن تخرج إلا لزيارة الطبيب النفساني فقط.

حاولت "راوية" مرارا الاتصال بها وزيارتها لكنها كانت ترفض مجرد ذكر اسمها. فكانت" شن شن" التي جاءت مصر في إجازة قصيرة ترابض بجانبها لا تفارقها أبدًا حتى أنها تركت منزل عائلتها للمبيت مع صفا. ولم تكن صفا تسمح برؤية أو دخول والدتها إلى المنزل لأنها كانت مقتنعة تماما أن أمها مشتركة مع الجماعة الإرهابية في قتل "عمر" الشمعة التي أضاءت ظلام حياتها. وعاشت صفا أيام صعبة فهزلت هزال شديدًا وخسرت عشرة كيلو من وزنها كما فقدت بعض من شعرها نتيجة سوء التغذية وأصبحت تشبه الأموات أكثر من الأحياء. وبعد مرور ثلاثة أشهر من الحادث بدأت "شن شن" في تشجيع صفا على العودة إلى العمل التي تركته أو ممارسة أي هواية تخرجها من هذا الجو الكئيب. ولم يكن من السهل اقناع صفا بالخروج إلى العالم مرة أخري ولكن "شن شن" استطاعت في النهاية أن تقنع صفا بالعمل كمساعدة في محل جواهرجي في المهندسين فالمحل مملوك لواحد من أصدقاء

عائلة "شن شن" المقربين لهم وهو يعلم الأزمة النفسية التي مرت بها وسيكون سعيد بمساعدتها في أن تخرج من أزمتها بالعمل كمساعده له في مقابلة الزبائن وبيع المعروضات.

ذهبت صفا لمقابلة صاحب المحل لأول مرة فوجدته رجل في الخمسين من عمره اسمه "أنور" له صوت أبوي عميق وفي عينيه حنان واضح فارتاحت إليه ووافقت على العمل عنده فورا في المحل. ومع مرور الوقت بدأت صفا تتقبل الواقع وتعتاد الحياة بدون "عمر" فرجعت ثانية إلى حياة الفراغ والملل والحياة بدون هدف وعادت مرة أخري إلى أكل الشوكولاتة بشراهة كما كانت تفعل من قبل فاستعادت الكثير من وزنها وعافيتها وبدأت البثور في الظهور مرة أخري على وجهها.

ومع مرور الوقت اكتشفت أنها تهوي فن تصميم المجوهرات وأنها خلقت لهذه المهنة فطلبت من صاحب المحل أن تتعلم فن تصميم المجوهرات لتصبح محترفة. وسعد جدا صاحب المحل لطلب صفا لأنه أحس من أول يوم عملت فيه في المحل أنها موهوبة في هذا المجال وأنها تتعلم بسرعة، وبالفعل ارسلها إلى باريس لمدة شهر ونصف لتتعلم هذا الفن. وسعدت صفا سعادة كبيرة بهذه الرحلة وركزت بشدة في الدورة التدريبية التي أخذتها لتصبح الأولي على زملائها. ورجعت صفا إلى مصر وإلي محل "أنور" الجواهرجي التي تعمل فيه وهي ممتنة جدا إلى صاحب المحل لأنه أعطاها هذه الفرصة العظيمة لتعيد اكتشاف نفسها ومواهبها. وبدأت صفا العمل كمصممة للمجوهرات وكانت تمضي معظم الوقت في ورشة المحل ولا تعود إلى المنزل إلا للنوم فقط. وكانت ثمرة هذه الساعات الطويلة في العمل تصميمات غاية فى الروعة والجمال. وبدأ "أنور" الجواهرجي يلاحظ أن كثيرًا من معظم مبيعاته من

تصميمات صفا فكان سعيدا بها سعادة أبوية جميلة. ولاحظ أيضًا أن معظم تصميمات صفا وأحب الأحجار الكريمة لقلبها هو "التوباز الأزرق" فسألها عن هذا السر.

صفا: أنا أصلي بثق في قدرات" التوباز" وعارفة إنه بيدي نوع من الطمأنينة وصفاء الروح من أي منغصات في الحياة. واسمع كمان إنه بيطلع كل المواهب المكبوتة اللى ممكن تكون موجودة في الإنسان والواحد ما يعرفش... أنا أصلي بصدق في موضوع الأحجار الكريمة وتأثيرها على الإنسان وأكثر حجر بحبه هو "التوباز الأزرق"

انور الجواهرجي: ما أنا شايف ما انتي لابسة سلسة فيها "توباز" وعمرك ما بتقلعيها

تحسست صفا رقبتها لتمسك الحجر الأزرق المتدلي من السلسة وتنهدت في عمق وشجن: أصل السلسة دي كمان لها معزة كبيرة في قلبي

وحاول "أنور" الجواهرجي تغيير الموضوع عندما لاحظ لمعة عيون صفا بالدموع فقال لها: أنا شايف إن الناس بقت تيجي المحل مخصوص علشانك تصميماتك عمله شغل جامد.... شوفي بقه أنا هكلمك زي بنتي أنا شايف إنك دلوقت بقتيش محتاجة قوي ليا وممكن تعملي اسم لنفسك، فايه رأيك ننزل تصاميم مخصوصة باسمك بس تتباع في المحل هنا عندي؟

فردت صفا في سعادة: تصاميم باسمي انا؟!

أنور الجواهرجي: وليه لا انتي موهوبة وفنانة يبقي مش ناقصك غير إنك تعملي حاجة باسمك علشان الناس تعرفك

ردت صفا في امتنان: أنا متشكرة قوي حضرتك بتعملي كثير

أنور الجواهرجي: لا كثير ولاحاجة انتي تستاهلي كل خير يا بنتي، مجموعة التصميمات الجاية هتنزل باسمك وهعرضها لك كمان في معرض المجوهرات الدولي الجاي.

❖ ❖ ❖

وقفت صفا بين المدعوين في حفل زفاف "شن شن" و"رحيم خان" واخذت تتأمل السعادة الغامرة الظاهرة على وجه العروس الجميلة والحنان الواضح في نظرات "رحيم خان" لحبيبته.حفل الزفاف أقيم في نهار صحو في إحدي الفيلات التي تستأجر لمثل هذه المناسبات. الفيلا لها حديقة كبيرة تطل على النيل مباشرة.

زينت الحديقة كلها بزهور زاهية الألوان والبالونات وبعد أن حضر معظم المدعوين دخل العريس والعروس الحفل على أنغام موسيقي غربية من خلال مركب صغيرة كانت تطوف بهم في النيل. انزلتهم قرب الكوشة ثم اختفت المركب مرة أخري في مياة النيل الساحر.

أخذت صفا تنقل بصرها بين العروسين وبين العائلتين، فلاحظت الفرحة المرسومة على وجوه الجميع ما عدا "فؤاد" والد "شن شن" الوحيد الذي لم يكن سعيد السعادة المتوقعة في يوم زفاف ابنته الوحيدة. فمن الواضح أنه استسلم بعد معاناة شديدة لرغبة ابنته ووافق على الارتباط رغما عنه. فهو مازال غير مقتنع بهذه الزيجة حتى بعد أن قابل عائلة العريس وتعرف بهم ووجدهم فعلا على نحو عال من التعليم والتحضر ولكنه مازال غير مقتنع بأن يناسب ناس يعتقد هو أنه أحسن منهم وأنه من جنس أفضل منهم مئة مرة.

ظل "فؤاد" يرمق والد العريس بنظرات كلها تعالي وقرف طوال الحفل. فوالد العريس هندي الشكل بطريقة كاريكاتورية. فهو مكتنز بعض الشيء وقصير القامة. له بشرة

شديدة السمرة، هذا السمار الهندي الداكن الذي يكاد يكون أسود اللون، شعره ناعم ومزيت بعض الشيء، له شارب كثيف ويهز رأسه على طريقة الهنود الشهيرة كلما تكلم مع أحد.

وكلما أحس "فؤاد" بالقرف من والد العريس وجه نظره إلى والدة العريس التي كانت عكس زوجها تماما. ومن حسن حظ "رحيم خان" أنه ورث جمال ورشاقة والدته. فالأم لها عينان واسعتان في لون زيتون فلسطين الأخضر، بشرتها سمراء ولكن سمرة ناعمة ورقيقة، لها وجه بيضاوي الشكل كأنه مرسوم في لوحة فنية بدقة. وتلف قوامها المشوق الطويل بساري هندي أخضر اللون ومطرز بألوان ذهبية براقة. كما تزين رقبتها وذراعاها بحلي ذهبية هندية الشكل. كان جمالها واناقتها المختلفة حديث الحفل كله.كان "فؤاد" غاضب في قرارة نفسه من هذه الزيجة ولكن كلما نظر إلى ابنته ورآها تكاد تقفز من الفرحة أحس بنوع من السعادة والرضا بأنه تنازل ووافق على شيء يرفضه ولكنه يضحي بمبدأه في سبيل إسعاد ابنته.

ظلت صفا تراقب الجميع في هدوء وقليل من الحسد. فهي تتمني كل الخير لصديقة عمرها ولكنها تحس أنها ظلمت في هذه الحياة وأنها كانت تستحق حياة أفضل من التي عاشتها فطفولتها كانت صعبة ومرحلة شبابهاغير مستقرة وعندما وجدت أخيرًا الحب الحقيقي الذي أعطاها أمل في الحياة اختفي من حياتها في غمضة عين. وهاهي مرة أخري وحيدة في هذا العالم.عندما جاء وقت تقطيع التورتة، جلست صفا على ربوة عالية مزينة بالشرائط الملونة وقامت بعزف إحدي المقطوعات التي علمها إياها "عمر" على آلة "الهارب" فزادت الحفل رومانسية واناقة. كلما عزفت صفا على هذه الآلة استرجعت ذكرياتها ولحظاتها السعيدة مع حبيبها وبكي قلبها الوحيد.

المعجزة

كانت صفا تجلس في محل "أنور" الجواهرجي تعمل بيداها في صمت وهي منهمكة بدرجة شديدة في أحد تصميماتها ثم سمعت فجاءة صوت عميق تعرفه جيدًا ولكنها لم تصدق أذناها فرفعت رأسها لتري من صاحب هذا الصوت فوجدت "عمر" أمامها فلم تستطع أن تتمالك نفسها وفقدت الوعي في الحال.

لم تصدق صفا نفسها وهي تري "عمر" أمام عينيها وكانت تتلمس يداه ووجه كل لحظة كأنها غير مصدقة أنه عاد مرة أخري. وعاتبته كثيرًا عن ذهابه للعراق وتعريض نفسه للخطورة وحكت له كيف عانت من بعده وكيف عاشت سنة بأكملها بدونه، كانت أتعس أيام حياتها وبعد أن أفاقت من كلمات الحب والعتاب سألته ماذا حدث له بالضبط ومن اختطفه وكيف هرب وكيف وأين عاش لمدة عام كامل.

تنهد عمر واطلق نفس طويل يعكس التعب والإرهاق الذي يحس بيه، وبدأ يتحدث ويسرد عليها أحداث مغامرته في العراق هذا البلد العريق الذي تحول إلى أرض للمعارك والنزاعات الطائفية. وبدأ قصته: كنا في عربية" جيب" مفتوحة ماشيين في شارع من شوارع بغداد وكنا خلصنا شغلنا مع الأطفال والأمهات الجرحي وخلاص مروحين على الفندق إلى بنبيت فيه وفجأة لقينا عربية كبيرة ماشية بسرعة في الاتجاه المعاكس وبتكسرعلينا بقوة وبتوقفنا. ومرة واحدة نزل

منها رجالة أجسامهم كبيرة قوي زي اللى بيطلعوا في الأفلام ولابسين أسود في أسود ومخبيين وشهم مش باين منهم غير عيون مرعبة وشفايف غليظة، وكانوا كلهم شايلين مدافع رشاشة ومسدسات. هجموا على عربيتنا ونزلوا السواق وقتلوه من غير ما يكلموه كلمة ونزلونا كلنا من العربية تحت تهديد السلاح ورمونا في عربيتهم. طبعا مش قادر احكيلك على الرعب اللى سيطر علينا كلنا، ماحدش بقي قادر يتكلم ولاحتي يتنفس بس عيونا كانت بتقول كل حاجة وبتعبر عن اللحظات الرهيبة اللى احنا عايشنها وبعد دقايق جه واحد من اللى خطفونا وغموا عيونّا ما بقناش شايفين أي حاجة وقعدنا في العربية كثير قوي مش قادر أحدد اد إيه بس أخيرًا العربية وقفت ونزلونا ودخلونا مكان فيه سلالم كثيرة نزلناها وبعدين حسينا إن احنا في اوده كبيرة مافيهاش لا سجاد ولا كراسي ولا أي حاجة. فيها كاوتش وسلاسل حديد بس ورمونا هناك. اللي كان مخوفني قوي أن أنا مش فاهم هما خاطفنا ليه ومين اللى خاطفنا. هما كانوا بيتكلموا عربي بس طبعا اللكنة بتاعتهم كانت صعبة عليا خصوصا أنهم كانوا كمان بيتكلموا بـ"الكود" يعني لهم لغة خاصة بيهم. وكانوا فاكرنا كلنا أجانب وفعلا كان أغلبنا أوروبيين وأمريكان وكان معايا "ناتاشا" و"علي".

وهنا تنهدت صفا في ضيق: أيوه طبعا فاكره الست "ناتاشا" وهي دي تتنسي برده

فابتسم عمر ابتسامة باهتة واستطرد: أنا كنت مرعوب مش عارف هما "سنة ولا شيعة" وماكنتش عارف هقول لهم ايه لو سألوني بس فهمت انهم "سنة" وبيسموا نفسهم

"مجاهدين"، وده كان في مصلحتي لأن أنا الوحيد اللى كنت بتعامل معاملة معقولة وآدمية فحاولت أفهمهم إن احنا مجموعة مالهاش دعوة بالسياسة وإن احنا جايين في مهمة انسانية، جايين علشان نساعد أولادهم وستاتهم بس ماكنوش بيصدقوني أبدًا. كانوا مصرين إن الأمريكان والأوروبيين اللى معايا كفرة ومحتلين وجواسيس، وعلشان كده لازم يستغلوهم كرهائن علشان يطلبوا من حكومتهم أنهم يخرجوا من البلد فكانوا بيعاملوهم أوحش معاملة أما أنا بقه كنت محظوظ جدا. واحد منهم جالي في يوم واداني جلابية بيضا نظيفة ألبسها وسمحوا لي استعمل حمام نظيف من اللى بيستعملوه وبقم على طول ياخدوني أصلي معاهم في مواعيد الصلاة. كنت بتعامل معاملة مميزة جدا وده بصراحة كان بيعذبني لأن بقيت المجموعة كانت بتتعامل أسوأ معاملة، كانوا بيناموا على الأرض وهما رابطين ايديهم ورجليهم أما أنا فكنت بنام على مرتبة، كانوا هما بيستعملوا جرادل قذرة للتواليت لكن أنا كنت باستعمل حمام المجاهدين، هما كانوا بياكلوا بواقي الأكل اللى ما تشبعش طفل صغير وأنا كنت باكل مع المجاهدين فراخ ورز يكفوا عيلة بحالها وقاطعته صفا في رفق: طب اذا هما كانوا مبسوطين منك كده ما اطلقوش صراحك ليه؟

عمر: أنا بصراحة ماكنتش فاهم السبب برده، بس هما كانوا على طول بيطمنوني وبيوعدوني أنهم هايسيبوني أرجع بلدي تاني في أقرب وقت ممكن، بس طبعا أنا كنت مرعوب ومش مصدق.

ثم سألت صفا كأنها تذكرت فجاءة: أنت بتقول إنهم

كانوا "سنة" عملوا ايه في "علي"؟

رد عمر وقسمات وجهه كلها تتألم: "علي" أول واحد اتقتل... أول ما عرفوا إنه شيعي قتلوه على طول...

تأثرت صفا لمقتل "علي" ثم قالت: بس الحمد لله إن المختطفين طلعوا مسلمين سنه ومش شيعة وأما كنت أنت بقيت مكان "علي" بعد الشر ألف مرة

رد عمر والألم يعتصر قلبه: بس أنتي مش متخيلة أنا كنت بتعذب اد ايه علشان أصحابي اللى كانوا معايا، كنت بحس بضميري بيعذبني وأنا شايفهم بيموتوا وبيتبهدلوا قدامي وأنا بتعامل معاملة تانية خالص وكل ده علشان أنا مسلم "سنه "والمختطفين مش عارفين إن الخير اللى أنا كنت باعلمه في بلدهم هما كمان كانوا بيعملوا زيه ويمكن أكثر شوية. ما كانوش يستاهلوا أبدًا البهدلة دي.

صفا: هما عملوا فيهم ايه؟

عمر: كانوا على طول بيستجوبوهم لأنهم مقتنعين أنهم جواسيس أو صحفيين، مش ناس عادية جاية في مهمة انسانية، فكانوا بيرهقوهم بالأسئلة وأنا كنت باحاول أتدخل واحلف لهم ميت يمين أنهم ما لهمش دعوة بالحرب لكن ما كنوش بيصدقوني وكانوا ياخدوني اودة تانية علشان ما اسمعش الأستجواب اللى كان بينتهي غالبا بطلقة صوتها يقعد يرن في ودانى لتاني يوم. احنا كنا عشرة، فضل منهم أنا و"نتاشا" وواحد أمريكاني "رونالد" وواحد فرنساوي "ميشيل". الأمريكاني صوروه فيديو وبعتوا الفيلم لوكالات الأنباء، أكيد شفتيه في

التليفزيون علشان يطلبوا من أمريكا الجلاء من العراق ويطلبوا كمان فدية من أهله

أومأت صفا برأسها علامة الموافقة وقالت: اتضايقت قوي لما شفته... ثم سألت: طيب و"ميشيل" الفرنساوي؟

رد عمر في تجهم: ده كان اوحش مصير... اخدوه بره البيت وحطوه في عربية مفخخة قصاد عجلة القيادة وركب معاه واحد منهم في العربية وطلبوا منه أنه يسوق لحد شارع معين في القرية اللى احنا كنا فيها وبعد ما قربوا من المكان اللى هما عايزينه ربطوا رجله جامد على البنزين واجبروه يسوق العربية في السوق اللى مليان ناس. ولما وصل لنقطة معينة فجروها بالـ"ريموت كونترول"

خبطت صفا على صدرها في رعب على طريقة أولاد البلد: يا لهوي فجروها ازاي؟

ثم قال عمر شارحا الموقف: ماهو العربية المفخخة اللى كان سايقها "ميشيل" لها "ريموت كونترول" بيشغل القنبلة من بعيد. يعني استعملوا الولد زي خروف العيد "كبش فدا "علشان كانوا محتاجين واحد يعمل عملية انتحارية وما كنش في واحد منهم جاهز للموضوع ده. هما كمان كانوا معتبرينه ميت ميت لأنهم كانوا ناويين يقتلوه في كل الأحوال فمن وجهة نظرهم مافيهاش حاجة بقه أنهم يستفيدوا من حياته وموته

اغمضت صفا عيناها في ألم واشمئزاز من الأحداث المروعة التي تسمعها ثم سألته: وأنت و"نتاشا" و"رونالد" عملته ايه؟

قالت عمر مسترسلا في الحديث: "نتاشا" كانت البنت الوحيدة اللى معانا، علشان كده ما كنوش عايزين يقتلوها

على أساس أنها ست ووعدوني أنهم هايطلقوا صراحنا احنا الاثنين بس على شرط إن "نتاشا" تسلم طبعا ما يعرفوش إنها أصلا ملحدة. لو كانوا عرفوا كانوا موتوها من أول لحظة. وفعلا مثلت "نتاشا" أنها أسلمت ولبست حجاب وحفظتها شوية كلام عن الإسلام علشان تقنعهم باسلامها واقتنعوا فعلا... ثم قال عمر ضاحكا: دول كانوا كمان عايزين يجوزوها لواحد منهم... المهم ما بقاش فاضل غير أنهم يمشونا بقه لأن ما بقاش فيه سبب يحبسونا علشانه. ولكن مرت الأيام وفي يوم كنت قاعد مع "نتاشا" بنتكلم في المصيبة اللى احنا فيها، وفجأة سمعنا فرقعة كبيرة وطلقات نارية كثيرة والدنيا مرة واحدة ضلمت علينا وصحيت لقيت نفسي راقد في بيت ناس طيبين ومش قادر احرك لا رجل ولا ايد.

صفا: ايه اللى حصل؟

عمر: صادف وجود دورية أمريكية قريبة من البيت اللى كانوا مقعدنا فيه، فاللي خاطفينا افتكروا انهم هايهجموهم علشان يخلصوا "رونالد" فاشتبكوا مع بعض والمكان كله فرقع وما حستش بنفسي إلا وأنا راقد من غير حركة في بيت "أبو مصطفي"... دول ناس طيبين قوي لقوني من ضمن المجروحين في الانفجار فاخدوني عندهم في البيت علشان يعملولي الاسعافات الأولية لأن الأسعاف اتأخرت قوي. رحت عندهم والدكتور نصحهم اني اقعد عندهم بعد ما ركبي لي محاليل وشاف الاصابات بتاعتي. أنا اصاباتي كان أغلبها حروق شديدة وودني الشمال ماكنتش باسمع بيها الظاهر إن الانفجارات الكثير هي اللى أثرت على سمعي، وكان

بيجيني صداع فظيع ما كانش بيفارقني أبدا. ومع مرور الوقت ابتديت أشد حيلي واتعرفت على العيلة الصغيرة اللى كنت قاعد عندهم وحكيت لهم حكايتي وكنت عايز أهرب بأي شكل بس المشكلة اني اكتشفت إن أنا في قرية بعيدة قوي عن بغداد وعن السفارة وبصراحة أنا كنت خايف ارجع بغداد لحسن اتخطف تاني. فقررت إن أنا مش هاخرج إلا للهروب عن طريق الأردن لأنها أقرب حدود للقرية اللى احنا كنا فيها. وفعلا ساعدوني إن أنا اهرب عن طريق الأردن ومن الأردن اتصلت بالسفارة المصرية وجابوني على هنا على طول.

احتضنت صفا يدي عمر في حنان وقالت له: أكيد حسيت بالندم إنك سافرت للعراق وأنت مخطوف مش كده؟

رد عمر وهو يهز رأيه علامة النفي: صدقيني ما ندمتش ولا لحظة، لأن أنا رايح من الاول وعارف خطورة المكان وكنت عارف إنها مغامرة... بس أنا تعبت نفسيا قوي من الرحلة دي ولو كانوا قتلوني على طول ماكنتش اتعذبت زي ما حصل معايا وأنا باشوف زمايلي كلهم بيموتوا لمجرد انتمائهم لدين أو جنسية معينة: شيعة ولا سنة، عربي ولا أوروبي.. اللى بنشوفه في التليفزيون عن الحرب هناك ما يجيش ربع اللى بيحصل هناك فعلا....

صفا: بس ما قلتليش ايه اللى حصل للمجاهدين و"نتاشا" و"رونالد"؟

رد عمر في استياء: ارجوكي ما تقوليش عليهم مجاهدين لأن دول ارهابيين ومالهمش دعوة بالإسلام... كل اللى كانوا

معايا ماتوا أنا الوحيد اللى كنت محظوظ

صفا: لا أنا اللى محظوظة مش أنت لأن ربنا كان عالم بحالي. أنا كنت هاموت من غيرك يا"عمر"

قال عمر مداعبا: بس أنا شايف إن غيابي عنك جه بفايده

صفا: فايدة ايه بقول لك أنا كنت هاموت تقولي فايده

عمر: "شن شن" حكيت لي عن كل لحظة في حياتك خلال السنة اللى كنت غايبها عنك وعرفت انك بقيتي مصممة مجوهرات مهمة قوي ومتخصصة كمان في "التوباز" ثم نظر إلى رقبتها فوجدها مازالت تلبس الحجر الصغير الذي أهداه لها في بداية تعارفهم ونظر اليها في حنان وقال: أنا ملاحظ إن أنا كنت في بالك على طول

اشاحت صفا بوجهها عن عيناه العميقتين في حياء رقيق: أنت ماغبتش عن بالي لحظة. ثم علا صوتها فجأة وصرخت في وجهه: ويكون في علمك مانتش رايح حتة تانية من غيري علشان نعيش ونموت سوي

عمر: نموت ايه بس... احنا هانتجوز

تهللت أسارير صفا بالفرحة وكادت أن ترقص غير مصدقه أذناها: أنا النهاردة هاموت من الفرحة مش ممكن كل الاخبار الحلوة دي

عمر: حددي أنت بس المكان والزمان مع تانت وأنا جاهز

تحولت فرحة صفا المرسومة على وجهها إلى ضجر وإحساس بالضيق من مجرد ذكرسيرة والدتها: أنا هاتجوز لوحدي من غير لا أم ولا أب لأن أنا ماليش حد. "راوية" دي تنساها خالص أنا مش عايزة اسمع سيرتها

فوجيء عمر من كلام صفا وسألها هو في ايه؟

❖ ❖ ❖

كانت صفا تستمتع بكل لحظة تعيشها مع عمر، ولم تكن أبدًا تتوقع أن ينعم الله عليها بهذه المعجزة وأن يعيد إليها أغلي شخص عرفته صفا في حياتها. وانتقلت لتعيش معه في منزله لتمارس حياتها معه كزوجة تذوب حبا في زوجها، وكانت تستمتع بأداء واجبتها الزوجية ولم تكن تتزمر من أي شيء. فكانت تنظف وتطبخ ألذ الآكلات وهي في منتهي السعادة والرضا. وكانت تتفرغ في الليل لممارسة هوايتها في تصميم المجوهرات. وكانت تسعد جدا بتشجيع عمر لها باختصار كانت تعيش أجمل أيام حياتها. وفي ليلة هادئة كانت صفا تأكل طعام العشاء مع عمر، فرن جرس المحمول فردت على المتصل وتلقت المكالمة في اقتضاب. فتعجب عمر لهذه المكالمة الغامضة فسألها:

ايه في ايه يا حبيبتي؟

صفا: لامافيش

رد عمر في إصرار بعد أن لاحظ التوتر الذي ظهر على ملامح صفا: لا في.. مين اللى كان على التليفون؟ هاتخبي عليا؟

قالت صفا في لامبالاة وكأن الموضوع لا يعنيها: دي واحدة صاحبة ماما بتقول أنها... ثم سكتت برهة ثم استطردت، ماما أصلها عيانة قوي وفي العناية المركزة. دخلت تعمل عملية تجميل للمرة المليون بس الظاهر المرة دي فيها مشكلة.

قال عمر في هلع: يا ساتر يا رب... وهاتروحي لها امتي؟

ردت صفا في استنكار: اروح؟ اروح لمين؟ أنا أمي ماتت

بالنسبة لي من زمان

عمر: انتي بتقولي ايه؟! ايه القسوة الفظيعة اللى في قلبك دي؟! على قد ما فيكي حنية لكن فيكي كم قسوة فظيع!

صفا: أنت بتتكلم كده علشان فاهم اني عندي مشاعر طبيعية زي أي بنت لامها لكن الموضوع غير كده... أمي بالنسبة لي هي أسوأ حاجة حصلت في حياتي. هي السبب في كل مشاكلي وشقايا في الدنيا دي..

عمر: مهما كان، أمك تقريبا بتموت لازم تقفي جنبها وترحميها

صفا: وهي ما رحمتنيش ليه لما كنت طفلة. كانت بتكرهني من يوم ما حملت فيا لانها كانت كارهة بابا ومستكترة نفسها عليه كانت دايما حسه أنها تستاهل راجل احسن منه يدلعها ويغرقها فلوس...

ما رحمتنيش ليه هي، لما كانت بتسيبني وأنا لسه صغيرة للشغالات اللى حظي معاهم كان على طول وحش وكانوا بيعاملوني أسوء معاملة لأني كنت لسه صغيرة قوي مابعرفش اتكلم أو اشتكي أو حتي اعبر عن نفسي واقولها على اللى بيحصل في البيت وهي في الشغل أو سهرانة برة لحد وش الفجر. طب ده أنا حتى اتأخرت في الكلام لأن ماكنش حد بيكلمني أصلا، الشغالة اللى كانت عندنا في وقتها كانت مشغولة على طول بشغل البيت وماكانتش بتهتم انها تكلمني أو تعبرني بكلمة...

مارحمتنيش ليه لما كنت برجع من المدرسة واضطر ساعات أنام على باب البيت لأن ماما في الشغل والشغالة راحت تجيب

الخضار ولسه مارجعتش. طب تتصور إن ماما كانت ساعات بتغمض عينيها وتطنش حتى لو عرفت إن الشغالة مش كويسة معايا لانها بتبقي مش عايزة تدخل في موال التدوير على واحدة تانية. الكام مرة اللى كانت بتطرد فيها الشغالات كان علشان سرقوها مش علشان ضربوني أو ما بيخدوش بالهم مني كويس... طول عمرها أنانية. تقدر تفهم أنت ازاي أم تسيب بنتها تتربي مع ناس ما تعرفش عنهم حاجة، ماما ما كانتش تعرف حاجة تقريبا عن" تانت نادية" دي حتى ماكنتش تعرف الناس دول ايه كويسين ولا وحشين وعلي الرغم من كده كانت بتسيبني أمضي طول الوقت معاهم.

في أم في الدنيا تسيب بنتها الشابة تعيش لوحدها في شقة في مصر علشان تقعد هي مع حبيب قلبها

عمر: انتي اللى أصريتي إنك ماتروحيش تقعدي معاها في الفيلا وأنت اللى اقترحتي موضوع تقسيم الاسبوع شوية في بيتك وشوية عندها...

وسيبك من كل ده أنا بحتقر التجارة اللى اشتغلت فيها مش قادرة اتخيل انها قدرت تنام وتاكل وتشتغل كمان مع قتال قتلة ومش بس كده دي بقت شريكته في كل عملياته.ازاي بتقدر تشوف الأخبار وتشوف المصايب اللى بتحصل في العراق وتنام مرتاحة وتروح تتفسح بفلوس كلها دم.

يوم ما اتخطفت وعرفت انهم هيقتلوك حسيت إنها هي اللى ادت البندقية للإرهابيين اللى خطفوك... بصراحة أنا بحاول ألاقي أي سبب احبها علشانه بس مش لأقيه. وصدقني أنا ما عنديش أي مشاعر من ناحيتها وطول عمري حاسة وعايشة

كأني يتيمة فموتها من حياتها مش هيفرقوا معايا

اقترب عمر من صفا وضمها إلى صدره في حنان: أنا مقدر كل اللى بتقوليه وعارف الأيام الصعبة اللى عشتيها بس لازم تعرفي إن دي أمك مهما كانت وإنها لو غلطت هي في حقك أنت لازم تغفريلها وتطلبي إن ربنا يسامحها على اللى عملته فيكي.عامليها بمعدنك إنت الطيب، يعني ما ترديش الإساءة بالإساءة حاولي تكوني أكبر من كده وتسامحيها

صفا: لا زي ما بيقولوا "العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم" وهي ظلمتني كثير لما أنا كنت محتاجة لها...

عمر: لو الدنيا كلها مشيت بطريقة "العين بالعين" يبقي العالم كله هايبقي أعور.... لازم نتعلم نسامح.

مش هاقول لك انسي اللى فات لأن اللى فات ده عمر بحاله، لكن هطلب منك إنك تجاهدي نفسك وتغلبي مشاعر الكره والشر وتخلقي مكانها مشاعر الحب والخير وتعرفي إن أعظم جهاد في الدنيا غير الجهاد في سبيل الله هو جهاد النفس لأن النفس ضعيفة وبتستسلم بسرعة للحقد والشر. لازم يكون عندك صفاء مع نفسك ومع غيرك، طب ده أنا من أكثر الحاجات اللى بحبها فيكي اسمك. معناه رائع... عايزك بقه تكوني اسم على مسمي.

قالت صفا وهي تبكي: حتى اسمي جدتي هي اللى اختارته... "راوية" ماكلفتش خاطرها إنها حتى تفكر في اسم علشاني...

والتفت عمر إلى صفا ونظر بعمق في عينيها: هاخدك ونروح بكره نزورها الساعة عشرة الصبح.

وقفت صفا في صمت تتأمل والدتها التي ترقد بلا حراك على سرير العناية المركزة، وأخذت تتأمل الأجهزة والأسلاك الكثيرة الموصلة إلى جسدها وسرعان ما انسالت دموع غزيرة من عيناها، أخذت تبكي بصوت عالي تسمعه الممرضات الموجودة في المكان. بكت صفا لأنها طول عمرها تفتقد حنان الأم، وكانت تتمني أن تحب أمها وتفتخر بها كما تفعل كل الفتيات.

سكتت فجاءة عن البكاء وأخذت تتأمل أمها مرة أخري فوجدت ملامح وجهها تختلف تماما عن الملامح التي عرفتها في طفولتها. فوجهها تغير تماما كأنها امرأة أخري. فوجهها البيضاوي الجميل اختلفت ملامحه من تأثير عمليات الشد وحقن البوتوكس وتحول إلى بالون منتفخ.يكاد ينفجر، وعيناها الواسعتان العميقتان تحولوا إلى لوزتين مشدودتين لدرجة أنهم أصبحوا مثل عيون الصينيين، شفتاها الرفيعتان والتي كانت في رقة الورود أصبحت متورمة لدرجة مخيفة. تحول وجه "راوية منصور" من وجه رائع الجمال يخطف الأنظار إلى وجه مسخ مشوه من جراء عمليات التجميل التي لم تكن أبدًا في حاجة إليها. فبكت صفا اشفاقا على أمها وعلي هوسها الدائم بالشباب والجمال وتمنت لو كان لها أم شكلها مثل معظم الأمهات المصريات. أم لها مظهر بسيط محتشم وحنون لكن للأسف والدتها كان شكلها وتصرفاتها كالراقصات ونجمات الفيديو كليب. شكلها مرتب بطريقة مبالغ فيها وملابسها لا تقرب للحشمة بصلة.

انقطع حبل أفكار صفا عندما دخل الطبيب المعالج إلى الغرفة التي ترقد فيها "راوية" فقابلته صفا بعيون قلقة فأفهمها

أن حالة أمها ليست مستقرة وأنه يجب عليها أن تدعي بصدق لأمها وتتوسل لله أن يخفف عنها ويتمم لها الشفاء.

وعلى الرغم من خطورة الموقف لم تنهار صفا لهذا الوضع وكانت في قمة التماسك وخرجت من الغرفة للبحث عن "عمر"فوجدته في كافيتريا المستشفي يحتسي القهوة فقالت له: يلا بينا

عمر: يلا ايه؟ انتي لازم تستني معاها هنا وهاجي اخدك الساعة عشرة على ميعاد منع الزيارة. لازم تكوني موجودة جنبها علشان لو فتحت عينيها تلاقيكي معاها دي هتفرق في معنوياتها قوي وهو ده اللي هيخففها. انتهي من جملته ولم ينتظر الرد وقام من كرسيه ليغادر المكان على أن يأتي ليأخذها ويغادرا سويا.

❖ ❖ ❖

جلست صفا على كرسي بجانب والدتها في صمت وفجأة خيل إليها أن "راوية" فتحت عيناها فاقتربت منها صفا وامعنت النظر فيها لتراقب حركتها ففوجئت بيد واهنة تلمس يدها ويد أخري تخلع خرطوم كبير كان يسد فمها ليساعدها على التنفس وسمعت صوت خافت ضعيف يقول: سامحيني، أنا غلطت في حقك كثير

فاقتربت صفا من أمها وقاطعتها: ماتشيليش الخرطوم ده، انتي تعبانة ومحتاجة له

قالت راوية في صوت ضعيف: لا أنا مش محتاجة له أنا محتاجة ليكي أكثر. عمرى ما كنت محتاجة لك اد دلوقتي، ارجوكي يا بنتي سامحيني، سامحي انانيتي واهمالي ليكي...

أنت أحلي نعمة ربنا اداها لي بس عمري ما حسيت أو قدرت

صفا: ارجوكي يا "راوية " بلاش الكلام ده دلوقتي أنت محتاجة تريحي

ردت راوية وصوتها يزداد ضعفا من ذي قبل: أنا حاسة إني هاموت وعايزة أخلص ضميري من ناحيتك ومن ناحية ربنا لأني عارفة إني هاتحاسب على اهمالي ليكي طول السنين اللى فاتت.

صفا: ماتقوليش كده هاتعيشي وتبقي عال

راوية: أنا عندي طلبين منك أو عديني إنك تعمليهم

صفا: لو هاقدر.

قالت راوية في صوت خافت للغاية تكاد لا تسمعه صفا: أكيد هاتقدري...، أول حاجة تسامحيني

ردت صفا في تردد واضح حاولت أن تخفيه عن والدتها: سامحتك خلاص يا "راوية"

راوية: والطلب التاني... قولي لي يا ماما، من زمان وأنا ماسمعتهاش منك، أنا عارفة انك عمرك ما حستيها بس نفسي اسمعها قبل ما أموت

استسلمت صفا لرغبة والدتها وقالت: ارجوكي يا أمي ما توقليش كده.

وفي هذه اللحظة احست صفا براحة شديدة واشتياق للنطق بهذه الكلمة قليلة الأحرف ولكن كثيرة المعاني وأسماها. "أمي" ما أجمل هذه الكلمة التي يستعملها الكثيرون دون أن يقدروا النعمة التي أنعم بها الله تعالي عليهم ولا يحسون بمدي جمال اللقب إلا عندما يفقدون أحن قلب عليهم في هذا العالم

القاسي. فعلي الرغم من تجمد مشاعر صفا تجاه والدتها اللى أنها أحست فجأة كأن الجليد السميك الذي طالما وقف بينهما ذاب في لحظة وحل محله جسر قوي ينقل دفء مشاعر أي أم بابنتها. أفاقت صفا مرة واحدة من أفكارها وخيالاتها على صوت راوية يقول في متعة وسعادة: الله، أما كلمة حلوة بشكل... ربنا يخليكي ويسعدك ويحط في قلب "عمر" كل الحنية اللى أنا كان مفروض اديهالك. ثم بدأت تبكي بشدة، فانطلق رنين مزعج لأحد الأجهزة الموصلة إلى جسدها، فتدافع الأطباء والممرضات إلى الغرفة لانقاذ راوية.

خرجت راوية من المستشفي بعد معاناة مع المرض دامت ثلاثة أشهر وعادت إلى الحياة ولكنها عادت إلى الدنيا شخصية أخري تماما عن "راوية منصور" القديمة. تحولت شخصيتها من امرأة قوية ومتجبرة إلى امرأة ضعيفة وهشة. تحولت من سيدة أعمال من الدرجة الأولي إلى ست بيت تجلس معظم الوقت في المنزل. اشترت فيلا في نفس المجمع السكني التي تعيش فيه صفا لتصبح بجانب ابنتها واحفادها الذين أصبحوا قرة عينها وفرحة قلبها. تغيرت من المرآة اللعوب التي لا تهتم إلا بجمالها وحفلاتها ومغامراتها العاطفية إلى جدة حنونة ترتدي الحجاب وتعيش فقط لأحفادها وابنتها. كما باعت معظم شركات" رشدي ناصر" وصفت كل أعماله العادية والمشبوهة ووهبت المتبقي من عمرها في تقديم التبرعات والهبات إلى مختلف الجمعيات الخيرية ومن ضمنها الجمعية التي ينتمي إليها "عمر". ولكن كانت التبرعات هذه المرة مختلفة فهي تبرعات من القلب واحساس صادق بالمسؤولية تجاه المحتاجين وليس نوع من الزينة الاجتماعية كما كانت تفعل من قبل.

أما صفا، فعاشت أجمل أيام حياتها مع اسرتها الجديدة، وحققت نجاحا كبيرا في حياتها الخاصة والعملية. استقالت من "أنور" الجواهرجي وأصبح لها محل خاص بها وصارت من أشهر مصممين المجوهرات المعروفين في مصر والعالم العربي. كما كانت تشارك "عمر" في كل أعماله الخيرية بغض النظر عن هوية الناس الذين يتلقون المساعدة. وأثرت هذه السعادة الحقيقية التي كانت تعيشها في شخصيتها، فتطورت شخصيتها بشكل ملحوظ وأصبحت أكثر ثقة بالنفس... أكثر تفتحا..... أكثر هدوءا وأكثر صفاء مع نفسها ومع الآخرين ولم تعد الشوكولاتة بالنسبة إليها وسيلة لتعويض أي نقص عاطفي أو تخفيف كآبة ليالي طويلة مليئة بالوحدة والملل بل أصبحت الشوكولاتة شيئًا لذيذا وسعيدًا تستمتع به في المناسبات السارة فقط... وودعت ليالي الشوكولاتة الحزينة للأبد.

النهاية